مَوسُوعَةُ الأَعمَالِ الكَامِلَةِ

لِسَمَاحَةِ الإمَامِ

يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد التاسع عشر

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

موسوعة الأعمال الكاملة

لسماحة الإمام

يوسف القرضاوي

المحور الثالث

الفقه وأصوله

فقه الأسرة والمجتمع

٤١ رعاية البيئة في شريعة الإسلام

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المحور الثالث

الفقه وأصوله
(فقه الأسرة والمجتمع)

٤١

رعاية البيئة في شريعة الإسلام

الإمـام يوسف القرضاوي

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخص للطباعة

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٥ ـ ٥٨].

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩].

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمة، إلا كان له به صدقة**». متفق عليه.

عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحيا أرضًا ميتة، له بها أجر، وما أكلت منه العافية، فله به أجر**». رواه أحمد.

عن عبد الله بن حُبْشِي قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قطع سِدْرة صوب الله رأسه في النار**». رواه أبو داود.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الذين اصطفى، وعلى خاتمهم محمد المجتبى، وعلى آله وصحبه أئمة الهدى، ومن بهم اقتدى، فاهتدى.

(أما بعد)

فقد أصبحت قضية البيئة، ومشكلات البيئة، وتلوّث البيئة، واستنزاف البيئة، واختلال التوازن في البيئة، بل التوازن في الكون، أصبح هذا كله حديث المثقفين والمفكرين والعلماء في العالم كله. بل أصبح هذا همّ الجماهير الغفيرة من الناس، لأن فساد البيئة واستنزاف مواردها يهدد الجميع. حتى قال بعض الباحثين: لو كان للبيئة لسان ينطق، وصوت يسمع لصكّت أسماعنا صرخات الغابات الاستوائية التي تُحرق عمدًا في الأمازون، وأنين المياه التي تخنقها بقع الزيت في الخلجان والبحار، وحشرجة الهواء الذي يختنق بغازات الدفيئات والمصانع، والرصاص في مدن العالم الكبرى.

لقد بات للبيئة (عِلْمٌ) خاص، يبحث في قضاياها، ويفصل موضوعاتها، ويعالج مشكلاتها، أُلِّفَ فيه عدد كبير من الكتب في أنحاء العالم، وبمختلف اللغات. ومنها في لغتنا العربية العزيزة.

QaradawiBooks.com

ولا عجب أن تنشــأ للبيئة وحمايتها في كل الدول مؤسسات رسمية وشعبية، علمية وعملية، إلى جوار المؤسســات الإقليمية والمؤسسات الدولية، وأن تعقد الندوات العلمية، والحلقات الدراســية، والمؤتمرات العامة، لمواجهة هذه القضية الكبيرة بما تستحقه.

وبطبيعة الحــال لا بد في هذا الموقف من بروز ســؤال كبير يقول: ما موقف الدين بصفة عامة، والإسلام بصفة خاصة من قضايا البيئة؟

ولقد كتب عدد من الإخوة الفضلاء ممثلين لهذه الوجهة الإسلامية، ولا يسعنا إلَّا أن نشكر لهؤلاء الإخوة بحوثهم وجهودهم، ولكن لا يزال في المجال متسع لقول قائل، ولكل شيخ طريقة، ولكل مجتهد نصيب. وإنما لكل امرئ ما نوى.

هذا، وقد انتشرت كلمة (حماية البيئة) حتى غدت شبه مصطلح فيما ينبغي عمله نحو البيئة، ولكني آثــرت عليها كلمة أراها أحقّ، وأولى في هذا المقام من كلمة (الحماية)، وهي كلمة (الرعاية)، فكما تقول: (رعاية الطفولة) أو (رعاية الأمومة) أو (رعاية الأسرة) تقول أيضًا: (رعاية البيئة).

ذلك أن كلمة (الحماية) تقتضي المحافظة على البيئة من جهة العدم أو السلب، بمعنى المحافظة عليها من كل ما يفسدها أو يضرّ بها ويلوّثها.

أما كلمــة (الرعاية)، فهي تقتضــي المحافظة علــى البيئة من جهة الوجود، ومن جهة العدم جميعًا. وبعبارة أخرى: من جهة الإيجاب، ومن جهة السلب.

فمن جهة الإيجاب أو الوجود: ينبغي العناية بالبيئة من جهة ما يرقى بها ويصلحها وينمّيها، ويصل بها إلى غايتها المرجوّة.

QaradawiBooks.com

ومن جهة السلب أو العدم: ينبغي حمايتها من كلّ ما يعود عليها بالضرر والتلوّث والفساد. وكل هذا يدخل تحت مفهوم العناية.

ولهذا آثرت أن أسمّي كتابي هذا: (**رعاية البيئة في شريعة الإسلام**).

ولقد طلب منّي المنتدى العالمي للبيئة من منظور إسلامي، الذي انعقد في جدة في الفترة ما بين ٢٦ ـ ٢٨ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢٤ ـ ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٠م، وشاركت فيه عدّة مؤسسات محلية وعربية وإسلامية وعالمية: أن أكتب بحثًا عن موقف الشريعة الإسلامية من قضايا البيئة، فتوكّلت على الله، وشرعت في كتابة هذا البحث الذي أردته أن يكون قصيرًا، فطال مني، نظرًا لاتساع أطراف الموضوع، وحاجته إلى الإشباع، فكان هذا الكتاب الذي أرجو أن يسهم مع كتب أخرى في تجلية النظرة الإسلامية إلى البيئة وإصلاحها والمحافظة عليها: فقهًا وسلوكًا، أو فكرًا وتطبيقًا.

وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الدوحة في: شعبان ١٤٢١هـ ـ نوفمبر ٢٠٠٠م

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

تمهيد

البيئة ومكوناتها

ما المراد بالبيئة؟

البيئة ـ بعيدًا عن التعريفات اللغوية، والاصطلاحية ـ هي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، و(يبوء) إليه إذا سافر أو اغترب بعيدًا عنه. فهو مرجعه في النهاية ومثابته (ومآله)، شاء أم أبى.

وهذه البيئة تشمل البيئة الجامدة والحية، والبيئة الجامدة تشمل (الطبيعة) التي خلقها الله، و(الصناعية) التي صنعها الإنسان.

كما تشمل البيئة (الأرضية)، والبيئة (الفلكية) أو (السماوية) من الشمس والقمر والنجوم.

والبيئة الصناعية تشمل: ما يحفره الإنسان من أنهار، وما يغرسه من أشجار، وما يعبّده من طرق، وما ينشئه من أبنية، وما يصنعه من أدوات وآلات، تصغر أو تكبر، للسلم أو للحرب.

والبيئة الحية تشمل الإنسان والحيوان والنبات.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

وهذه البيئة الطبيعية ـ كما خلقها الله تعالى ـ تتميز بأمرين أساسيين:

الأمر الأول: أنّ هذه البيئة مهيأة بكل ما فيها لمصلحة الإنسان، وخدمة الإنسان، وتوفير حاجات الإنسان.

فقد كان الإنسان في الجنة ـ قبل أن يهبط إلى الأرض ـ مكفول الحاجات، مؤمَّن المطالب، دون أن يجهد جهده في تحصيلها، كما قال تعالى لآدم وزوجه محذِّرًا له من عدوه إبليس اللعين: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٧ ـ ١١٩].

ولكن حين خرج آدم من الجنة، وهبط إلى الأرض، التي استخلف فيها، كان عليه أن يسعى إلى رزقه، ويشقى ـ كما ذكر القرآن ـ في تأمين معيشته.

ومن فضل الله على الإنسان أنه حين حمله عبء تأمين عيشه بالكد والسعي، قد هيّأ له كل الأسباب التي تعين على ذلك.

فالأرض قد هيئت لتكون مستقرًّا ومتاعًا للإنسان، فجعلها الله ذلولًا له ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ منذ خلقها ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الحجر: ١٩، ٢٠]، وفي سورة أخرى يقول: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

ومن لوازم ذلك: أنّ الله جعل تربة الأرض خصبة قابلة للزراعة والإنبات، فلو كانت الأرض كلها من الصخر الجامد أو من الفضة أو الذهب، أو الماس، ما أمكن الإنسان زراعتها، وهذا معنى جعلها ذلولًا.

QaradawiBooks.com

ثم هيأ الله الماء الذي يحيي الأرض بعد موتها، وهو أساس الحياة للإنسان والحيوان والنبات، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۝ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٨، ٤٩].

وكما أنزل الله الماء من السماء ـ وهو المطر ـ سخّر للناس الأنهار تجري من تحتهم، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

ومن ذلك تسخير الشمس والقمر للإنسان قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

الأمر الثاني: أنّ هذه البيئة كلها بجوانبها المختلفة، يتفاعل بعضها مع بعض، ويتكامل بعضها مع بعض، ويتعاون بعضها مع بعض، وفق سنن الله تعالى في الكون.

فالشمس في السماء تعطي الأرض من ضوئها وحرارتها ما لا تقوم الحياة بدونه، وهي تعطي هذا العطاء بلا توقف ولا من ولا أذى، وفق نظام لا يتبدل.

وكذلك القمر يعطي نوره ـ الذي يستمده من الشمس ـ للأرض، كما يؤثر في ظاهرة المد والجزر، وكل هذا لخدمة الإنسان.

وبهذا امتنّ الله على عباده بقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣] وتأمل قوله تعالى (لكم) التي كرّرها في الآية، ليدلنا على أنّ هذه الأجرام العظيمة هيئت لمصلحة الإنسان المستخلف في الأرض. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

QaradawiBooks.com

والأرض بغلافها الجوي، قد هيّأها الله تعالى لسكنى الإنسان، منذ أهبط إليها آدم وزوجه ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [الأعراف: ٢٤].

وقد جعل الله هذه الأرض ذلولًا للإنسان ليمشي في مناكبها، ويأكل من رزقه تعالى، وجعلها للإنسان مهادًا وفراشًا وبساطًا، فهي ـ مع كرويّتها ـ ممدودة للإنسان، يمكن أن يصول فيها ويجول، ويزرع ويغرس، ويبني ويصنع، فقد وضع الله فيها من العناصر اللازمة لحياة الإنسان، وهيَّأ فيها من الأسباب المعينة له على القيام بمهمته في الأرض، فهي مهيّأة لإنبات النبات، وإعاشة الحيوان، وحياة الإنسان.

ومن قديم قال نوح لقومه ما حكاه عنه القرآن: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۞ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ۞ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ۞ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ۞ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ [نوح: ١٥ ـ ٢٠].

وقال تعالى ممتنًّا على خلقه: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۞ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۞ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۞ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [النازعات: ٣٠ ـ ٣٣].

وفي الآية إشارة إلى أنّ ماء الأرض مخرج أساسًا من الأرض، أي من بحارها وجوفها.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ۞ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠، ٣١].

وقال سبحانه ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ۞ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۞ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الحجر: ١٩ ـ ٢١].

QaradawiBooks.com

وفي هذه الآيات إشارتان في غاية الأهمية:

الأولى: قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ فهي حقيقة علمية، دلّت عليها حقائق العلم الحديث: أنّ كل نبات مكون من عناصر محددة من المعادن والأملاح والماء وغيرها، وهي موزونة بالجرام والملي جرام.

والثانية: أن هذا الكون لا يسير جزافًا، ولا يمضي اعتباطًا، بل كل شيء فيه بمقدار وحساب وميزان، فلو زادت كمية الماء في البحار عما هي عليه، أو نقصت، ولو زاد حجم الكرة الأرضية عما هو عليه، أو نقص، ولو زادت سرعة دوران الأرض حول نفسها أو حول الشمس أو نقصت، ولو زادت كمية الأوكسجين عمّا هي عليه أو نقصت، إلى آخر هذه الاحتمالات، لو حدث ذلك ما قامت الحياة على الأرض.

وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۞ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۞ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ [ق: ٧ ـ ١١].

ولا ينافي تنزيل الماء المبارك من السماء أنه مُخرج أصلًا من الأرض. فهو يخرج ويتبخّر ويصعد إلى أعلى، ويكوّن السحاب المسخر بين السماء والأرض، ومن هذا السحاب ينزل الماء، وهو من جهة السماء، لا من السماء نفسها، كما هو معلوم اليوم لتلاميذ المدارس.

وقد قال الشاعر العربي قديمًا في ممدوحه:

كالبحر يُمْطِرهُ السحابُ، وما له فضلٌ عليه؛ لأنَّه من مائه[1]!

---

(١) من شعر هبة الله البغدادي، كما في معجم الأدباء (٢٧٧١/٦)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.

QaradawiBooks.com

وقد امتنّ الله تعالى في آيات عدة بتسخير البحر للإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢، ١٣].

والبحر في اللغة يشمل العذب والمالح، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣].

وبهذا نرى التكامل والتعاون بين السماء والأرض في خدمة الإنسان: السماء بشمسها وقمرها ونجومها، والأرض بمائها وبحارها وأنهارها ونباتها وحيوانها. كما قال الله تعالى ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣].

واقرأ هذه الآيات التي بيَّن فيها القرآن كيف يهيأ الطعام للإنسان، والمكونات الأساسية لإعداده له، يقول تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢].

ولقد عرَّفنا العلم الحديث كيف تتكامل المملكة الحيوانية، وكيف تصدر إحداها إلى الأخرى ما تستغني عنه، وتستورد منها ما تحتاج إليه، فهذه تتنفّس ثاني أوكسيد الكربون، وتفرز الأوكسجين، ولا تقوم حياتها بغير ذلك، والأخرى عكسها تمامًا، فلو كان الجميع يحتاج الأكسجين مثلا، لنفدت الكمية المخلوقة منه، وهلكت المملكتان معًا، ولكن الله الذي خلق الجميع، نظم التعامل بين المملكتين على هذا النحو الرائع.

والأمر المهم والضروري في البيئة أن تظل عناصرها ومكوناتها الأساسية والكبرى متكاملة متعاونة فيما بينها، يؤدّي كل منها دوره الذي

QaradawiBooks.com

خلقه الله له، دون أن يجـور على غيره، ولا يجور عليـه غيره، ويعطي غيره، كما يأخذ منه، وبهذا يأخذ حقّه، ويؤدي واجبه.

وما أجمـل ما قاله العلامة المنـاوي في (فيض القدير) في شـرح حديث: «**مانع الزكاة يوم القيامة في النار**»(١):

«واعلم بأن الوجود كلّه متعبّـد لله على أداء الزكاة. انظر إلى الأرض التي هي أقرب الأشياء إليك تجدها تعطي أقرب الخلق إليها ـ وهم من على ظهرهـا ـ جميع بركاتها، لا تبخل عليهم بشـيء مما عندها، وكذا النبات يعطي ما عنده، وكذا الحيوان والسـماء والأفلاك، الكل متعاون بعضه لبعض، لا يدّخر شيئًا مما عنده في طاعة الله؛ لأن الوجود كله فقير بعضه إلـى بعض، قد لزم الفقر وشـملته الحاجة، فعطـف بعضه على بعض. وإعطاؤه ما عنده هو زكاته. فمانع الزكاة قد خالف أهل السـماء والأرض وجميـع الموجودات، فلذلـك وجب قتاله وقهـره في الدنيا وأدخل النار في العقبى»(٢).

❊ ❊ ❊

(١) رواه الطبراني في الصغير (٩٣٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٣٣٧): رواه الطبراني في الصغير، وفيه سنان بن سعد، وفيه كلام كثير، وقد وثّق. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٠٧)، عن أنس بن مالك.

(٢) انظر: فيض القدير للمناوي (٥/٥٠٥)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوسُوعَةُ الأعمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

(١)

التأصيل الشَّرعي لرعاية البيئة

١ ـ علم أصول الدين ورعاية البيئة.

٢ ـ علم السلوك ورعاية البيئة.

٣ ـ علم الفقه ورعاية البيئة.

٤ ـ علم أصول الفقه ورعاية البيئة.

٥ ـ علوم القرآن والسُّنَّة ورعاية البيئة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

التأصيل الشرعي لرعاية البيئة

إنَّ رعاية البيئة وحمايتها وإصلاحها والمحافظة عليها، ليست أمرًا دخيلًا على علوم الإسلام والثقافة الإسلامية، وليست من ابتكار الغرب في هذا العصر، كما قد يتوهّمه من لم يتعمق في معرفة تراثنا العلمي والحضاري الإسلامي.

بل الحقيقة الجلية: أنّ رعاية البيئة تتصل بعدد من علومنا الإسلامية الأصيلة، كما سنكشف عنه النقاب في هذا الفصل من كتابنا.

فهي تتّصل بعلم أصول الدين، أو علم التوحيد.

وتتّصل بعلم السلوك والتزكية أو علم التصوف.

وتتّصل كذلك بعلم الشريعة أو علم الفقه.

وتتّصل أيضًا بعلم أصول الفقه ومقاصد الشريعة.

وتتّصل أخيرًا بعلوم القرآن والسنة.

نسخة مجانية

* * *

QaradawiBooks.com

١
علم أصول الدين ورعاية البيئة

أمّا علم أصول الدين، فيتّصل برعاية البيئة، من حيث إنه يجعل كل مكونات البيئة وعناصرها الجامدة والحية، العاقلة وغير العاقلة: كلها مخلوقات ساجدة لله تعالى، مسبّحة بحمده.

فهي تشترك مع الإنسان في المخلوقية لله تعالى، كما قال سبحانه في كتابه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣ ـ ٨].

وهي تشترك مع الإنسان في سجودها لله تعالى، والانقياد لأمره، والإذعان لسنته في الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ۝ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨، ٤٩].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهي كذلك تشترك مع الإنسان في تسبيحها لله رب العالمين، وإن كنا لا نفقه تسبيحها، كما قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١].

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

ولكنَّ الله تعالى ميَّز الإنسان على سائر مكونات البيئة بما وهبه من العقل والملكات الروحية، التي أهله بها ليكون خليفة في الأرض، حاملا أمانة التكليف فيها، وهي الأمانة التي صورها القرآن بقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ولقد خلق الله الإنسان على طبيعة مزدوجة، ففيه العنصر الطيني الذي يجعله أهلًا لعمارة الأرض، وفيه العنصر الروحي الذي جعله يستحق التكريم والخلافة، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١، ٧٢]، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقد عقد الله امتحانًا لآدم والملائكة، ثبت فيه تفوُّق آدم في المجال العلمي على الملائكة، وبذلك استحق أن يكون خليفة في الأرض. ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ

QaradawiBooks.com

هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٣].

دور الإنسان في البيئة:

ودور الإنسان هنا هو الدور الأساسي والرئيس، فكلّ ما في البيئة من مكوّنات مسخّر له، وعليه أن يتعامل معها بما لا يجافي سنن الله في خلقه، ولا أحكام الله في شرعه، فيأخذ منها ويعطيها، ويرعى لها حقها، لتؤتي له حقه، ويتمثل هذا الدور الإنساني في مهام ثلاث، تعتبر هي الأهداف الكبرى للحياة الإنسانية، أو كما عبّر الإمام الراغب الأصفهاني(١)، هي مقاصد الله تعالى من المكلفين:

المقصد الأول: عبادة الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] والعبادة تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، فهي تستوعب كل مجالات الحياة.

والمقصد الثاني: الخلافة لله في الأرض، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠] وخلافة الله إنما تتم بإقامة الحق والعدل، ونشر الخير والصلاح، كما قال الله لداود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [صَ: ٢٦].

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني صـ ٨٢ ـ ٨٣، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

والمقصد الثالث: عمارة الأرض، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] ومعنى (استعمركم): طلب إليكم أن تعمروها.

وعمارة الأرض إنما تتمّ بالغرس والزرع والبناء، والإصلاح والإحياء، والبعد عن كل فساد أو إخلال.

وهذه المقاصد كلها متداخلة ومتكاملة ومتلازمة، فعمارة الأرض تدخل في الخلافة، وكلتاهما ضرب من العبادة لله تعالى، كما أنّ العبادة تدخل في الخلافة، فلا خلافة بلا عبادة.

فلو قام الإنسان بهذا الدور، وحقق هذه المقاصد، لسعد الإنسان وأسعد من حوله، وأكل الناس من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٢

علم السلوك ورعاية البيئة

وأما علم السلوك والتزكية أو علم التصوف، وصلته بالبيئة ورعايتها، فلأن هذه الرعاية تدخل في دائرة (الخُلُق) الذي هو أحد ركني التصوف. كما عرفه أحدهم فقال: هو الصدق مع الحق، والخُلُق مع الخَلْق.

ولا ريب أنّ البيئة من جملة الخلق.

وقال بعض المتقدمين من المشايخ: التصوف كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في التصوف.

وعلق على ذلك الإمام ابن القيم فقال: بل الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الدين.

وقال الكتاني: التصوّف هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في التصوف[١].

ولعلّ مما يؤيد هذا الحديث النبوي القائل: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٢] أو «**مكارم الأخلاق**»[٣].

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/٣٠٧)، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٢) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرجوه: صحيح وهذا إسناد قوي. والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الحاكم في تواريخ المتقدمين (٢/٦١٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

نسخة مبدئية

QaradawiBooks.com

وقال بعضهم: الدين كله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

فالدين مجموع هذين الأمرين: التقوى مع الله، والإحسان مع خلقه.

على أنّ كلًّا من التقوى والإحسان يمكن أن تكون مع الله، ومع الناس. فالمكلف عليه أن يتقي الله في كل شيء، وفي التعامل مع كل شيء، ومنه البيئة بجميع عناصرها. كما أن عليه الإحسان في كل شيء، كما في الحديث الصحيح «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**»[1] ومنه الإحسان مع الله تعالى، كما وصفه النبي ﷺ، كما في حديث جبريل: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[2].

ومن أعظم التوجيهات الإسلامية بالنسبة إلى البيئة: الإحسان بالبيئة بكل عناصرها: الإحسان بالإنسان، والإحسان بالحيوان، والإحسان بالنبات، والإحسان بالماء، والإحسان بالهواء... الخ. كما سنوضح ذلك بعد.

الدين المعاملة:

لقد شاعت عند جماهير المسلمين هذه الكلمة التي غدت عندهم من الحقائق الدينية، وهي: الدين المعاملة، حتى جعلها بعضهم حديثًا نبويًّا، وما هي بحديث، ولكن معناها صحيح، دل عليه القرآن والسنة.

وهم يريدون بهذه الكلمة: أن الدين ليس مجرد أداء الشعائر العبادية المعروفة، ثم تسيء بعد ذلك معاملتك مع الخلق، مع الإنسان والحيوان، ومع الكون كله.

---

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شدّاد بن أوس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ومعنى أن الدين المعاملة: أن تحسن معاملتك في كل شيء: بدءًا من المعاملة مع ربك، والمعاملة مع نفسك، أي ذاتك بكيانها الجسدي والعقلي والروحي، ومعاملتك مع الناس من حولك قريبهم وبعيدهم، مسلمهم وكافرهم، ومع الكائنات من حولك: جامدها وحيها، صامتها وناطقها، عاقلها وغير عاقلها.

وقد رأينا القرآن الكريم يردّ على اليهود دعواهم في حقيقة (البر) وهو يعني (التدين) حين أقاموا الدنيا وأقعدوها، من أجل تحويل المسلمين قبلتهم من القدس إلى مكة، أو من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ وأثاروا الشبهات والأقاويل حول القضية، ونزلت فيها آيات طويلة في سورة البقرة، كان فيها آية البر: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فبين في هذه الآية: بر العقيدة، وبر العبادة، وبر الخلق والسلوك، وأن هذا هو حقيقة الصدق وحقيقة التقوى. وليس مجرد التوجه إلى مشرق أو مغرب.

وفي القرآن تقرأ سورة الماعون: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۞ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١ - ٧].

QaradawiBooks.com

فبيّنت السورة أن المكذب بالدين هو ذلك الإنسان الذي لا قلب له، والذي يسيء التعامل مع الضعفاء من الناس: الذي يدُعُّ اليتيم، يدفعه بعنف ويقهره، ولا يحث الناس على طعام المسكين، فلم يكتف الإسلام من الإنسان أن يطعم المسكين، بل عليه واجب اجتماعي آخر، وهو حضّ الآخرين وتحريضهم على إطعام المسكين. وإطعام المسكين: كناية عن رعاية ضروراته وحاجاته الأساسية كلها، فلا يقبل أن تطعمه وتدعه عاريًا أو مشرّدًا لا مأوى له.

وفي السُّنَّة النبويَّة، نجد تأكيد هذا المعنى في مثل قوله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[1].

وفي الحديث الآخر: «**رب صائم ليس له من صيامه إلَّا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلَّا السهر**»[2].

وهذا إذا لم يثمر الصيام والقيام في نفسه تقوى الله، وحسن التعامل مع خلقه، فدلّ ذلك أن عبادته مدخولة، ولم تستكمل شرائطها.

ومن المعلوم لدى المسلمين: أن الإنسان المسلم يستطيع أن يحول أعماله كلها ـ حتى المباحات منها ـ إلى عبادات وقربات إلى الله تعالى، وذلك بالنية الصالحة. بمعنى أن ينوي بعملة ابتغاء وجه الله تعالى ومثوبته في الآخرة، فهذا هو الذي يجعل عمله الدنيوي من زرع وغرس

---

(١) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٨٨٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. وابن ماجه (١٦٩٠)، والحاكم (٤٣١/١)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وعمارة للأرض، وقيام بصنعة واحتراف: عبــادة لله تعالى إذا أتقن عمله ووفَّاه حقه، ولم يشغله عن واجب[(١)].

بل يمكنه أن يجعل من أكله وشربه ومباشرته لزوجته: طاعة وعبادة لله تعالى، إذا صحت نيته. كما جاء فــي الحديث الصحيح: «**وفي بضع أحدكم صدقة.** قالوا: يا رســول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: **أليس إذا وضعها في حرام كان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر**». رواه مسلم.

وبهذه الروح، وبهذه النية، يتعامل المسلم مع البيئة ومكوناتها من حوله، فهو يتعبد لله سبحانه برعايتها، ويتقرب إليه بكل ما يقدمه صيانة لها، ورفقا بها وإصلاحا لها. من كل ما ســنتحدث عنه: من التشجير والتخضير، ومن الإحياء والتعمير، ومن النظافة والتطهير، ومن الرفق والإحســان، ومن المحافظة على موارد البيئة وثرواتهــا، والمحافظة عليها من كل أنواع الإضاعة والإتلاف، والإفساد في الأرض.

ولذا قال تعالــى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٦].

فقرن في الآية الكريمة النهي عن الإفســاد في الأرض ـ مثل تلويث البيئة والإخلال بتوازنها ـ بدعاء الله تعالى خوفا وطمعا، وهو ربط للعبادة بالمعاملة، ثم بيّنت الآية أنّ رحمة الله قريبة من المحســنين، سواء كان

(١) انظر كتابنا: العبادة في الإســلام صـ ٤٣ ـ ٤٦، فصل: مجال العبادة في الإسلام، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٩، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

إحسـانهم في إصلاح الأرض وعمارتها، أم في حسن الدعاء لله والتعبد له. فهؤلاء المحسنون هم الذين تقترب منهم رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ.

الودّ والحب للبيئة:

ومن أجمل ما جاء به الإسـلام في علاقة الإنسـان بالبيئة وبالكون عامة من حوله:

إنشـاء عاطفة الود والحب لما حول الإنسـان من كائنات جامدة أو حية، فالأحياء من الدواب والطيور يراها أمما أمثالنا، لكل أمة خصائصها وطرائقها، كما نبّه على ذلـك القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

وغير الأحياء من الكائنات يراها سـاجدة مسبحة لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].

وقال سـبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فلا عجب أن يضمر لهـذه الكائنات السـاجدة المسـبحة لله: الود والحب، لأنها تعبد الله تعالى، كما يعبده هو.

وقد عبر النبي ﷺ عن هذا الودّ، وهذا الأنس بهذه المخلوقات بهذا الحديث الرائع الذي قاله، وهو عائد إلـى المدينة من غزوة تبوك، وقد أشـرف على المدينة، ولاح له جبل أُحد، فقال: «**هذه طابة، وهذا أحد، جبل يحبنا ونحبه**»[1]!

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٤٢٢)، ومسـلم في الحج (١٣٩٢)، عن أبي حميد الساعدي. وطابة: اسم من أسماء المدينة.

QaradawiBooks.com

هذا مع أن هذا الجبل وقعت بجواره غزوة أحد، التي استشهد فيها سبعون من المسلمين، على رأسهم عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وربما لو كان أحد غيره لتشاءم من هذا الجبل، ولكنه عبر عن عاطفته نحوه بهذه الجملة المبينة الرائعة «**يحبنا ونحبه**» فكأنَّما جعل من الجبل كائنًا حيًّا عاقلًا له قلبٌ يُحِسُّ وَيُحِبُّ، فلم يكتفِ بأنَّه يحبُّ أُحُدًا، بل قال عن الجبل: «**يحبنا**»، فما أجملها وأروعها وأصدقها من علاقة.

فأي أنس بالبيئة، وأي إيناس لها أوضح مما دل عليه هذا التعبير النبوي الجميل.

وكان الصحابة رضي الله عنهم، يتعاملون مع البيئة بهذا الود والحنين، كما نرى في حنين بلال إلى مكة وأوديتها ومياهها وجبالها ونباتاتها، وشوقه إليها، وإنشاده في ذلك:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هل أَبِيتَنَّ ليلةً ... بِوَادٍ، وَحَوْلي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ؟
وَهَلْ أَرِدْنَ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ؟ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وَطَفِيلُ؟(١)

وكل هذه الأشياء في مكة كون هذا الصحابي الجليل عاطفة نحوها، كأنها عاطفة المحب العاشق لمن يهواه.

علاقة المسلم بالكون من حوله:

وإن علاقة المسلم بالكون من حوله لهي علاقة متميزة.

---

(١) كما في الحديث المتفق عليه: رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨٩)، ومسلم في الحج (١٣٧٦)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

الكون آية:

فهو ينظر إلى الكون بوصفه آية من آيات الله ﷻ، فكل ما فيه يدل على الله تعالى دلالة الصنعة على الصانع، والأثر على المؤثر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ١ ـ ٣]. وهذه الأعمال الأربعة وآثارها من أدلّ الدلائل على الله تبارك وتعالى: الخلق، والتسوية، والتقدير والهداية، والحديث عن كل منها يطول.

وقد قال علماؤنا قديمًا: الكون هو المصحف الصامت، والقرآن هو المصحف الناطق. أو الكون هو الكتاب المنظور، والقرآن هو الكتاب المسطور.

وقال الشاعر:

تأمَّل سطورَ الكائنات، فإنَّها ... من الملإ الأعلى إليك رسائلُ
وقد خطَّ فيها لو تأمَّلتَ سطرَها ... ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطلُ[1]

وعلاقة المسلم بالكون هنا، تتمثل في (الاعتبار والتأمل والنظر والتفكر) كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

(١) البيتان من غير نسبة في نظم الدرر للبقاعي (١٢٩/١٧)، نشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، وعزاهما الصفدي بلفظ مقارب إلى ركن الدين ابن القوبع، انظر: أعيان العصر (١٦٣/٥)، تحقيق د. علي أبو زيد وآخرين، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

الكون نعمة:

وينظر المسلم إلى الكون أيضًا بوصفه نعمة من الله تعالى عليه، أو قل: إنه حافل بنعم الله التي أسبغها على الإنسان ظاهرة وباطنة. كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾ [لقمان: ٢٠].

وفصل بعض هذه النعم في بعض الآيات، كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ۝ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ۝ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤].

فإذا كان الغربيون يعتبرون أساس المشكلة الاقتصادية هو قلّة الموارد في مقابل كثرة البشر المتزايدة، فإن القرآن يرى أن نعم الله لا يمكن إحصاؤها، وأن موارده في الكون غزيرة، ولكن المشكلة تكمن في الإنسان الظلوم الكفار.

فهو الذي يمكن أن يسبب الخلل في الكون وفي أرزاق الخلق بظلمه وتجاوزه، أو ببطره وكفرانه بالنعمة.

ومن هنا لا يمكن علاج ضعف التربة، أو نقص الموارد، أو غير ذلك ما لم تعالج ضعف الإنسان من داخله، ودخول الظلم والكفران عليه.

QaradawiBooks.com

وفي القرآن سورة تسمى (سـورة النحل) وقد سمّاها بعض السلف (سـورة النعم)، لأن الله تعالى ذكر فيها كثيرًا من نعمه على عباده، منها: الأنعـام ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٥ ـ ٧].

ومنهـا: دواب الركـوب ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةًۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

ومنها: الماء الذي به حياة الإنسان والحيـوان والنبات. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠، ١١].

ومنها: ما سخّر الله للإنسان من عالم الأفلاك وعالم الأرض ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٢، ١٣].

ومنها: عالم البحار الذي يشـمل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إلـى قولـه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

QaradawiBooks.com

وهنا تجمع هذه السورة فيما ذكرت بين اعتبار هذه الأشياء (آية) دالة على الله تعالى، لقوم يتفكرون، أو لقوم يعقلون، أو لقوم يذَّكرون، وبين اعتبارها نعمة تستوجب الشكر (ولعلكم تشكرون).

فالمسلم يتعامل مع الكون بالاعتبار تارة، وبالشكر تارة أخرى. يقول تعالى في نعمة النبات والزرع: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ ـ ٣٥].

وفي نفس السورة يذكر نعمة الأنعام: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ ـ ٧٣]. وتكرار هذه الفاصلة (أفلا يشكرون) لتأكيد طلب الشكر، والحض عليه.

وشكر النعمة هو استخدامها فيما خلقت له، وهو ما يعين الناس على تحقيق أهدافهم الدنيوية والأخروية، وهو الذي يؤدي إلى حفظ النعم، بل زيادتها ونمائها، وفق سنن الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وهذه النظرة إلى الكون لها أهميتها في نفس الإنسان، وفكره ووجدانه، فالكون ليس إلها، يرجى ويخشى، كما تصوره بعض الديانات، التي تؤلهه أو تؤله أجزاء منه، مثل الشمس والقمر والنجوم في السماء، ومثل بعض الجبال أو الأنهار، أو الأشجار، أو الحيوانات في الأرض.

والكون ليس عدوًّا للإنسان يريد أن (يقهره)، كما يعبر الغربيون عادة عن (قهر الطبيعة).

QaradawiBooks.com

بل هو مخلوق مسخر للإنسان، ولخدمة الإنسان، ومنفعة الإنسان ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

فهو يشترك مع الإنسان في مخلوقيته لله تعالى، ويشترك مع المسلم في سجوده وتسبيحه لله جل شأنه ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨] فهذه المخلوقات كلها في العالم العلوي والعالم السفلي، ساجدة لربها سبحانه. ما عدا الناس فكثير منهم الساجد، ومنهم من لا يسجد، ومنهم من لا يسجد له تعالى، جاحدًا أو مشركًا. وقد نقلنا في الفصل السابق عن الإمام المناوي أنّ الكون كله متعبد لله تعالى.

الاستمتاع بالجمال في الكون:

ومن روائع التعاليم الإسلامية: التنبيه على (الجانب الجمالي) في هذا الكون، ليستمتع الإنسان به، ويغذي وجدانه، كما يستمتع بـ (الجانب النفعي) الذي يغذي جسمه، ويحقق مصلحته.

فمن الطيبات التي أحلها الله لعباده وامتن بها عليهم في كتابه: طيبات الجمال والزينة.

فقد قال تعالى في معرض الإنكار على الذين حرموا الزينة والطيبات من الرزق: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣١ ـ ٣٢].

QaradawiBooks.com

أمر الله بني آدم بأخذ الزينة، كما أمرهم بالأكل والشرب، ليتحقق في الحياة عنصر الجمال بالزينة، وعنصر البقاء بالطعام والشراب، فلم يقصر الإسلام اهتمامه على ما ينفع، بل شمل ما ينفع وما يلذ معا.

وقد لفت القرآن الأنظار إلى عنصر الجمال والزينة في الحياة في أكثر من موضع، كقوله تعالى في معرض الامتنان بفوائد الأنعام: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾ [النحل: ٥ ـ ٦]، إلى أن يقول عن دواب الركوب: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

فانظر كيف اهتم كتاب الله بذكر الجمال والزينة، في سياق ذكر المنافع المادية المباشرة، ليرقى بالذوق الإنساني، ويغرس في وجدان المسلم الشعور بالجمال، والإحساس بنعمة الله تعالى فيه.

وبعد ذلك بآيات قليلة في السورة نفسها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤]، فالحلية شيء جميل لا شيء نافع كأكل لحم السمك الطري. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ [الرعد: ١٧]، فالمعدن يطرق أو يصهر أو يصقل بواسطة النار ابتغاء أمرين: إما الانتفاع به في صناعة أو زراعة أو حرب ونحو ذلك، وهذا هو المتاع، وإما ابتغاء التجمل والتزين كالسوار والطوق والخاتم والقرط وغيرها، وهذا هو الحلية، ومما له دلالة هنا: أن القرآن قدم الحلية على المتاع.

إنّ القرآن في عرضه لخصائص الأشياء، وما تقدّمه من خدمة للناس، يعنى بعنصر الجمال مع عناصر النفع الاقتصادي، كقوله تعالى في

QaradawiBooks.com

معرض الامتنان بالماء، وما يحيا به من الزرع والنبات والشجر: ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [قٓ: ١٠]، فالبهجة في الحدائق، وفي أزواج النبات، وفي طلع النخل المنضَّد، كلها عناصر جمال ينبه عليها القرآن المجيد، ويوجّه إليها المشاعر والأحاسيس، لتدرك من ورائها جمال صانعها وكماله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧].

والكواكب يذكُر القرآن منافعها من الهداية للسارين، والرجم للشياطين، ولا ينسى عنصر الجمال فيها، حين يذكر في غير سورة أن الله قد زين بها السماء: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦]، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥].

فإذا كان الشاعر يرى الجمال في كل شيء بحاسته الشاعرية الفنية، فإن المؤمن يرى الجمال في كل شيء، بحاسته الإيمانية الروحية، التي يرى بها جمال الصانع فيما صنع ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣

علم الفقه ورعاية البيئة

وأما علم الفقه وعلاقته برعاية البيئة وحمايتها، والمحافظة عليها من كل ما يضر بها ويفسدها، فهي علاقة واضحة المعالم.

فعلم الفقه: هو العلم الذي ينظّم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان بأسرته ومجتمعه، وعلاقة الإنسان بالكون من حوله، وفق الأحكام الشرعية الخمسة المعروفة، وهي: الوجوب والاستحباب، والحرمة، والكراهة، والإباحة.

ومن ثم قرّر فقهاء الإسلام: أنّ الشريعة الإسلامية حاكمة على جميع أفعال المكلَّفين، بحيث لا يخلو فعل من الأفعال عن حكم من هذه الأحكام الشرعية. فلا غرو أن تستوعب شؤون الدنيا والآخرة، وتضم العبادات والمعاملات، وتشمل العلاقة بالخالق والعلاقة بالخلق، وتضم في رحابها الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية والثقافة، وكل ما يتصل بالحياة الإنسانية.

وقد سألني أحد الناس وأنا متوجّه إلى المنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور إسلامي، عندما قلت له: إنني عضو في اللجنة الاستشارية العليا لهذا المنتدى، وإني أعددت بحثًا في هذا الشأن، أرجو أن أوسعه حتى يكون كتابًا، فقال لي في عجب ودهشة: وهل للإسلام دخل في

QaradawiBooks.com

البيئة وحمايتها؟ قلت له: نعم، له دخل كبير، وله أحكام وتعاليم شتى. وأشـرت له إلى شـيء من هذه التعاليم، وبعضها في غايـة الوضوح، فعجب كيف جهل هذا؟ وكيف لا يُعلَّم هذا لأبنائنا وبناتنا؟

والواقع أنّ كل من له خبرة بالفقه الإسلامي، واطلاع على مصادره، سـواء الفقه المذهبي أم الفقه العام أو المقارن، يتبين له أن للبيئة صلة عميقة وواسعة بهذا الفقه، وبكثير من أبوابه.

فأوّل ما يتصل بالبيئة مـن الفقه تجده في كتـاب (الطهارة) كما يتضح ذلك في جملة أحكام ثبتت بالقرآن الكريم، والسُّـنَّة النبويَّة، وإجماع الأمة.

ونجد للبيئـة ورعايتها علاقـة بالصلاة وأحكامهـا، وعلاقة بالزكاة والصدقات والأوقاف، وما إليها.

ونجد للبيئـة ورعايتها علاقة بالحـج والحرم والإحـرام، وتحريم الصيد، وقطع النباتات ونحوها مما يتصل بما يسمى (البيئة المحمية).

ونجد للبيئة علاقة بـ (إحياء الموات) في فقه المعاملات.

ونجد للبيئة ورعايتها علاقة بالزرع والغرس والمزارعة والمساقاة.

ونجد للبيئـة ورعايتها علاقة بالبيـوع وما يتصل بهـا، وبيع الماء ونحوه، وتملك الماء والكلأ والنار والملح، وما فيها من أحكام.

ونجد للبيئة علاقة بكتاب النفقات، وخصوصًا على البهائم، وما لها من حقوق على ملاكها، وما الواجب إذا أضاعوها وأهملوا فيها.

ونجد للبيئة علاقة بالجهاد، وماذا يباح فيه من إتلاف وما لا يباح.

QaradawiBooks.com

إلى آخر هذه الأبحاث المتصلة بالبيئة، وتدخل في أبواب متفرقة من أبواب الفقه، الذي ينظم الحياة الإسلامية كلها بأحكام الشرع، ويقود الدورة الحضارية للأمة المسلمة، باعتبارها أمة صاحبة رسالة ومنهج متميز.

على أن الفقه لا يتصل بالبيئة بوصفه (أحكامًا) فقط، بل يتصل بالبيئة اتصالا وثيقا بوصفه (قواعد كلية) كذلك.

فمما لا يرتاب فيه فقيه: أن القواعد الفقهية الشهيرة التي ألفت فيها كتب كثيرة، قديمة وحديثة، يدخل كثير منها في أمر البيئة، وينظمها ويحميها، ويوفر لها الرعاية المنشودة.

ومن أشهر هذه القواعد: قاعدة (**لا ضرر ولا ضرار**) وهي مأخوذة من نص حديث نبوي، صححه العلماء بمجموع طرقه، ولكن الحديث نفسه مقتبس من نصوص آيات قرآنية عدة، تنفي الضرر والضرار، كقوله تعالى في نفي الضرر: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] وقوله: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وفي نفي الضرار قال تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وهذه القاعدة الكلية يتفرع عنها قواعد جزئية شتّى قررها الفقهاء. مثل قولهم:

الضرر يزال بقدر الإمكان (ولا سيما الضرر الفاحش).

الضرر لا يزال بضرر مثله (بله بما هو أكبر منه).

الضرر يدفع بقدر الإمكان.

QaradawiBooks.com

يُتَحمَّل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى.

يُتَحمَّل الضرر الخاص لدفع الضرر العام.

الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف.

إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضررًا بارتكاب أخفهما.

يختار أهون الشرين.

درء المفاسد أولى من جلب المنافع.

وهذه من القواعد الشرعية التي اعتمدتها (مجلة الأحكام العدلية)، وجعلتها في مقدمة موادِّها التي قنَّنت بها جوانب المعاملات في الفقه الحنفي، ورتبت عليها أحكامًا شتَّى.

ومثل ذلك قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات)، وهي قاعدة مستنبطة من نصوص القرآن الكريم في خمس آيات، بعضها في القرآن المكي، مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الآية: ١١٩].

وقوله في السورة نفسها: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: ١٤٥].

وجاء هذا التحريم واستثناء حالة الضرورة في سورة النحل المكية أيضًا.

وجاء التحريم والاستثناء في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: ١٧٣].

QaradawiBooks.com

وكذلك جاء في سورة المائدة، وهي من أواخر ما نزل من القرآن.

وقد تفرّع عن هذه القاعدة عدة قواعد أخرى منبثقة منها.

مثل قاعدة: (الضرورات تقدر بقدرها). وبعضهم يصوغها بقوله: (ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها).

وكذلك قاعدة: (الاضطرار لا يبطل حق الغير).

وقاعدة: (الحاجة تنزل منزلة الضرورة، خاصة كانت أو عامة).

وقاعدة: (ما جاز لعذر بطل بزواله).

وقاعدة: (إذا زال المانع عاد الممنوع).

وهذه كلها أيضًا من قواعد المجلة، وهي منصوص عليها في كتب الأشباه والنظائر للسيوطي الشافعي وابن نجيم الحنفي.

وهذه القواعد وأمثالها، وهي كثيرة معروفة، لها وزنها وأهميتها حينما نريد أن نقنن الأحكام المتعلقة برعاية البيئة والحفاظ عليها، فسنرى أننا في أشد الحاجة إليها عند إصدار تقنين حديث للعناية بالبيئة من منظور إسلامي.

ومن المعلوم: أنَّ العقوبات في الشريعة نوعان: عقوبات محددة منصوص عليها في جرائم معينة، وهي المعروفة في الفقه باسم الحدود والقصاص.

وعقوبات غير منصوص عليها، وهي العقوبات (التعزيرية). وهي المفوضة إلى رأي الإمام أو القاضي، وهذه العقوبة في كل معصية لا حد فيها ولا كفارة. وهي تشمل معاصي كثيرة، وخصوصًا ما يتعلق بحقوق

QaradawiBooks.com

العباد ومصالحهم، فيدخل فيها الحفاظ على البيئة دخولا أوليًا.

ويمكننا أن نقنّن العقوبات التعزيرية في عصرنا هذا، ولا سيما في حق من يسيئون إلى البيئة، ويتعدون الحدود في التعامل معها، من أصحاب المصانع والشركات الكبيرة، التي لا تبالي ـ في سبيل مكاسبها ـ أن تضر المجتمع كله.

غير مرخصة للطباعة

والشريعة الإسلامية ـ بجميع مذاهبها وإجماع فقهائها ـ توجب حماية المجموع من تجاوزات الأفراد، وإن كان في ذلك حجر على حرياتهم الفردية، فإن حريتهم ليست مطلقة، بل هي مقيدة بأن لا تضر الآخرين.

وأصل هذا: الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خَرْقًا ولم نؤْذِ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوا ونجوا جميعًا**»[(١)].

فلم يُعذر الذين في أسفل السفينة بحسن نيتهم، وأنَّهم قالوا: «لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذ من فوقنا!» لأن عملهم هذا يؤدي إلى غرق السفينة وأهلها جميعًا، فوجب الأخذ على أيديهم حفاظًا على مصلحة المجموع، ودفعًا للضرر عنهم.

* * *

(١) رواه البخاري في الشركة (٢٤٩٣)، وأحمد (١٨٣٧٠)، عن النعمان بن بشير.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

٤

أصول الفقه ورعاية البيئة

إنّ المحافظة على البيئة لا يؤيدها ويؤكدها الفقه وحده، بل تؤيدها وتؤكدها كذلك (أصول الفقه). وخصوصًا (مقاصد الشريعة) التي بيَّن فيها الأصوليون: أن الشريعة إنما جاءت لإقامة مصالح العباد في المعاش والمعاد، أو في العاجل والآجل. وأنَّ مقصود الشريعة من الخلق هي حفظ دينهم وأنفسهم ونسلهم وعقولهم وأموالهم.

وهي التي يسمّونها (الضروريات الخمس) ويعنون بها: المصالح الأساسية التي لا تقوم الحياة الإنسانية إلَّا بها. ودونها في الرتبة (الحاجيات)، وهي المصالح التي يمكن أن يعيش الإنسان بدونها، ولكن تكون حياته في مشقة وحرج وضيق وعسر. ودونها في الرتبة (التحسينات)، وهي ما نعبر عنه بلسان عصرنا بـ (الكماليات)، التي بها تجمل الحياة وتحلو.

وأول من وضع اللبنات الأولى لهذا البناء الشامخ، هو حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله، وذلك في كتابه (المستصفى من علم الأصول) في حديثه عن المصلحة المرسلة.

وقد جاء بعده الإمام عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، فصنف كتابه القيم الذي سمّاه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام)، ليقرِّر ويؤكِّد

QaradawiBooks.com

أنَّ الشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح الخلق في الدنيا والآخرة. ومما قال رَحِمَهُ اللَّهُ في مطالع كتابه وبيان مقاصده:

«والشريعة كلها مصالح: إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح! فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلَّا خيرًا يحثك عليه، أو شرًّا يزجرك عنه، أو جمعًا بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثًّا على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثا على إتيان المصالح»[1].

ثم قال في موضع آخر:

لو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة، لعلمنا أنّ الله تعالى أمر بكل خير، دقه وجله، وزجر عن كل شر، دقه وجله. فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح، ودرء المفاسد، والشر يعبر به عن جلب المفاسد، ودرء المصالح. وقد قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. وهذا ظاهر في الخير الخالص، والشر المحض. وإنما الإشكال إذا لم يعرف خير الخيرين، من شرّ الشرين. أو يعرف ترجيح المصلحة على المفسدة، أو ترجيح المفسدة على المصلحة، أو جهلنا المصلحة والمفسدة... إلى أن قال:

وأجمع آية في القرآن للحث على المصالح كلّها، والزجر عن المفاسد بأسرها، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام (١١/١)، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] فإن (الألف واللام) في العدل والإحسان للعموم والاستغراق، فلا يبقى من دِقِّ العدل وجِلِّه شيء إلَّا اندرج في قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ ولا يبقى من دِقِّ الإحسان وجِلِّه شيء إلَّا اندرج في أمره بالإحسان. والعدل: هو التسوية والإنصاف، والإحسان: إما جلب مصلحة أو دفع مفسدة. وكذلك (الألف واللام) في ﴿ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ﴾ عامة مستغرقة لأنواع الفواحش، ولما ينكر من الأقوال والأعمال. وأفرد البغي - وهو ظلم الناس - مع اندراجه في الفحشاء والمنكر، للاهتمام به، كما أفرد ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ بالذكر، مع اندراجه في العدل والإحسان[1]. أي للاهتمام به أيضًا.

ثم جاء الأصوليون من بعد ذلك، وأكدوا ما قرره الغزالي من الضروريات الخمس، ومقدمهم في ذلك العلامة المالكي الإمام أبو إسحاق الشاطبي، الذي أفرد قسمًا كبيرًا من كتابه الشهير (الموافقات) أفاض فيه عن مقاصد الشريعة يقول الإمام الشاطبي: «وقد اتفقت الأمة، بل سائر الملل، على أن الشريعة. وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي الدين والنفس والنسل والمال والعقل»[2].

وفي موضع آخر قال الشاطبي:

«فأما الضرورية، فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النَّجاة والنَّعيم، والرجوع بالخسران المبين.

---

(١) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام (١٨٩/٢، ١٩٠).

(٢) الموافقات للشاطبي (٣٨/١)، تحقيق عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

والحفظ لها يكون بأمرين: أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود؛ والثاني: من يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم»[(١)].

وبهذا أعطانا هذا التوجيه الأصولي طريقين لإصلاح البيئة ورعايتها:

١ ـ طريق إيجابي أو علاجي أو (وجودي) بتعبير الشاطبي.

٢ ـ طريق سلبي أو وقائي بتعبير عصرنا.

وهذا ما جعلنا نختار عنوان (الرعاية) ونؤثره على عنوان (الحماية) للبيئة ليشمل الجانبين: الوجودي والعدمي، كما عبر الشاطبي.

ولا ريب أن حماية البيئة والمحافظة عليها وإصلاحها ورعايتها، تدخل في (الضروريات الخمس) كلها، إذا تأملنا الأمر بعمق وتدبر.

حفظ البيئة من (المحافظة على الدين):

فهي تدخل ـ أول ما تدخل ـ في المحافظة على (الدين). وهي الضرورية الأولى، وذلك لأن الجناية على البيئة ينافي جوهر التدين الحقيقي، ويناقض مهمة الإنسان في الأرض، ويخالف ما أمر الله تعالى به الإنسان بالنسبة للمخلوقات من حوله.

إنّ الجور على البيئة والقسوة عليها، والإساءة إليها ينافي (العدل والإحسان) اللذين أمر الله بهما في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

---

(١) الموافقات للشاطبي (٢/٨).

QaradawiBooks.com

وهي تنافي مهمة (الاستخلاف) التي كلف بها الإنسان في الأرض، فهذه الأرض ليست أرضه، ولا ملكه، إنما هي أرض الله تعالى وملكه، جعله خليفةً فيها، يحكم فيها بأمره، ويعمل فيها وفق سننه في خلقه، وأحكامه في شرعه. كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ [الزمر: ١٠].

وقال تعالى على لسان نبيه صالح: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٦٤].

وقال سبحانه على لسان موسى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

فلا يجوز للإنسان أن ينسى أنه مستخلف في ملك الله، وأرض الله، ويتصرف كأنه هو السيد المالك الذي لا يسأل عما يفعل.

وهي أيضًا تنافي ما أمر الله به من عمارة الأرض، وإصلاحها، وما نهى عنه من إفسادها وتخريبها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]

وقد بيّن الله ﷻ أنه لا ينال مثوبته ولا رضاه في الدار الآخرة أهل العلو (أي الطغيان) والفساد في الأرض: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

حفظ البيئة من المحافظة على النفس:

ويدخل حفظ البيئة وحمايتها وإصلاحها ضمن الضرورة الثّانية، وهي (المحافظة على النفس).

والمقصود بالمحافظة على النفس: المحافظة على الحياة البشرية، وعلى سلامة البشر وصحتهم.

QaradawiBooks.com

فلا شك أنه بات معلومًا اليوم أن فساد البيئة وتلوّثها، واستنزاف مواردها، والإخلال بتوازنها، أصبح يهدد حياة الإنسان اليوم، وكلما استمر تَعَدِّي الإنسان على البيئة، ازداد الخطر على الإنسان وحياته يومًا بعد يوم.

والإسلام حريص على حياة الإنسان، ويعتبر قتل النفس التي حرم الله بغير حق أكبر الجرائم بعد الشرك بالله تعالى.

بل قرر القرآن قيمة النفس الإنسانية، وقدسية الحياة في الأديان قبل الإسلام، وقرر في ذلك: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

ومعنى الآية الكريمة: أن من استهان بنفس واحدة، فكأنما استهان بحياة البشر كلهم؛ إذ لا فرق بين نفس وأخرى.

وكما لا يجيز الإسلام قتل الغير، نجده كذلك لا يبيح قتل النفس (الانتحار) بحال من الأحوال، ويتوعد من فعل ذلك بالنار والعذاب الشديد يوم القيامة. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وهناك نوع من القتل أو الانتحار البطيء، يؤذي فيه الإنسان نفسه بسوء تصرفه وهو لا يشعر، كالذي يتناول المسكرات أو المخدرات ونحوها من السموم، وقريب منها التدخين، الذي أجمع الأطباء على ضرره بالإنسان، وإصابته بكثير من الأمراض القاتلة لمتعاطيه، ولكنه سم بطيء. ومثل ذلك كثير من تلويث البيئة وإفسادها الذي نراه في عصرنا.

QaradawiBooks.com

وإذا كان الإسـلام يصون حياة الحيوان الأعجـم، ويحرم قتله بغير حق، إما مباشـرة أو بحبسـه أو تجويعه أو غير ذلك، فلا غرو أن يحرم ويجرم بشدة الاعتداء على حياة الإنسان.

حفظ البيئة من المحافظة على النسل:

ويدخل حفظ البيئة في ضرورية (المحافظة على النسل)، والنسل هم ذرية الإنسان التي يستمر بها، بقاء النوع الإنساني في هذه الأرض، كما أراد الله سبحانه. فالنسل يعني: جيل المستقبل.

والجناية على البيئة تهدد الأجيال المسـتقبلة، بما تحمله في طياتها من أسباب الهلاك والدمار، التي قد ينجو منها، إلى حد ما ـ أجيال اليوم، ولكن الخطر يتفاقم، ويتكاثر ويتركز بالنسـبة للأجيـال القادمة، فنحن نستنزف الموارد المذخورة التي هي من حقهم، لنسرف في استهلاكها، ونحن نورثهم آفات لا يملكون لها دفعًا مما تلوّث به البيئة من حولهم، ونحن نخل بالتوازن الكوني، الذي يضر إخلاله بهم.

وإذا كان الآباء والأمهات مسـئولين ـ وجوبًا ـ عـن تربية أولادهم، وحسن تنشئتهم ورعايتهم الصحية والأدبية، فهم مسؤولون وجوبًا أيضًا عن وقايتهم من أخطار البيئة، قيامًا بواجب الرعاية التي نوه بها الحديث الشريف «**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته... والرجل راعٍ في أهل بيته، ومسؤول عن رعيته**»[1].

ومن المفاهيم الإسلامية المهمة، التي سنعرض لها فيما بعد: تكافل الأجيال الإسـلامية بعضها مع بعض، بحيث لا يجوز أن يسـتأثر جيل

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (٢٤٠٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

بالخير والنعمة على حساب جيل أو أجيال قادمة، كما لا يجوز أن يطغى على حقه، أو يستنفذ مصادر رزقه، أو يجور على موارد معيشته، فإن هذا من الظلم الذي حرمه الله على عباده، والله لا يحب الظالمين، ولا يهدي القوم الظالمين. وقد قال النبي ﷺ: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**»[1].

حفظ البيئة من المحافظة على العقل:

ويدخل حفظ البيئة ضمن الضرورية الرابعة، وهي (المحافظة على العقل) الذي هو مناط الخطاب والتكليف في الإسلام. فمن فقد العقل فلا تكليف عليه، والقلم مرفوع عنه.

وحفظ البيئة ـ بمعناه العام ـ يقتضي المحافظة على الإنسان، بكيانه كله، الجسدي والعقلي والنفسي، ولا معنى للمحافظة على الإنسان إذا لم تحافظ على عقله، الذي ميزه الله به عن الحيوان.

وبعض ما يقوم به الإنسان المعاصر اليوم من إفساد للبيئة، وتعريضها وتعريض نفسه معها للخطر، يعد ضربًا من الجنون. وفي مثله يخاطب القرآن المكلفين بقوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. من أجل ذلك حرم الإسلام الخمر، وأوجب فيها عقوبة زاجرة، لأنها تزيل العقل، وحرم المخدرات، لأنها شقيقة الخمر، أو هي منها، إذ الخمر ما خامر العقل، كما قال سيدنا عمر.

فمن حفظ البيئة أن نحافظ على التفكير السوي في الإنسان الذي يوازن بين اليوم والغد، وبين المصالح والمفاسد، وبين المتعة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٩٥)، ومسلم في الهبات (١٦٢٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

والواجب، وبين القـوة والحق. ولا يتعامل مع البيئـة تعامل المخمور السـكران أو المخدَّر التائه، الذي ألغى عقله باختياره، فلم يعد يعرف ما ينفعه مما يضره.

حفظ البيئة من المحافظة على المال:

ويدخل حفظ البيئة أيضًا ضمن المحافظة على الضرورية الخامسـة، وهي (المحافظة على المال). فمن المعلوم: أنّ الله قد جعل المال قوامًا لمعيشة الإنسان في هذه الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [النساء: ٥].

وليس المال هو النقود أو الذهب والفضة، كما يتوهّم بعض الناس، بل المال أعم من ذلك وأشـمل، فكل ما يتموله الإنسان ويحرص على كسبه واقتنائه مال، فالأرض مال، والشـجر مال، والزرع مال، والأنعام مال، والماء مال، والمرعى مال، والمسكن مال، والثياب مال، والأثاث مال، والمعادن مال، والبترول مال.

وحفظ البيئة يوجب علينا أن نحافظ على المال بكل أجناسه وأنواعه: نحافظ على موارده، فلا نتلفها بالسفه، ونستنزفها بلا ضرورة ولا حاجة معتبرة، ولا نحسـن تنميتهـا ولا صيانتها، فتتعرض للهـلاك والضياع، ولا نسرف في استخدامها، فنضيعها قبل الأوان.

إن إحـدى المشـكلات البيئية الكبرى فـي عالمنا اليـوم إنما هي استنزاف الموارد، وهو ما يهدد البشرية في مستقبلها القريب.

ولهذا كان من المقاصد الشـرعية، والمصالح الضرورية: المحافظة على المال، بحيث نحافظ على موارده، وننمي إنتاجه، ونرشد استهلاكه، ونحسن توزيعه وإنفاقه.

QaradawiBooks.com

إفساد البيئة إضاعة لمقاصد الشريعة:

وإذا كانت رعاية البيئة والحفاظ عليها، وإصلاحها يحقق مقاصد الشريعة، وضرورياتها الخمس، فإن إفساد البيئة وتلويثها واستنزاف موادها، والإخلال بتوازنها ـ وهو ما نعبر عنه إسلاميًّا بعبارة (الإفساد في الأرض) ـ يضيع هذه المقاصد، ويجني على هذه الضروريات كلها.

وحسبي أن أذكر هنا عبارة الإمام المفسر أبي حيان في تفسيره (البحر المحيط) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«هذا نهي عن إيقاع الفساد في الأرض، وإدخال ماهيته في الوجود، فيتعلق بجميع أنواعه من إيقاع الفساد في الأرض: إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان (وهي الضروريات الخمس).

ومعنى بعد إصلاحها: بعد أن أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق، ومصالح المكلفين.

وما روي عن المفسرين من تعيين نوع الإفساد والإصلاح، ينبغي أن يحمل ذلك على التمثيل إذ ادّعاء تخصيص شيء من ذلك لا دليل عليه[1] انتهى.

* * *

(١) تفسير البحر المحيط لابن حيان (٥/٧٠)، تحقيق صدقي محمد جميل، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

٥
علوم القرآن والسنة ورعاية البيئة

وتبقى بعد ذلك علوم القرآن وتفسيره، وعلوم السُّنَّة النبويَّة وشروحها، ومدى علاقتها برعاية البيئة. ونستطيع أن نقول بكل وضوح: إنَّ كل العلوم الشرعية التي ذكرناها: من أصول الدين وأصول السلوك، ومن الفقه وأصول الفقه، إنما عمدتها هو القرآن والسنة. ولا يقبل ما تقرره من أحكام وقواعد واستنباطات، ما لم تكن مسنودة من كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ.

ومن يقرأ كتابنا هذا سيجد ـ بدون معاناة ـ عددًا كبيرًا من الآيات والأحاديث، وأنه يستند أول ما يستند في بيانه وتقريره إلى نصوص القرآن والحديث الصحيح، فهما وحدهما المصدران المعصومان الملزمان لكل مسلم ومسلمة بالطاعة والامتثال، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد أجمع المسلمون على أنّ الرد إلى الله يعني: الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسول يعني: الرد إلى سنته.

وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

QaradawiBooks.com

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فهذا واجب المسلمين أبدًا إزاء القرآن والسنة: سمعنا وأطعنا.

ومن أبرز الأدلة على عناية القرآن بالبيئة أسماء السور ودلالاتها.

من دلائل العناية بالبيئة:

ومن دلائل القـرآن الكريم على الاهتمام بالبيئــة: أن نجد عددًا من سوره يسمى بأسـماء للحيوانات والحشرات وبعض النباتات والمعادن، وبعض الظواهر الطبيعية.

فنجد من أسماء السور: سورة البقرة، وسورة الأنعام، وسورة الفيل، وسورة العاديات وهي الخيل، وكلها من الحيوانات.

ونجد سورة النحل، وسورة النمل، وســورة العنكبـوت، وكلها مـن الحشرات.

وهذا ما جعل المشـركين أو اليهود يعجبون من ذلك ويقولون: أي قدر للذباب وللعنكبوت، حتى يضرب الله بهما الأمثال؟!

ورد القـرآن عليهـم بقولـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] وأراد بمـا فوقها: أي في الضعف والهوان. ولهذا فسره بعضهم بقوله: أي ما دونها.

ونجد في القرآن ســورة التين، وهو من النباتات، وســورة الحديد، وهو من المعادن.

QaradawiBooks.com

ونجد سـورة الرعد، وهو من الظواهر الطبيعية، وسـورة الذاريات، وهي الرياح التي تذرو الأشياء. وسورة النجم، وقد أقسم الله به إذا هوى، وسورة الفجر، وسورة الشمس، وسـورة الليل، وسورة الضحى، وسورة العصر، وكلها ظواهر طبيعية.

ونجد سـورة الطور، وهو يعني الجبل مطلقًا أو جبلًا معيّنًا، وسورة البلد، والمراد به مكة البلد الحرام، وسورة الأحقاف، وهي في الجزيرة العربية، وكلها أماكن.

فهذه التسـميات للسـور القرآنية لها دلالاتهـا وإيحاؤها في نفس الإنسان المسـلم، وربطه بالبيئة من حوله، بحيث لا يكون في عزلة أو غفلة عنها.

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوسُوعَةُ الأعمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

(٢)

الركائز الإسلامية لرعاية البيئة

١ ـ التشجير والتخضير.

٢ ـ العمارة والتثمير.

٣ ـ النظافة والتطهير.

٤ ـ المحافظة على الموارد.

٥ ـ الحفاظ على الإنسان.

٦ ـ الإحسان بالبيئة.

٧ ـ المحافظة على البيئة من الإتلاف.

٨ ـ حفظ التوازن البيئي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

١

التشجير والتخضير

من ركائز المحافظة على البيئة في الإسلام: العناية بالتشجير وتخضير الأرض بالغرس والزرع.

نقرأ هذا في القرآن الكريم في معرض امتنان الله على خلقه بما سخر لهم من أسباب الزرع والغرس والشجر والخضرة. فيقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وفي السورة نفسها يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وفي سورة أخرى يقول تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي سورة أخرى يقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠ ـ ١١].

وقد تكرّر هذا المعنى كثيرًا في القرآن الكريم في سورٍ شتى، ونبّه فيها على عنصرين مهمين من فوائد الزرع والشجر والخضرة:

العنصر الأول: عنصر المنفعة. كما في قوله ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ وقوله تعالى ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ۝ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ۝ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۝ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ۝ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢].

فانظر كيف جعل في هذه النباتات عنصر المتاع أي المنفعة للناس ولأنعامهم التي تخدمهم أيضًا.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

فأرشد إلى منفعة الأكل من الزرع لهم، ولأنعامهم معهم، بل قبلهم.

والعنصر الثاني: هو عنصر (الجمال). وهذا مما قد يتصوّر بعض الناس أن الإسلام لا يهتم به، ولا يجعل له اعتبارًا، وهو وهم لا أساس له في القرآن ولا في السنة، فإن الله تعالى جميل يحب الجمال، كما علمنا رسول الله ﷺ.

وقد وضح هذا في آيات كثيرة من كتاب الله ﷻ، كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ

QaradawiBooks.com

ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠].

فانظر إلى هذا التعبير المبين (حدائق ذات بهجة)، أي: ذات حسن وجمال، تبهج النفس والخاطر، وتسر العين والقلب.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥] والبهيج هو الحسن الجميل.

وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [قٓ: ٧].

وقد ذكرنا قوله تعالى بعد الامتنان بذكر الزرع والنخيل والأعناب والزيتون والرمان: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩]. فأمرنا أن ننظر إلى الثمر اليانع، لنستمتع بمنظره الجميل.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره: الزراعة من فروض الكفاية، فيجب على الإمام (ولي الأمر) أن يجبر النَّاس عليها، وما كان في معناها من غرس الأشجار[1].

السنة تأمر بالغرس والزرع:

والأحاديث النبويَّة تؤكد هذا الأمر، وتزيد على ما في القرآن بما ورد فيها من الأوامر النبويَّة، والتوجيهات المحمدية بالغرس والزرع في جملة من الأحاديث الصحاح.

(١) تفسير القرطبي (٣٠٦/٣)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

QaradawiBooks.com

منها: ما رواه الشيخان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلَّا كان له به صدقة**»[(١)].

وروى مسلم عن جابر مرفوعًا: «**ما من مسلم يغرس غرسًا، إلَّا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد** ـ أي لا ينقصه ويأخذ منه ـ **إلَّا كان له صدقة**»[(٢)]. وفي رواية له: «**إلى يوم القيامة**».

ومما يلفت النظر هنا: أن تكتب الصدقة والمثوبة للغارس والزارع، على ما أخذ من زرعه وثمره، وإن لم تكن له فيه نية، لمجرد اتجاهه إلى الغرس والزرع، فكل ما يستفاد منه لكائن حي له فيه ثواب.

وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول: «**من نصب شجرة، فصبر على حفظها، والقيام عليها حتى تثمر، فإن له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل**»[(٣)].

وروي أن رجلًا مرَّ بأبي الدرداء رضي الله عنه، وهو يغرس جوزة (شجرة جوز) فقال: أتغرس هذه وأنت شيخ كبير، وهي لا تثمر إلَّا في كذا وكذا عامًا؟ فقال: أبو الدرداء: ما عليَّ أن يكون لي أجرها، ويأكل منها غيري؟![(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في المساقاة (١٥٥٢)، وأحمد (١٥٢٠١)، عن جابر.

(٣) رواه أحمد (١٦٥٨٦)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٩٢٨): رواه أحمد وفيه قصة وإسناده لا بأس به. عمَّن شهد النبي ﷺ.

(٤) انظر كتابنا: الحلال والحرام صـ ١٣٦ وما بعدها، مبحث: الاكتساب عن طريق الزراعة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

QaradawiBooks.com

وروى ابن جرير عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غـدًا! فقال عمر: أعزم عليك لتغرسـنها! فقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي[1]. فعمر الخليفة الراعي المسؤول يرى ألا تترك أرض صالحة للغرس والزرع دون أن يستفاد منها، وينبه أصحابه على ذلك، ويساعد بنفسه على ذلك. وهذه قمة الشعور بالمسؤولية.

وروى البخـاري فـي (الأدب المفرد) عن نافع بن عاصم أنه سـمع عبد الله بن عمـرو يقول لابن أخ له خرج من (الوهـط): أيعمل عمالك؟ قال: لا أدري! أما لو كنت ثقفيًّـا لعلمت ما يعمل عمالك. ثم التفت إلينا فقال: إن الرجل إذا عمل مع عماله في ماله كان عاملًا من عمال الله ﷻ[2].

والوهط في اللغـة هو البسـتان، ويطلق علـى أرض عظيمة كانت لعمرو بن العـاص بالطائـف، ويبدو أنـه خلفهـا لأولاده، وقد روى ابن عسـاكر بسـند صحيح عن عمرو بن دينار[3]، قال: دخل عمرو بن العاص فـي حائط له بالطائف يقـال له: (الوهط) فيه ألف ألف خشـبة (مليون) اشترى كل خشبة بدرهم! يعني ليقيم بها الأعناب.

فهـذه عناية الصحابة بالغرس والتشـجير، بفضل هـذه التوجيهات القرآنية والنبويَّة التي حفزتهم إلى أن يخضـروا الأرض، ويجعلوا منها حدائق ذات بهجة، تنبت من كل زوج بهيج.

---

(١) عزاه المتقي الهندي في كنز العمال (٩١٣٦) لابن جرير.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٤٨)، وقال الألباني في الصحيحة (٩): وسـنده حسن إن شاء الله تعالى.

(٣) تاريخ دمشق (٢٦٤/١٣).

QaradawiBooks.com

وروى الإمام أحمد في مسنده والبخاري في (الأدب المفرد) عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها**»[(١)].

وليس هناك حث وتحريض على الغرس والتشجير أقوى من هذا الحديث، لأنه يدل على الطبيعة المنتجة والخبرة للإنسان المسلم، فهو بفطرته عامل معطاء للحياة، كالنبع الفياض، لا ينضب ولا ينقطع، حتى إنه ليظل يعطي ويعمل، حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، فلو أن الساعة توشك أن تقوم، لظل يغرس ويزرع، وهو لن يأكل من ثمر غرسه، ولا أحد غيره سيأكل منه، لأن الساعة تدق طبولها، أو ينفخ في صورها، فالعمل هنا يؤدى لذات العمل، لأنه ضرب من العبادة، والقيام بحق الخلافة لله في الأرض إلى آخر رمقٍ.

ولقد بيَّن لنا العلم الحديث: أن التشجير له فوائد أخرى ـ غير ما عرفه الناس قديمًا من الثمر والظل وتخفيف الحرارة وغيرها ـ مثل المساعدة في حفظ التوازن البيئي، وامتصاص الضوضاء، ومقاومة الآثار الضارة للتصنيع على البيئة، أو التخفيف منها على الأقل.

* * *

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

٢
العمارة والتثمير

ومن المقومات الأساسية للمحافظة على البيئة في نظر الإسلام: ما حث عليه التوجيه الإسلامي، وقام عليه التشريع الإسلامي: من عمارة الأرض، وإحياء مواتها، وتثمير مواردها وثرواتها.

حتى إن الإمام الراغب الأصفهاني(١) اعتبر (عمارة الأرض) أحد مقاصد ثلاثة أساسية خلق لها الإنسان، مستمدًا ذلك من نصوص القرآن الكريم ذاته. كما ذكرنا ذلك من قبل. وهذه المقاصد هي:

أولًا: عبادة الله تعالى. كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ثانيًا: خلافة الله تعالى في خلقه، كما قال سبحانه ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

ثالثًا: عمارة الأرض، كما في قوله تعالى على لسان نبيه صالح: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] ومعنى: (استعمركم) أي طلب إليكم أن تعمروها.

ومن هنا كانت عمارة الأرض وإصلاحها، وحظر الإفساد فيها، مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء، ورسالات السماء.

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة صـ ٨٢، ٨٣.

QaradawiBooks.com

ومن هنا جاء التنويه بهذا المقصد الكبير على لسان نبي الله صالح عليه السلام، وهو من أنبياء العرب، وقد أرسله الله إلى ثمود، الذي بوّأهم الله في الأرض وهيأ لهم أسباب التقدم والرخاء: قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٦١].

وفي مقام آخر ذكرهم بنعم الله تعالى وآلائه عليهم، وحذرهم من الإفساد في الأرض، التي هيأها الله لهم، فيقابلون النعمة بالكفران، قال تعالى على لسان صالح: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

وهذا بعد أن دعاهم إلى التوحيد الذي هو الأساس الأول لدعوات الرسل جميعًا. ولهذا نجدهم جميعًا يقولون: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود: ٦١].

يقول العلامة أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

«ذَكَّر صالح قومه بما ذَكَّر به هود قومه، فذكر أولًا نعمًا خاصة، وهي جعلهم خلفاء بعد الأمة التي سبقتهم، وذكر هو لقومه ما اختصوا به من زيادة البسطة في الخلق، وذكر صالح لقومه ما اختصوا به من اتخاذ القصور من السهول، ونحت الجبال بيوتًا، ثم ذكرا أنعمًا عامة بقولهما: فاذكروا آلاء الله، ومعنى بوأكم في الأرض أنزلكم بها، وأسكنكم إياها والمباءة المنزل في الأرض وهو من باء أي رجع»(١).

(١) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٥/٩٣).

QaradawiBooks.com

وفي مقام آخر حذرهم صالح من القــادة والزعماء الذين يقودونهم إلى الشر والإفســاد في الأرض، وذلك ما ذكره القرآن الكريم في قوله لقومه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

ونجد هذا التحذير من الإفساد في رسالة نبي الله شعيب، الذي بعثه الله إلى أهل مدين، فبعــد أن دعاهم إلى عبادة الله وحــده، وترك عبادة ما ســواه، دعاهم إلى إقامة العدل في معاملاتهم، وترك الظلم والإفساد في الأرض، حتى لا ينزل بهم عذاب الله تعالى. اقرأ هذه الآيات الكريمة من سورة هود:

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ۝ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [هود: ٨٤، ٨٥].

وفي موقف آخر يقول: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ ثــم يقــول: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦].

فحذّرهم من عواقب المفســدين من قبلهم، وكيف نزل بهم عقاب القدر الأعلى، الذي يمهل ولا يهمل، ويملي للمفسدين ثم يأخذهم أخذًا أليمًا شديدًا.

وقد ذكر ذلك بتفصيل في سورة هود: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم

QaradawiBooks.com

بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩] ذلك أن قوم لوط أقرب إليهم في المكان، وأقرب إليهم في الزمان.

وفي قصة موسى نقرأ قول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

قال أبو حيان في تفسيره: لما أمروا بالأكل والشرب من رزق الله، ولم يقيد ذلك عليهم بزمان ولا مكان ولا مقدار من مأكول أو مشروب، كان ذلك إنعامًا وإحسانًا جزيلًا إليهم، واستدعى ذلك التبسط في المآكل والمشارب، وأنه ينشأ عن ذلك القوة الغضبية والقوة الاستعلائية: نهاهم عما يمكن أن ينشأ عن ذلك، وهو الفساد، حتى لا يقابلوا تلك النعم بما يكفرها، وهو الفساد في الأرض.

وقد اجتهد بعض المفسرين أن يحددوا نوع الفساد المنهي عنه في الآية الكريمة، فقال بعضهم معنى ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: لا تتظالموا؛ لأن كل سبط منكم قد جعل له شرب معلوم.

قيل: معناه: لا تؤخروا الغداء، فكانوا إذا أخروه فسد.

وقيل: معناه: لا تخالطوا المفسدين.

وقيل: معناه: لا تتمادوا في فسادكم.

وقيل: معناه: لا تطغوا.

قال أبو حيان: وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض[1].

(١) البحر المحيط (٣٧٢/١، ٣٧٣).

QaradawiBooks.com

والأولى عندي إبقاء اللفظ على عمومه وإطلاقه ليشمل كل فساد مادي أو معنوي، واقع أو متوقع.

ومن ذلك ما جاء على لسان قوم قارون في نصيحتهم له: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

ولما جاء الإسلام أكد النهي عن الفساد في الأرض بأساليب شتى.

منها النهي عن الإفساد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦].

ومنها: التنفير من النماذج المفسدة، والتحذير منها ومن مشابهتها، كما في قوله تعالى في وصف بعض المنافقين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

ومثل ذلك قوله في ذم اليهود: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقوله في ذم المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۞ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

ومنها: إعلان أنّ الله تبارك وتعالى ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾، كما في الآيات السابقة. وأنه لا يصلح عمل المفسدين كما جاء في قصة موسى ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

QaradawiBooks.com

والإفساد في الأرض: يشمل الإفساد المادي، بتخريب العامر، وإماتة الأحياء، وتلويث الطاهرات، وتبديد الطاقات، واستنزاف الموارد في غير حاجة ولا مصلحة، وتعطيل المنافع وأدواتها.

كما تشمل الإفساد المعنوي، كمعصية الله تعالى، ومخالفة أمره، والكفر بنعمته، والتمرد على شريعته، والاعتداء على حرماته، وإشاعة الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وترويج الرذائل، ومحاربة الفضائل، وتقديم الأشرار، وتأخير الأخيار، وتجبر الأقوياء على الضعفاء، وقسوة الأغنياء على الفقراء.

ومن ذلك: ما كان عليه قوم لوط، الذين شذوا عن الفطرة، وحادوا عن سواء السبيل، وأتوا فاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين، حيث أتوا الذكران من العالمين، وتركوا ما خلق لهم ربهم من أزواجهم، وارتكبوا هذا الإثم، حتى لم يسلم منهم ضيف ينزل عليهم.

فلا غرو أن دعا عليهم نبيهم لوط في مرارة وحرقة، إذ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

وأيّ فساد أشد من هذا الفساد الخلقي، وقد نصره الله عليهم، فأنزل عليهم نقمته، وجعل عالي قريتهم سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [هود: ٨٣].

إحياء الموات:

ومما جاءت به شريعة الإسلام من عمارة الأرض: (إحياء الموات).

والموات: هي الأرض الدارسة الخراب، كما قال ابن قدامة في (المغني)[1].

(١) المغني لابن قدامة (٤١٦/٥)، نشر مكتبة، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

وعرفها الجوهري في (الصحاح): بأنها الأرض التي ليس لها مالك، ولا ماء، ولا عمارة، ولا ينتفع بها[(١)].

و(إحياء الموات): تعبير إسلامي مأخوذ من الحديث النبوي: «**من أحيا أرضًا ميتة فهي له**»[(٢)].

والأرض الميتة: هي الأرض البور، التي لا زراعة فيها ولا بناء، سماها الرسول ﷺ (ميتة)، للإشارة إلى أن الأماكن والأراضي تموت وتحيا، كما يحيا الإنسان ويموت، و(موت) الأرض إنما يكون بتركها بوارًا لا ينبت فيها نبات، ولا يغرس فيها شجر، ولا يقوم فيها بناء ولا عمران، و(حياة) الأرض بإجراء الماء فيها، وإنبات الزرع، وغرس الشجر، وإقامة أسباب السكن والمعيشة.

وقد اقتبس النبي ﷺ معنى الموت والحياة للأرض من القرآن الكريم، في أكثر من آية. كما في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣]، وقوله عن المطر ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [قٓ: ١١]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

ولا شك أنَّ من أعظم الموارد التي عني الإسلام بالمحافظة عليها، وعمل على تنميتها، والاستفادة من خيراتها: الأرض الزراعية التي هي مصدر القوت والطعام للإنسان، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۞ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢].

---

(١) الصحاح للجوهري مادة (م. و. ت).

(٢) رواه أحمد (١٤٨٣٩)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. والترمذي في الأحكام (١٣٧٩)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٥)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

وقد مرَّ بنا أن هذا يعد من أفضل الأعمال التي حثّ عليها الإسلام، ورغَّب فيها، ووعد فاعليها بأعظم المثوبة: استصلاح الأراضي البور، لما فيه من توسيع الرقعة الزراعية وزيادة مصادر الإنتاج، وقد عرف هذا الأمر في الفقه الإسلامي بعنوان معبر جميل هو: «إحياء الموات»، أو إحياء الأرض الميتة، قال رسول الله ﷺ: «**من أحيا أرضًا ميتة فهي له، وما أكلت العافية** (طلاب الرزق) **منها فهي له صدقة**»، قال أبو عبيد: العافية: من السباع والطير والناس وكل شيء يعتافه[1].

وفي الحديث الذي ذكرناه نجد أن النبي ﷺ قرر (ملكية الأرض) لمن أحياها، تشجيعًا على الإحياء، وتحريضًا عليه. ولا ريب أن حب التملك دافع فطري قوي في نفس الإنسان، فإذا وجد أن كل ما يحييه ويعمره من الأرض يملكه، دفعه ذلك إلى تحريك الهمة، وتقوية النشاط في توسيع دائرة الإحياء والعمران للأرض، حتى تدخل في ملكه.

وإحياء الموات يكون: بالغرس والزرع، وذلك لا يكون إلّا بإجراء الماء إليها من نهر أو بحيرة أو عين، أو حفر بئر بها أو نحو ذلك، إذ لا يحيا الغرس والزرع إلّا بالماء، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

ويكون الإحياء كذلك: بالبناء عليها، وإقامة مساكن فيها للنَّاس، فالأرض الموات، كما تحيا بالنبات والغرس، تحيا بالبناء والمسكن، ولهذا نرى الناس في عصرنا يتجهون إلى الصحاري ليقيموا فيها المباني، فيستفيدوا منها أمرين:

(١) الأموال لابن عبيد صـ ٣٦٢، تحقيق محمد خليل هراس، نشر دار الفكر، بيروت.

QaradawiBooks.com

١ ـ إحياء الصحراء بالبيوت والمساكن، فتدب فيها الحياة من كل جانب.

٢ ـ وتوفير الأرض الزراعية التي يقتات منها الناس، وقد أضحت المباني تجور عليها من كل جانب، حتى تكاد تأكلها. فمن أين يأكل الناس بعدئذ؟

ويكون الإحياء كذلك بإقامة المصانع في الأرض، فالمصانع كالمزارع، مطلوبة لحياة الناس، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] وقوله: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ إشارة إلى الصناعات الحربية، وقوله ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى الصناعات المدنية.

ويجب أن تكون هذه المصانع بعيدة عن المناطق السكنية، حتى لا تؤذي الناس بما قد يترتب عليها من أدخنة، أو من روائح يكرهها الناس، أو من ضجيج وضوضاء نتيجة تشغيل الآلات الكبيرة، وهو ملوث آخر من ملوثات البيئة، وقد قرر الإسلام: أن «لا ضرر ولا ضرار».

وكان من سياسة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين: الإقطاع من هذه الأراضي البور، لبعض الرجال الذين أدوا خدمات ممتازة للدولة الإسلامية، فهي مكافأة لهم من جهة، وتشجيع على استصلاحها وعمرانها من جهة أخرى.

وما قرب من العامر وتعلق بمصالحه، مثل طرقه وفنائه، ومسيل مائه، ومرعى أنعامه، ومحتطبه، وحريمه، ونحو ذلك من كل ما يحتاج إليه (العامر) ويعنون بالعامر: المدينة أو القرية، لعمل مدارس أو جامعات أو

QaradawiBooks.com

مصانع أو مستشفيات أو أندية أو مساحات خضراء، فلا يملك ذلك بالإحياء[١]، لأنه لا يعتبر مواتًا في هذه الحالة، لأنه لتعلقه بمصالح البلد العامر الحي، يعتبر في حكم الحي بسببه، فلا يدخل في الحديث الشريف: «**من أحيا أرضا مواتًا فهي له**» لأنها ليست ميتة. فإن ما جاور الشيء يأخذ حكمه.

بل ذهب بعض الفقهاء إلى أن القريب من العامر لا يملك بالإحياء، وإن لم يتعلق به مصلحة في الحال؛ إذ هو بصدد أن يحتاج إليه في المستقبل لقربه، وتنزيلًا للضرر في المآل منزلة الضرر في الحال، إذ هو بصدد أن يحتاج إليه في المآل[٢]. وهذا هو الذي يجب أن نرجحه في عصرنا، لسرعة تطور العمران، واتساع حاجات الناس، فلا بد من ترك مساحات فسيحة حول العمران من أجل حاجات المستقبل، التي قد لا نتوقعها اليوم.

ومن تحجر مواتًا، أي شرع في إحيائه، ولم يتمه ـ مثل أن يحيط حول الأرض ترابًا، أو بجدارٍ صغيرٍ، أو بحفر بئر، ولم يصل ماؤها ـ لم يملكه بذلك، لأن الملك يكون بالإحياء، ولم يتحقق. وهو أحق به من غيره ووارثه بعده، ومن ينقله إليه بالهبة، وليس له بيعه.

فإن لم يتم إحياؤه، قيل له: إما أن تحييه، وإما أن تتركه ليحييه غيرك، لأنه ضيق على الناس في حق مشترك بينهم، فلم يمكن منه. فإن طلب الإمهال أمهل الشهرين والثلاثة.

(١) انظر: المبدع شرح المقنع لابن مفلح (١٠٠/٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) المصدر السابق (١٠١/٥).

QaradawiBooks.com

ومن قُطِعَ له من هذه الأرض مساحة معينة، ثم تركها بغير أن يعمرها ويصلحها، كان لولي الأمر أن ينتزعها منه، ويعطيها لغيره ممن يقوم بإحيائها.

وقد روى أبو عبيد وغيره عن بلال بن الحارث المزني: «أن رسول الله ﷺ أقطعه العقيق ـ أرضًا بالمدينة ـ فلما كان زمان عمر، قال لبلال: إن رسول الله ﷺ، لم يُقطِعك لتحتجزه عن الناس، وإنما أقطعك لتعمل، فخذ منها ما قدرت على عمارته، ورد الباقي»[1].

وعن عبد الله بن عمر قال: كان عمر بن الخطاب يخطب على هذا المنبر يقول: «يا أيها الناس، من أحيا أرضًا ميتة، فهي له»[2]، وذلك أن رجالًا كانوا يحتجزون من الأرض ما لا يعمرون.

وكان من سنة عمر تشجيع الأفراد العاملين على زيادة الإنتاج، كنافع أبي عبد الله الذي كتب إلى واليه بالبصرة في شأنه يقول: «أما بعد، فإن أبا عبد الله ذكر أنه زرع بالبصرة... وافتلَى أولاد الخيل ـ رعاها بالفلاة ـ حين لم يَفْتِلها أحد من أهل البصرة، وإنه نعم ما رأى، فأعنه على زرعه وعلى خيله، فإني قد أذنت له أن يزرع، وآته أرضه التي زرع... ولا تعرض له إلَّا بخير»[3].

وجمهور الفقهاء لا يشترطون إذن الإمام أو ولي الأمر فيما يحييه من الأرض، ويعتبرون أن الحديث أعطى إذنا عاما بالإحياء والتملك لمن أحيا.

---

(١) رواه أبو عبيد في الأموال (٧١٣).

(٢) رواه أبو عبيد في الأموال (٧١٤).

(٣) فتوح البلدان للبلاذري صـ ٣٤٢، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

وذهب أبو حنيفة إلى أن الإحياء الــذي به تتحقق الملكية، هو الذي يكون بإذن الإمام، وأن الرسول حينما قال: «**من أحيا أرضًا ميتة فهي له**»[(١)] قاله بوصفه إمامًا للأمة، ورئيسًا للدولة.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

(١) سبق تخريجه صـ٧٣.

QaradawiBooks.com

٣

النظافة والتطهير

ومن الوسـائل التي حرص عليها الإسـلام في حفظ البيئة: العناية بالنظافة، والحقيقة أن موقف الإسـلام من النظافة موقف لا نظير له في أي دين من الأديان، فالنظافة فيه عبادة وقربة، بل فريضة من فرائضه.

إن كتب الشريعة في الإسلام تبدأ أول ما تبدأ بباب عنوانه «الطهارة» أي النظافة، فهذا أول ما يدرسه المسلم والمسلمة من فقه الإسلام.

وما ذلك إلَّا أن الطهارة هي مفتاح العبادة اليومية «الصلاة»، كما أن الصلاة مفتاح الجنة، فلا تصح صلاة المسـلم ما لم يتطهر من الحدث الأصغر بالوضوء، ومن الحدث الأكبر بالغسل، والوضوء يتكرر في اليوم عدة مرات، تغسل فيه الأعضاء التي تتعرض للاتساخ والعرق والأتربة، مثل الوجه - ومنه الفم والأنف - واليديـن والرجلين والرأس والأذنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة: ٦] وقـال ﷺ: «**لا يقبـل الله صـلاة بغير طهور**»[1].

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٤)، وأحمد (٤٧٠٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ومن شرط صحة الصلاة كذلك: نظافة الثوب والبدن، والمكان من الأخباث والقاذورات، قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] ومن ذلك: نظافة مخرج البول والبراز بالاستنجاء والغسل بالماء، إن تيسر، وإلَّا فبالمسح ولو بالأحجار ونحوها في الصحراء (الاستجمار).

وفوق ذلك أشاد القرآن والسنة بالنظافة وأهلها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وأثنى على أهل مسجد قباء. فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقال النبي ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**»(١) أي نصفه، وهو حديث صحيح.

ومن ذلك شاعت بين المسلمين هذه الحكمة، التي ينطق بها خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف لها مثيل عند غيرهم: وهي «النظافة من الإيمان».

وقد عُني النبي ﷺ بنظافة الإنسان، فدعا إلى الاغتسال، وخاصة يوم الجمعة: «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم**»(٢) أي بالغ «**حق على كل مسلم في كل سبعة أيام يغسل فيه رأسه وجسده**»(٣).

وعني بنظافة الفم والأسنان خاصة، فرغب في السواك أعظم الترغيب: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»(٤) بجوار الأمر

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦)، كلاهما في الجمعة، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٦، ٣٤٨٧)، عن أبي هريرة.

(٤) علّقه البخاري بصيغة الجزم قبل حديث (١٩٣٤)، ووصله أحمد (٢٤٣٣٢)، وقال مخرجوه: حديث صحيح لغيره. والنسائي في الطهارة (٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

بالمضمضة والاستنشاق في الوضوء؛ حتى اعتبرهما المذهب الحنبلي من فرائض الوضوء.

وأمر بنظافة الشعر «**من كان له شعر فليكرمه**»(١).

وبإزالة الفضلات من الإبط والعانة وتقليم الأظافر، واعتبر ذلك من سنن الفطرة(٢).

وعني بنظافة البيت وساحاته وأفنيته فقال: «**إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، طيِّب يحب الطِّيب، نظيفٌ يحب النظافة، فنظِّفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود**»(٣).

وعني بنظافة الطريق، وتوعّد كل من ألقى فيه أذى أو قذرًا: «**من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم**»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون ـ أو سبعون ـ شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلَّا الله**»(٥).

«أماط» الشيء عن الطريق: نحّاه وأزاله، والمراد بالأذى: كل ما يؤذي المار كالحجر والشوكة والعظم، والنجاسة والقذر ونحو ذلك.

---

(١) رواه أبو داود في الترجل (٤١٦٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤٣٤/٨)، والطبراني في الأوسط (٨٤٨٥)، وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري (٣٦٨/١٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٠٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٨٨٩)، ومسلم في الطهارة (٢٥٧)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الترمذي في الأدب (٢٧٩٩)، وقال: هذا حديث غريب وخالد بن إلياس يضعف. والبزار (١١١٤)، وضعفه الألباني في تخريج الحلال والحرام (١١٣)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٤) رواه الطبراني (١٧٩/٣)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٤٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٢٣)، عن حذيفة بن أسيد.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان.

QaradawiBooks.com

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**عرضت عليَّ أعمال أمتي حسنُها وسيئُها، فوجدت محاسن أعمالها الأذى يُمَاطُ عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النُّخَامَة تكون في المسجد لا تدفن**»(١).

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله، إنِّي لا أدري نفسي تمضي أو أبقى بعدك؛ فزدني شيئًا ينفعني الله به، فقال رسول الله ﷺ: «**افعل كذا، افعل كذا، وأَمِرَّ الأذى عن الطريق**». وفي رواية قال أبو برزة: قلت: يا نبي الله، علمني شيئًا أنتفع به، قال: «**اعزل الأذى عن طريق المسلمين**»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**على كل مِيسَم من الإنسان صلاة كل يوم**» فقال رجل من القوم: هذا من أشد ما أنبأتنا به، قال: «**أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة، وحملك عن الضعيف صلاة، وإنحاؤك القذر عن الطريق صلاة، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صلاة**»(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من نَفْس ابن آدم إلَّا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس**» قيل: يا رسول الله، من أين لنا صدقة نتصدق بها؟ فقال: «**إن أبواب الخير لكثيرة: التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتُمِيطُ الأذى عن الطريق، وتُسمِع الأصم، وتَهْدِي الأعمى، وتدل المَسْتَدِل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث،**

(١) رواه مسلم في المساجد (٥٥٣)، وأحمد (٢١٥٤٩).

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦١٨)، وأحمد (١٩٧٨٥).

(٣) رواه ابن خزيمة في الإمامة (١٤٩٧).

QaradawiBooks.com

وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك»[(١)] رواه ابن حبان في «صحيحه»[(٢)]؛ والبيهقي مختصرًا، وزاد في رواية: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن طريق الناس صدقة، وهديك الرجل في أرض الضالة لك صدقة**»[(٣)].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**في الإنسان ستون وثلاثمائة مَفْصِل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة**» قالوا: فمن يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: «**النخامة في المسجد تدفنها، والشيء تنحيه عن الطريق**»[(٤)].

ونجد آثار هذه التوجيهات النبويَّة في حياة جيل الصحابة وأبنائهم وتلاميذهم واضحا للعيان:

فعن المستنير بن أخضر بن معاوية عن أبيه قال: كنت مع معقل بن يسار رضي الله عنه في بعض الطرقات، فمررنا بأذى فأماطه ـ أو نحّاه ـ عن الطريق، فرأيت مثله، فأخذته فنحَّيتُه، فأخذ بيدي وقال: يا ابن أخي،

---

(١) هذا الحديث وما قبله وما بعده تجعل من المسلم ينبوع خير للمجتمع الذي يعيش فيه، فخدمة المجتمع ومساعدة أبنائه فريضة يومية عليه، بل على كل عضو من أعضاء بدنه، يتعبد بذلك لربه، ويعتبره الدين صدقة وصلاة. ولو أحسن المسلمون فهم ذلك والعمل به، لكانوا في مقدمة أمم الأرض تماسكًا ورقيًا في العمران والأخلاق، فأين المسلمون من هذا الحديث؟!

(٢) رواه ابن حبان في الوحي (٣٣٧٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبيهقي في شعب الإيمان (٧٢١٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢٩٧٠): صحيح لغيره.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣١٠٥)، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٢٩٧٠).

(٤) رواه أحمد (٢٢٩٩٨)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٥٢٤٢)، وابن خزيمة (١٢٢٦)، وابن حبان (١٦٤٢)، كلاهما في الصلاة.

QaradawiBooks.com

ما حملك على ما صنعت؟ قلت: يا عم، رأيتك صنعت شيئًا، فصنعت مثله، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أماط الأذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة، ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة**» رواه الطبراني في «الكبير» هكذا[1].

ورواه البخاري في كتاب «الأدب المفرد»، فقال: عن المستنير بن أخضر بن معاوية بن قرة عن جده[2].

قال الحافظ المنذري: وهو الصواب[3].

وعن أبي شيبة الهروي قال: كان معاذ يمشي، ورجل معه، فرفع حجرًا من الطريق، فقال: ما هذا؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رفع حجرًا من الطريق كتبت له حسنة، ومن كانت له حسنة دخل الجنة**»[4] رواه الطبراني في «الكبير» وقال الهيثمي: رواته ثقات[5].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**خُلِقَ كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مَفْصل، فمن كَبَّر الله، وحمد الله، وسبح الله، وهلل الله، واستغفر الله، وعزل الحجر عن طريق المسلمين، أو شوكة، أو عظما**

---

(١) رواه الطبراني (٢١٦/٢٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧٤٨): قال المزي: إسناده حسن. وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٣٠٦).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٣).

(٣) انظر: الترغيب والترهيب للمنذري (٣٧٨/٣)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

(٤) وهذا بشرط الإيمان، وهو مفهوم، لأن الذي تكتب له الحسنات هو المؤمن، وهو إلى الجنة في عاقبة أمره، وإن عذب بسوء عمله.

(٥) رواه الطبراني (١٠١/٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٦٦٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧٤٧): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات. وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٣٠٦).

QaradawiBooks.com

عن طريق المسلمين، وأمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة، فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح عن النار». قال أبو توبَة: وربما قال: «يمسي»[(١)].

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ: «**بينما رجل يمشي بطريق وجد غُصْنَ شوك فأخَّره، فشكر الله له فغفر له**»[(٢)].

وفي رواية لمسلم قال: «**لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين**»[(٣)].

وذكر الحافظ المنذري في كتابه (الترغيب والترهيب) أكثر من حديث في الترغيب في تنظيف المساجد وتطهيرها:

فعن أبي هريرة ﵁ أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد[(٤)] ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها بعد أيام، فقيل له: إنها ماتت، فقال: «**فهلّا آذنتموني؟**»[(٥)]... فأتى قبرها فصلى عليها. رواه البخاري ومسلم، وابن ماجه بإسناد صحيح واللفظ له، وابن خزيمة في «صحيحه»، إلَّا أنه قال: إن امرأة كانت تلقط الخرق والعيدان من المسجد[(٦)].

فانظر: كيف اهتم الرسول بأمر هذه المرأة والسؤال عنها، والصلاة على قبرها، لما كانت تقوم به من تنظيف المسجد.

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٥٢)، ومسلم في الإمارة (١٩١٤)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (١٩١٤) (١٢٩).

(٤) تقم: تجمع القمامة، والقمامة كالكناسة وزنا ومعنى.

(٥) آذنتموني: أعلمتموني.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦)، كما رواه ابن ماجه (١٥٢٧)، كلاهما في الجنائز، وابن خزيمة في الصلاة (١٢٩٩).

QaradawiBooks.com

فالحديث يدل على اهتمام المرأة بالمسجد ونظافته في عصر النبوة. فلا عجب أن سأل الرسول ﷺ عنها، حين افتقدها، ولام أصحابه حين لم يعلموه بموتها، وصلى عليها في قبرها بعد موتها.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ: أن نتخذ المساجد في ديارنا[١]، وأمرنا أن ننظفها. رواه أحمد[٢]، والترمذي وقال: حديث صحيح[٣].

كما ذكر في الترهيب من البصاق في المسجد:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب يومًا إذ رأى نُخَامَة في قبلة المسجد ـ فتَغَيَّظ على الناس، ثم حَكَّهَا ـ قال: وأحسبه قال: فدعا بزعفران، فلطخه به ـ وقال: «**إن الله عز وجل قِبَل وجه أحدكم إذا صلّى فلا يبصق بين يديه**»[٤]. رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود واللفظ له.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ كان تعجبه العَرَاجِينُ أن يمسكها بيده، فدخل المسجد ذات يوم، وفي يده واحد منها، فرأى نخامات في قبلة المسجد، فحَتَّهُنَّ حتى أنقاهن، ثم أقبل على الناس مُغْضَبًا فقال: «**أيحب أحدكم أن يستقبله رجل فيبصق في وجهه؟ إن**

(١) المراد بالدور: محال القبائل، كما يقال دار بني فلان، وذلك ليجتمعوا فيها ويقيموا الصلاة، إذا شق عليهم الذهاب إلى المسجد الجامع.

(٢) رواه أحمد (٢٠١٨٤)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الصلاة (٤٥٦)، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٢٧٨).

(٣) لم أقف عليه عند الترمذي من حديث سمرة، إنما رواه الترمذي في السفر (٥٩٤)، عن عائشة، و(٥٩٥) عن عروة مرسلًا، وقال: وهذا أصح من الحديث الأول.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٠٦)، ومسلم في المساجد (٥٤٧)، كما رواه أبو داود في الصلاة (٤٧٩).

QaradawiBooks.com

أحدكم إذا قـام إلى الصلاة فإنما يسـتقبل ربـه، والمَلَكُ عـن يمينه، فلا يبصق بين يديه، ولا عن يمينه»[١].

ضرب النبي ﷺ المثل لهم، فحرص على إزالة الأذى والقذر بنفسه، حتى يعلمهـم العناية بالنظافة عامة، وبالمسـاجد خاصـة، لأنها ملتقى المسلمين، ومظهر حضارتهم، ووجه دينهم، وعلى الأخص جهة القبلة، لما ترمز إليه من معان كريمة نبه عليها الرسول الكريم.

❊ ❊ ❊

(١) رواه أحمد (١١١٨٥)، وقال مخرجوه: إسناده قوي. وابن خزيمة في الصلاة (٨٨٠).

QaradawiBooks.com

٤

المحافظة على الموارد

غير مرخصة للطباعة

المحافظة على الموارد: موضوع هام يبحثه الاقتصاديون، كما يبحثه علماء البيئة. ولا غرو أن تحدثنا عنه في كتابنا: «دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي» باعتباره قيمة من القيم الأساسية في الاقتصاد، ولا سيما في مجال الإنتاج. وهنا نتحدث عنه مرة أخرى بوصفه دعامة من الدعائم المهمة في الحفاظ على البيئة وصلاحها ونمائها وبركتها. فإن من الأصول الأخلاقية والتشريعية المهمة هنا المحافظة على «الموارد» باعتبارها نعما من الله تعالى على خلقه، فواجبهم أن يقوموا بشكرها، ومن شكرها المحافظة عليها من التلف أو الخراب أو التلوّث أو غير ذلك، مما يعتبر نوعا من الإفساد في الأرض.

والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقال تعالى لبني إسرائيل بعد أن فَجَّر لهم في التيه اثنتي عشرة عينًا: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

وقال شعيب لقومه: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقبل ذلك: قال صالح لقومه: ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

QaradawiBooks.com

والإفساد في الأرض قد يكون ماديا، بتخريب عامرها، وتلويث طاهرها وإهلاك أحيائها، وإتلاف طيباتها، أو تفويت منفعتها.

وقد يكون معنويا، بإشاعة الظلم، ونشر الباطل، وتقوية الشر، وتلويث الضمائر، وتضليل العقول.

وكلاهما شر يبغضه الله تعالى، ولا يحب أهله.

لهذا تكرر في القرآن أن الله ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤] و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وذم الله اليهود بقوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

فما هي تلك الموارد؟ هناك الموارد الطبيعية، وهي هبات الله في الطبيعة التي يمكن أن تتحول إلى ثروة: هي الغلاف الغازي بعناصره المختلفة، وهي الغلاف المائي، وهي الغطاء النباتي الطبيعي في صورة مختلفة. وبمعنى آخر: هي الموارد الزراعية (المناخ والتربة)، وهي الموارد النباتية في صورة الغابات والحشائش، وهي الموارد البحرية سواء أكانت في مناطق الرصيف القاري أو في الأعماق المحيطة، وهي في النهاية: الموارد التعدينية في صخور الأرض ومعادنها المختلفة، ولعل هناك موارد أخرى لم نستطع تحويلها إلى ثروة حتى الآن، كالموارد الشمسية أو الجاذبية مثلًا[1].

هذا ما يقرره الاقتصاديون، فإذا تأملنا في القرآن الكريم وجدناه يدفعنا دفعًا إلى استغلال هذه الموارد. إنه ينبه عقولنا، ويلفت أنظارنا

(١) قواعد الجغرافية الاقتصادية للدكتور نصر السيد نصر صـ ٢٦، ط ٢.

QaradawiBooks.com

بقوة إلى هذا الكون المحيط بنا، بمائه وهوائه وبحاره وأنهاره، ونباته وحيوانه وجماده، وشمسه وقمره، وليله ونهاره، كل ذلك مسخر لمنفعة الإنسان، تكريمًا من الله له ونعمة عليه، فعليه أن ينتفع بما سخر الله له إن كان من أهل الفكر والعلم، نقرأ في ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

الثروة الحيوانية:

نبّه القرآن على الثروات الطبيعية ـ في مختلف صورها ـ في كثير من آياته وسوره.

ففي سورة كسورة النحل تنبيه على الثروة الحيوانية، وما ينتج عنها من لحوم وألبان وجلود وأصواف وغيرها، فقال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]، ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

QaradawiBooks.com

الثروة النباتية:

وفي السورة نفسها تنبيه على الثروة النباتية بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠ ـ ١١].

وفي صناعة الحلويات وما يتصل بها بقوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧].

ويدخل في الثروة الحيوانية: النحل وما ينتج عنه، يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨ ـ ٦٩].

وفي سورة يس يقول تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ ـ ٣٥].

الثروة البحرية:

وفي السورة نفسها (النحل) لفت إلى الثروة البحرية وإمكان استغلالها في صيد الأسماك واللآلئ، والانتفاع بها في التجارة المحلية والدولية، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

QaradawiBooks.com

الثروة المعدنية:

ومن أبرز ما ورد في القرآن من التنبيه على الثروة المعدنية قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وفي الآية دلالة على أهمية هذا المعدن الخطيرة (الحديد) في حياة البشر في الناحيتين: العسكرية والمدنية.

ومما له مغزى عميق أن تسمى السورة التي ذكرت فيها هذه الآية سورة «الحديد».

كما ذكر القرآن «القِطْر» في قصة السد العظيم الذي بناه ذو القرنين: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٦ ـ ٩٧].

وفي معرض الامتنان على سليمان وما سخر الله له من طاقات كونية، قال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢].

الشمس والقمر:

وأكثر من ذلك كله تصريح القرآن في غير سورة: أنه سخر للإنسان الشمس والقمر، وهذا التسخير يمد حبل الأمل للإنسان، ويشبع من طموحه في السيطرة على الفضاء وتسخيره بأمر الله والانتفاع بالطاقة الشمسية، والوصول إلى القمر بل الشمس وتسخيرهما لمنفعة الإنسان، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢][1].

---

(١) انظر كتابنا: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي صـ ١٣١ ـ ١٣٤، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

المحافظة على الثروة الحيوانية:

ومن أهم ما جاء به الإسلام في تنمية البيئة والحفاظ عليها وعلى مواردها: عنايته بالثروة الحيوانية.

وعناية الإسلام بالثروة الحيوانية من جهتين:

الأولى: أنها كائنات حية تحس وتتألم، ولها حاجات وضرورات ومطالب، يجب أن تهيأ لها، ولا يحل التقصير في حقها، لأنها لا تستطيع أن تطالب به، ولا أن تُسَيِّرَ مظاهرة تضغط على الإنسان ليرعاها، ولا يمكنها رفع أمرها للقضاء.

لهذا كانت رعايتها ابتغاء وجه الله تعالى، وطلبًا لمرضاته ومثوبته، وخشيةً من عقابه ﷻ، فهو من مراعاة المثل الأخلاقية العليا لذاتها، التي تميزت بها الشريعة الإسلامية(١).

والجهة الثانية: أنها تمثل ثروة للإنسان، وموردًا هامًّا من موارد البيئة، وخصوصًا الحيوانات المستأنسة منها، والدواجن ونحوها، فإضاعتها تعني إضاعة مال الإنسان، وهو منهي عنه.

لهذا جاء التوجيه النبوي الكريم يحذر من إضاعة هذه الحيوانات، أو القسوة عليها، أو العبث بها، إرضاء لنزوات الإنسان وغروره وأنانيته.

تعطيل الثروة الزراعية والحيوانية من عمل الشرك:

ولقد حمل القرآن على نوع من الفساد شاع لدى مشركي العرب، وهو تعطيل بعض الموارد الزراعية والحيوانية، بناء على أوهام وأباطيل

---

(١) انظر كتابنا: مدخل لدراسة الشريعة صـ ١٠٢ ـ ١٨، فصل: الأخلاقية، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٦، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

شركية، ما أنزل الله بها من سلطان، وناقشـهم مناقشة مفصلة في سورة الأنعام كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

وفي سورة يونس خاطبهم بقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

الوعيد على قتل عصفور عبثًا:

وأكدت السُّـنَّة الأمر بالمحافظة على الموارد بأسـاليب شـتى من الترغيب والترهيب.

من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**من قتل عصفورًا عبثًا، عج إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب، إنّ فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلني منفعة**»[1].

«**ما من مسلم يقتل عصفورًا فما فوقها، بغير حقها، إلّا يسأله الله عز وجل عنها**» قيل: يا رسول الله؛ وما حقها؟ قال: «**أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها، ويرمي بها**»[2].

(١) رواه أحمد (١٩٤٧٠)، وقال مخرجوه: إسـناده ضعيف. والنسائي في الضحايا (٤٤٤٦)، وابن حبان في الذبائح (٥٨٩٤)، عن الشريد بن سويد.

(٢) رواه أحمد (٦٥٥٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وصحّح إسناده الشيخ شاكر في تخريجه للمسـند، والنسـائي في الصيد والذبائح (٤٣٤٩)، والحاكم في الذبائح (٢٣٣/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٩٢): حسن لغيره. انظر تعليقنا على الحديثين في كتابنا: المنتقى من الترغيب والترهيب (٣٠٢/١)، نشر مركز بحوث السنة والسيرة، قطر، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

والحديثان يدلان دلالة قويـة على احتـرام كل ذي روح من الطير والحيوان، ومنع قتله لغيـر حاجة ولا منفعة معتبرة، كما يرشـدان إلى المحافظة على موارد الثـروة، وعدم تبديدها باللهـو والعبث، أي لغير منفعة اقتصادية.

بالإضافـة إلى ما يـدل عليه الحديثان مـن المحافظة على البيئة بكل ما فيها مـن الكائنات الحية، التي أصبـح التقدم التكنولوجـي خطـرًا عليهـا.

وفي هذا الهدْي النبوي تنديد بحملات الصيد أو (القنص) التي يقوم بها كثير من أهل الثراء، الذين يتخذون من الصيد وسـيلة للهو، وتزجية أوقات الفراغ، وصيد الغزلان وبعض الطيور في أحيان كثيرة لغير الأكل، بل للعبث والتلهي.

الحفاظ على الحيوانات من العدوى:

ومن التوجيهات النبويَّة حديث: «**لا يوردن مُمْرض على مُصِح**»[1].

والممرض: صاحب الإبل المريضة بداء الجرب، والمصح: صاحب الإبل الصحيحة السليمة، فعندما تورد الإبل للشرب، يجب على صاحب الإبل المريضة ألا يوردها على الإبل السليمة، فتحتك بها فتعديها، وهذا توجيه لوقايتها من المرض، فإذا أصيبت، فيجب أن تعالج حفاظًا عليها، باعتبارها كائنًا حيًّـا من ناحية، وباعتبارها مـالًا ناميًا من ناحية أخرى، ولا يتم هذا الواجب إلَّا بطبيب بيطري متخصص، فهو مطلوب شرعًا.

(١) متفق عليـه: رواه البخاري في الطـب (٥٧٧٠، ٥٧٧١)، ومسـلم في السـلام (٢٢٢١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

إياك والحلوب:

ومن روائع ما ورد في السنة في المحافظة على الموارد: قول النبي ﷺ لمضيفه الأنصاري الذي أراد إكرامه بذبح شاة: «**إياك والحلوب**»[(١)].

قاله له حينما أخذ الرجل المدية ومضى ليذبح.

ومعنى الحديث: أنه عليه الصلاة والسلام نهى المضيِّف أن يعمد إلى شاة ينتفع بدرها ولبنها، لأنها حلوب، فيذبحها، فيخسر درها وحليبها، ويخسرها معه المجتمع، ويغني عنها شاة أخرى غير حلوب.

وربما يقول بعض الناس: وماذا يؤثر ذبح شاة في موارد مجتمع أو أمة؟

والجواب: أن الرسول الكريم يربّي الأمة على قيم، وأخلاق معينة ينبغي أن يلتزم بها الجميع، ورعاية هذه القيم والأخلاقيات على مستوى الأمة ذو مردود هائل، عند من يتدبرون الأمور.

الانتفاع بجلد الميتة:

وأكثر من ذلك قوله لأصحابه، وقد رأى شاة ميتة: «لمن هذه الشاة»؟ قالوا: إنها شاة لمولاة ميمونة ـ أم المؤمنين ـ قال: «**هلا انتفعتم بجلدها؟**» قالوا: إنها ميتة. قال: «**إنما حرم أكلها**»[(٢)].

فهو ينبههم على الاستفادة بجلد الشاة ـ فروتها ـ بأن يُدبغ، فيطهر بالدباغ، وينتفع به.

---

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٨)، وابن ماجه في الذبائح (٣١٨٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٢)، ومسلم في الحيض (٣٦٣)، عن ابن عباس.

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

المحافظة على الأجناس الحية من الانقراض:

ومن التعاليم التي جاء بها الإسلام في المحافظة على البيئة، ما سبق زمانه، حتى إن المرء في عصرنا ليدهش له، وهو المحافظة على أجناس المخلوقات الحيـة من الفناء والانقراض، فـإن الله تعالى لم يخلقها إلّا لحكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها.

وقد حكى القرآن عن (أولي الألباب) مـن أهل الذكر والفكر: أنهم حين تفكروا في خلق السـماوات والأرض، قالـوا: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ**﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقد تحدثت يومًا مع أحد علماء البيئة المختصين، وذكرت له مدى عناية الإسلام بالبيئة وتحسينها، والمحافظة عليها، وأوردت بعض مظاهر ذلـك وأدلته، فراعه ذلـك وأعجبه، وسـألني: هل يمكـن أن نجد في النصوص الشـرعية ما يؤيـد فكـرة المحافظة على بعـض الأنواع من الحيوانات أو الطيور أو غيرها من الانقراض؟

قلت: نعم، نجد ذلك صريحًا في حديث رسول الله ﷺ، الذي يقول في صراحة وجلاء: «**لولا أن الكلاب أمة من الأمم، لأمرت بقتلها، فاقتلوا منها الأسود البهيم**»[1].

فهذا الحديث النبوي الشريف يشـير إلى حقيقة كونية قررها القرآن الكريم، وهـي أن الكائنات الحية الأخرى ـ غيـر العاقلة ـ لها كينونتها الاجتماعيـة الخاصة، التـي تميزها عن غيرها، وتربـط بعضها ببعض.

---

(١) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الصيـد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام (١٤٨٦)، وقال: حسـن صحيح. وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، عن عبد الله بن مغفل.

QaradawiBooks.com

وبتعبير القرآن: كل منها أمة مثلنا. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨].

و(المثلية) التي ذكرها القرآن الكريم لا تقتضي المشابهة في كل شيء، فالمشبه لا يقتضي أن يكون كالمشبه به في جميع الوجوه، بل في وجه معين يقتضيه المقام، وهو هنا (الأممية) فكل منها أمة لها كيانها واحترامها. وحكمة لله تعالى في خلقها: تمييزها عما سواها من الأجناس والأمم الأخرى.

فأمة النمل غير أمة النحل، غير أمة العنكبوت. وأمة الكلاب غير أمة السنانير، غير أمة أبناء آوى.

وما دامت أمة، فلا ينبغي أن تستأصل، لأن هذا ينافي حكمة الله سبحانه في خلقها، فإن الله تعالى لم يخلق شيئًا عبثًا.

ولا غرو أن جاء هذا الحديث النبوي الشريف في شأن الكلاب، برغم تأذي بعض الناس منها، أو من بعض أنواعها على الأقل، فربما خطر ببال بعض الناس أن يجردوا حملة للقضاء عليها، والخلاص منها، فلا تبقى لها من باقية. فجاء هذا الحديث ينفي هذا الخاطر، ويعارض هذا اللون من التفكير، معللًا بهذه العلة التي تعلو على منطق العصر الذي قيل فيه الحديث، لولا أن قائله لا ينطق عن الهوى ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

يقول الإمام أبو سليمان الخطابي في شرح الحديث في كتابه: (معالم السنن):

QaradawiBooks.com

«معناه: أنه كـره إفناء أمة من الأمم، وإعـدام جيل من الخلق، حتى يأتي عليه كله، فلا يبقى منه باقية، لأنه ما من خلق لله تعالى إلَّا وفيه نوع من الحكمة، وضرب مـن المصلحة. يقـول إذا كان الأمـر على هذا، ولا سـبيل إلى قتلهن كلهن، فاقتلوا شرارهن، وهي السود البُهْم، وأبقوا ما سـواها، لتنتفعوا بها في الحراسـة، ويقال: إن السـود منها شرارها وعقرها»[1] اهـ.

ذكرت ملخص هذا الكلام لأستاذ البيئة الذي سألني، فقال: عجيب أن يكون عندنا مثل هذه الكنوز الثمينة، ولا نطلع عليها، ولا نعرفها.

قلت له: إن عندنا من هذه الكنوز الكثير في كل جانب، ولكن هذه الكنوز الدفينة عادة تحتاج إلى من يفتـش عنها في مظانها، ويزيح التراب والأحجار عنها، كما يفعل رجال الآثار في البحث عنها في باطن الأرض، حتى يجدوها مطمورة تحت الثرى، أو بين الأتربة والصخور، ومن جد وجد، ولكل مجتهد نصيب[2].

يؤكد هذا التوجيه النبوي المسـتنبط من القرآن الكريم: ما استنبطه بعضهم مما أوحى الله به إلى نبيه نوح عليه السلام قبل مجيء الطوفان: أن يصنع سـفينته بأعين الله تعالى ووحيه، وأن يحمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين،

---

(١) انظر: معالم السنن للخطابي (٢٨٩/٤)، نشر المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م. وقد اختلف الفقهاء في حكم قتل الكلاب، والصحيح أنه لا يجوز قتلها، إلَّا ما كان يؤذي ويضر. وقد أجازت النصوص اقتناءها للصيد والماشية والزرع، ويقاس عليها سائر المنافع المعتبرة شرعا، كحراسة المنازل ونحوها، كما قاله ابن عبد البر وغيره. انظر: مختصر السنن المذكور.

(٢) انظر كتابنا: السُّنَّة مصدرًا للمعرفة والحضارة صـ ١٤١ ـ ١٤٧، التربية البيئية، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

كما جاء ذلك في القرآن الكريم في سورة هود وفي سورة (المؤمنون). يقول تعالى في قصة نوح في سورة هود:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [هود: ٤٠].

وفي سورة المؤمنون قال تعالى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

قال الحافظ ابن كثير: أمر الله نوحًا عليه السلام أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين، من المخلوقات ذوات الأرواح، (يعني من الحيوانات والطيور والحشرات والزواحف، ونحوها من كل ما يعيش في البر)، وقيل: وغيرها من النباتات، اثنين ذكرًا وأنثى[(١)].

والزوج هنا: الواحد المزدوج بآخر من جنسه، فالذكر زوج للأنثى، كما هي زوج له، والاثنان زوجان، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥] وكما قال تعالى ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

وقد يطلق الزوج على مجموع الذكر والأنثى، وليس بمراد هنا، وإلَّا لزم أن يحمل من كل صنف أربعة. وليمنع هذا التوهم وصف بقوله (اثنين).

وحاصل المعنى كما قال الآلوسي: احمل ذكرًا وأنثى من كل نوع من الحيوانات.

(١) تفسير ابن كثير (٣٢١/٤)، تحقيق سامي سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

قال: وأدرج فيه أناسيَّ الهوامِّ والطير[١].

وقد سمّى بعض علماء الطبيعة هذا الصنيع ـ من الحفاظ على الأحياء من الانقراض ـ (مبدأ نوح) أخذًا من عمله في السفينة[٢].

ولكن إنما يتم هذا الاستدلال إذا كان نوح قد أمر بذلك للإبقاء على أجناس الأحياء، ولا دليل على ذلك في النص. وخصوصًا أن بعض العلماء قد ذهبوا إلى أن الطوفان لم يعم الأرض كلها. وهذا هو المعقول. فأمر نوح بحمل ما يحتاج إليه إذا نجا ومن معه من الغرق، لئلا يغتموا لفقده، ويتكلفوا مشقة جلبه من الأصقاع النائية، التي لم يصلها الطوفان. فكأنه قيل: احمل فيها من كل ما تحتاجون إليه ـ إذا نجوتم ـ زوجين اثنين[٣].

فالعمدة في هذه القضية إذن هو الحديث الذي ذكرناه في عدم قتل الكلاب، لأنها أمة من الأمم.

نموذج من عناية الفقه الإسلامي بالحيوان:

ولقد قننت هذه العناية بالحيوان في فقهنا الإسلامي بكل مذاهبه، التي وضحت أن لهذه الحيوانات حقوقًا يجب أن ترعى وتؤدَّى.

وأنقل هنا فقرات من كتاب فقهي معتبر عند الحنابلة، وهو «شرح غاية المنتهى» قال: «وعلى مالك بهيمة إطعامها، ولو عطبت (أي لم يرج

(١) روح المعاني للآلوسي (٢٥١/٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) راجع: بحث د. كمال البتانوني، المقدم للمنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور اسلامي، بجدة، أكتوبر، ٢٠٠٠م.

(٣) روح المعاني (٢٥٣/٦).

QaradawiBooks.com

منها نفع)، وعليه سقيها حتى تنتهي إلى أول شبع، وأول ري دون غايتها، لحديث ابن عمر قال: «**عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعًا...**» الحديث[١].

فإن عجز عن نفقتها أجبر على بيع أو إجارة، أو ذبح مأكول، إزالة لضررها وظلمها، ولأنها تتلف إذا تركت بلا نفقة، وإضاعة المال منهي عنه.

فإن أبى فعل شيء من ذلك فعل الحاكم الأصلح من الثلاثة، أو اقترض عليه، وأنفق عليه، كما لو امتنع من أداء الدين. ويحرم لعنها ـ أي البهيمة ـ لما روى أحمد ومسلم عن عمران[٢]: أنه ﷺ كان في سفر فلعنت امرأة ناقة فقال: «**خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة**» فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد[٣].

ولهما من حديث أبي برزة: «**لا تصحبنا ناقة عليها لعنة الله**»[٤]، ولمسلم من حديث أبي الدرداء أنه قال: «**لا يكون اللعانون شفعاء يوم القيامة**»[٥].

ويحرم تحميلها ـ أي البهيمة ـ مُشِقًّا (ما يشق عليها)؛ لأنه تعذيب لها. ويحرم حلبها ما يضر ولدها؛ لأن لبنها مخلوق له أشبه ولد الأمة، ويسن للحلاب أن يقص أظفاره لئلا يجرح الضرع.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.
(٢) في المطبوع عمر، والصواب عمران كما في صحيح مسلم ومسند أحمد.
(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٥)، وأحمد (١٩٨٧٠).
(٤) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٦)، وأحمد (١٩٧٦٦).
(٥) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٨)، وأبو داود في الأدب (٤٩٠٧).

QaradawiBooks.com

ويحرم ضرب وجه ووسم (أي كَيٍّ فيه) أي في الوجه؛ لأنه ﷺ لعن من ضرب أو وسم الوجه ونهى عنه[١]. ذكره في الفروع... ويكره جَزُّ معرفة وناصية، وجز ذَنَب، وتعليق جرس، أو وتر للخبر. ويكره له إطعامه فوق طاقته، وإكراهه على الأكل، على ما اتخذه الناس عادة لأجل التسمين، قاله في «الغنية».

ويجب على مقتني الكلب المباح أن يطعمه ويسقيه أو يرسله؛ لأن عدم ذلك تعذيب له، ولا يحل حبس شيء من البهائم لتهلك جوعًا أو عطشًا لأنه تعذيب، ولو غير معصومة لحديث: «**إذا قتلتم فأحسنوا القتلة**»[٢]،[٣] انتهى.

وهكذا نجد فقهنا الإسلامي يتعمق في القضية، حتى يدخل في هذه التفصيلات الكثيرة، التي لا تكتفي برعاية الجانب المادي للحيوان، بل بالجانب الأدبي، حتى إنه يحرم لعن البهيمة، كأنما هي كائن يحس ويعقل. وهي ذروة في التعامل لم ترتق إليها أي فلسفة من الفلسفات أو دين من الأديان.

وقد ذكر الفقهاء أن مما يوجب التعزير قطع ذنب الدابة[٤]، لما فيه من إيذاء وتشويه لها.

---

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١١٦)، وأحمد (١٤٤٢٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٧، وأوّله: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**».

(٣) مطالب أولي النهى شرح غاية المنتهى للرحيباني (٥/٢٦٢ ـ ٢٩٤)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٤) ذكر ذلك في الفتاوى الهندية (٢/١٦٩)، نشر دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٣١٠هـ. انظر: التعزير في الشريعة الإسلامية للدكتور عبد العزيز عامر صـ ٢٠٦، نشر دار الكتاب العربي، مصر، ط ٢، ١٩٥٦م.

QaradawiBooks.com

ومن اهتمام المسلمين بالحيوانات: اهتمام علم (الحسبة) ـ وقد أُلِّفَ فيه عدد من الكتب في مختلف المذاهب الفقهية ـ بموضوع الحسبة على البياطرة، ويقصد بهم الأطباء الذين يعالجون الحيوانات، وهي ـ كما قالوا ـ أصعب علاجًا من أمراض الآدميين؛ لأن الدواب ليس لها نطق تعبر به عما تجده من المرض والألم، وإنما يستدل على عللها بالحس والنظر، فيحتاج البيطار إلى حسن بصيرة بعلل الدواب وعلاجها، فلا يتعاطى البيطرة إلَّا من له معرفة وخبرة، فلا يتهجم على الدواب بَفَصْد أو قطع أو كَيٍّ وما أشبه، بغير خبرة، فيؤدي إلى إهلاك الدابة أو عطبها، فيلزمه الضمان من طريق الشرع، ويعزره المحتسب من طريق السياسة.

وذكر العلماء هنا تفاصيل كثيرة مهمة، تدل على مدى عنايتهم بهذا الأمر(١).

المحافظة على الثروة النباتية:

ومن الموارد المهمة: الثروة النباتية التي يحتاج إليها الإنسان والحيوان في غذائهما، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۞ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢].

فهكذا خلق الله النبات متاعًا ومنفعة للآدميين ولأنعامهم التي تخدمهم وهي صحيحة، ويأكلونها وهي ذبيحة، فهي في النهاية متاع لهم في الحقيقة.

---

(١) انظر: معالم القربة في طلب الحسبة لابن الأخوة القرشي صـ ١٥٠، نشر دار الفنون، كامبردج.

QaradawiBooks.com

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۞ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٣، ٥٤].

وقال سبحانه معددًا آياته في الخلق، ونعمه على الناس: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۞ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ ـ ٣٥].

وفي آيات أخرى لفت الأنظار ونبه العقول إلى ما في الزرع من بديع صنع الله الذي أتقن كل شيء، والذي يرى الإنسان فيه الجمال المبهج للأنفس، والذي يسر الناظر بينعه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وقد ذكر علماء النبات المختصون والمتتبعون له ولفصائله وأنواعه وألوانه في شتى بقاع الأرض: أن هناك نحو مائتين وخمسين ألفًا من أنواع النبات وألوانه! ولا يسعنا إلّا أن نقول: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

هذه الثروة النباتية التي توفر للإنسان الثمر الطيب، والظل الظليل، والمنظر الجميل، ومنافع كثيرة بدأنا ندركها اليوم، إنما هي نعم من الله تبارك وتعالى يجب أن تقابل بالشكر للمنعم جل شأنه، ومن شكره سبحانه عليها أن ننميها ونحافظ عليها، ونقوم بحسن رعايتها، حتى تؤتي

QaradawiBooks.com

أكلها كل حين بإذن ربها، وألا نهملها فتضيع وتهلك وتذوى، ولا نقطها لغير حاجة أو مصلحة معتبرة، بل نزيد مساحتها بالغرس والزرع ما استطعنا، وألا نسرف في استهلاكها بغير حساب، وأن نعاملها بالإحسان والرفق، كما سنبين ذلك بعد. فإن لم نفعل ذلك، فقد كفرنا نعمة الله تعالى، ومن كفر نعمة الله فإن الله شديد العقاب.

ومما ذكره القرآن عبرة لنا: قصة قوم أضاعوا ثروتهم النباتية الطيبة العظيمة، بسوء ما صنعوا، فقد منَّ الله تعالى عليهم بثروة زراعية هائلة، ولكنهم لم يقوموا بحق شكرها، والمحافظة عليها، فَسُلِبُوا هذه النعمة، جزاءً وفاقًا.

وهؤلاء هم قوم سبأ باليمن، الذين قصّ الله علينا قصتهم في سورة سمّيت باسمهم: سورة سبأ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۞ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۞ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٧].

لقد انهار سدهم العظيم الذي أقاموه، فانهارت حياتهم بسببه، وتفرّقوا وتمزّقوا «شر ممزّق» كما قال القرآن(١)، وضرب بهم المثل، فقيل: تفرقوا تفرق أيدي سبأ.

قاطع السدر في النار:

يؤكد هذا التوجه الحديث الشريف: «**من قطع سِدْرة صوب الله رأسه في النار**»(٢).

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٥٢٣٩)، والنسائي في الكبرى في السير (٨٥٥٧)، وصحَّحه الألباني =

QaradawiBooks.com

قال أبو داود بعد أن روى هذا الحديث: يعني من قطع سدرة في فلاة، يستظل بها ابن السبيل والبهائم، عبثًا وظلمًا، بغير حق يكون له فيها، صوَّب الله رأسه في النار.

وفي هذا الوعيد الشديد توجيه إلى المحافظة على الأشجار، ومنها أشجار البرِّ والغابات، لما فيها من نفع كبير للبيئة، فلا يجوز أن تقطع إلَّا بقدر وحساب، بحيث يغرس مكانها غيرها، مما يقوم بوظيفتها.

المحافظة على الثروة المائية:

ومن أهم الموارد التي تجب العناية بها، والمحافظة عليها: الماء، أصل الحياة للإنسان والحيوان والنبات، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

الماء ثروة غالية نفيسة، ولكن الناس لا يقدرونها حق قدرها، لأن الله تعالى هيّأها للناس بالمجان، في الأنهار والبحيرات والأمطار، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۞ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۞ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٠ ـ ٣٣].

ومن فضل الله تعالى على عباده أن جعل الأشياء الضرورية للناس أرخص الأشياء؛ لأنه هيأها للناس بوفرة، مثل الماء والهواء والحرارة والضياء. وهذا ما جعل كثيرًا من الناس للأسف لا يحسون بقيمة هذه

= في الصحيحة (٦١٤)، عن عبد الله بن حبشي. والمراد بالسدرة: شجرة السدر (النبق) التي يكثر وجودها في البراري.

QaradawiBooks.com

النعم إلَّا إذا فقدوها أو حرموا منها ولو جزئيًّا أو نسبيًّا، فيدركون حينئذ قدرها وفائدتها. وبضدها تتميز الأشياء.

ولكن مما ينبغي أن يعلم أن الماء خاصة لا يقبل الزيادة والنماء، مثل الثروة النباتية، أو الثروة الحيوانية. كما أشار إلى ذلك القرآن بقوله ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨].

وإذا كانت الكائنات الحية ـ وعلى رأسها الإنسان ـ لا تستطيع أن تعيش بغير الماء، والماء محدود، فالواجب على البشر أن يحافظوا على هذا الكنز النفيس، ولا يسيئوا إليه، بتلويثه أو إفساده أو إضاعته في غير وجهه، أو الإسراف في استهلاكه لغير حاجة حقيقية، أو مصلحة لها اعتبارها عند العقلاء من الناس.

ولقد نبَّه علماء البيئة والبيولوجيا وغيرهم على أن الماء من أهم مكونات البيئة، وأن الحاجة إليه عامة، وأن البشرية مقبلة على أزمة في المياه، توشك أن تكون من أسباب الحروب بين الناس بعضهم وبعض، وأن الماء في المستقبل سيكون أهم وأغلى من النفط، وربما ظهرت بوادر ومؤشرات لهذه الأزمة المخوفة نلحظها اليوم.

ونحن إذا أمعنا النظر في تعاليم الإسلام وأحكامه نجد أنه عني عناية بالغة بالحفاظ على الثروة المائية، وتقدير نعمة الله فيها، وذلك من خلال عدة أحكام وتوجيهات ملزمة للمسلمين، بعضها تلزمهم أخلاقيا، وبعضها تلزمهم قانونيًّا. منها:

النهي عن تلويث الماء:

من هذه التوجيهات الإسلامية: النهي عن تلويث الماء بأي سبب من أسباب التلويث، مثل البول أو البراز فيه.

QaradawiBooks.com

اقرأ معي هذه الأحاديث الشريفة:

«**اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد** ـ موارد الماء ـ **وقارعة الطريق، والظل**»[١].

«**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم**، ـ أي الراكد ـ **الذي لا يجري، ثم يغتسل منه**»[٢].

«**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه**»[٣].

«**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم، ولا يغتسل فيه من الجنابة**»[٤].

«**لا يبولن أحدكم في مستحمه**»[٥].

والتلويث في عصرنا لم يعد مقصورًا على البول والبراز ونحوها من الحاجات البشرية التي يفعلها الدهماء من الناس، بل غدت هناك أنواع أشد خطرًا، وأبعد أثرًا، وأوسع نطاقًا، من هذا كله، وهي التلويث

(١) رواه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٢٨)، والحاكم (١٦٧/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٩٧/١)، جميعهم في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢١)، عن معاذ بن جبل.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٣٨، ٢٣٩)، ومسلم في الطهارة (٢٨٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٧٥٢٥)، وقال مخرجوه: صحيح. والترمذي (٦٨)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٥٧)، كلاهما في الطهارة.

(٤) رواه مسلم في الطهارة (٢٨٣)، وأحمد (٩٥٩٦)، وأبو داود في الطهارة (٧٠) عن أبي هريرة.

(٥) رواه أحمد (٢٠٥٦٩)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٢٧)، والترمذي (٢١)، واستغربه، والنسائي (٣٦)، وابن ماجه (٣٠٤)، وابن حبان (١٢٥٥)، والحاكم (١٦٧/١)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، كلهم في الطهارة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٨١٥)، عن عبد الله بن مغفل.

QaradawiBooks.com

بمخلفات الصناعة، والمواد الكيماوية، ومنها مواد سامة وقاتلة، ومخلفات النفط والبواخر التي تغرق في البحار ويسيل ما فيها، فتلوّث المياه، وآثار الحروب وما تتركه من المواد المشعة، التي تكون خطرًا على الأسماك والأحياء المائية، وبالتالي تصبح خطرًا على الإنسان نفسه حين يأكلها.

خطر الإسراف في الماء:

وهناك خطر آخر يتجسد في سوء استهلاك الماء، والإسراف في استخدامه، واعتباره مادة رخيصة الثمن، مع ماله من قيمة لا يعرفها إلَّا أولو الألباب من البشر.

ولقد روى ابن ماجه أن النبي ﷺ مر بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ، فقال له: «**لا تسرف**». فقال: أو في الماء إسراف؟! قال: «**نعم، وإن كنت على نهر جار**»[1].

ظن سعد بحكم نشأته ومقتضى ثقافته الموروثة: أن الإسراف إنما يكون في المال والنفقة فيه، أما أن يكون في الماء، فلم يكن يتصور ذلك، فقال ما قال مستغربًا ومستعلمًا، فكان جواب الرسول معلمًا ومصححًا: «**نعم وإن كنت على نهر جار**» ومعنى هذا: أن الاقتصاد يجب أن يكون خلقًا للمسلم، لا تدفعه إليه حاجة ولا ضيق يد، بل يجب أن يتجنب الإسراف، ولو كان على نهر جار.

(١) رواه ابن ماجه في الطهارة (٤٢٥)، وأحمد (٧٠٦٥)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وضعف الألباني في الإرواء (١٤٠)، ثم حسنه في الصحيحة (٣٢٩٢)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وروى أبو داود عن عبد الله بن مغفل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه سيكون قوم من أمتي يعتدون في الطهور والدعاء**»[١].

وقد روى أبو داود هذا الحديث في كتاب الطهارة في (باب الإسراف في الماء).

ومعنى الاعتداء في الطهور (أي الطهارة): تجاوز الحد المعقول في استعمال الماء، والخروج من الاعتدال إلى الإسراف المحظور.

ومن المعروف شرعًا: أن استعمال الماء للشرب مقدم على استعماله للطهارة والوضوء. ومما يشير إلى ذلك ما رواه أبو هريرة أن رجلًا سأل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله؛ إنَّا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»[٢].

يفيد سؤالهم أن إرواء العطش مقدم على الوضوء. وهو ما قرره الفقهاء في أن خوف العطش يبيح للمسلم أن يتيمم مع وجود الماء المحتاج إليه للشرب. كما أجاز ابن قدامة في (المقنع) التيمم لعطش يخافه على نفسه أو على رفيقه في السفر أو بهيمته.

قال في (الشرح الكبير): وإن خاف على رفيقه أو بهائمه، فهو كما لو خاف على نفسه... فجاز له التيمم كالمريض.

(١) رواه أبو داود في الطهارة (٩٦)، وأحمد (١٦٧٩٦)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٨٦).

(٢) رواه أحمد (٧٢٣٣)، وقال مخرجوه: صحيح. وأبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٥٩)، وابن ماجه (٣٨٦)، أربعتهم في الطهارة، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وإن وجد عطشانًا يخاف تلفه، لزمه سقيه ويتيمم. قيل لأحمد: رجل معه إداوة من ماء الوضوء، فيرى قومًا عطاشًا: أحب إليك أن يسقيهم أو يتوضأ؟ قال: لا، بل يسقيهم. ثم ذكر عدة من أصحاب رسول الله ﷺ يتيممون، ويحبسون الماء لشفاههم.

وقال أبو بكر والقاضي (من الحنابلة): لا يلزمه ذلك، لأنه محتاج إليه.

وردَّه في الشرح الكبير قائلًا: ولنا: أن حرمة الآدمي تقدم على الصلاة.

بدليل ما لو رأى حريقًا أو غريقًا عند ضيق الصلاة، لزمه ترك الصلاة، والخروج لإنقاذه، فلأن يقدمها على الطهارة بالماء أولى. وقد روي في حديث البغيِّ أن الله غفر لها بسقي الكلب عند العطش، فإذا كان هذا في سقي الكلب، فالآدمي أولى[1]. انتهى[2].

* * *

(١) المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٧٦/٢ ـ ١٧٧)، تحقيق د. عبد الله التركي، د. عبد الفتاح الحلو، نشر دار هجر للطباعة، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) انظر: مزيدًا من عناية الإسلام بالثروة المائية في فصل: الإحسان بالبيئة، الإحسان بالماء.

QaradawiBooks.com

٥

الحفاظ على صحة الإنسان

إذا كان مطلوبًا منا أن نحافظ على موارد البيئة وثرواتها الحيوانية والزراعية والمائية، فأولى من ذلك كله: المحافظة على الثروة البشرية، أي على الإنسان، خليفة الله في الأرض.

إذ لا ريب أن من أنفس الموارد، وأثمن الثروات، وأغلاها قيمة: صحة الإنسان، فهو الغاية من المحافظة على الموارد، والمستفيد منها، وقد سخرها الله جميعًا له. وهو كذلك الوسيلة لذلك في المحافظة عليها.

وقد يظن بعض الناس أن الدين لا يلقي بالًا لصحة الإنسان، على اعتقاد أن الدين يوجه عنايته للروح لا للجسم، وللآخرة لا للدنيا، وهذا ـ إن صح في أديان أخرى ـ لا يصح في الإسلام بحال من الأحوال؛ لأنه دين يجمع بين الحسنتين: حسنة الدنيا وحسنة الآخرة.

ولقد عُني القرآن، كما عنيت السُّنَّة النبويَّة، بصحة الإنسان، وعافية بدنه ونفسه، عناية فائقة. وقدمت نصوصها في ذلك معارف ومفاهيم، وقيما ومبادئ، تعتبر ثروة نفيسة عند كل من يقدر الإنسان حق قدره.

ونحن هنا نحاول أن نذكر أهم هذه المبادئ أو المفاهيم، التي جاء بها القرآن وفصلتها السنة فيما يتعلق بصحة الإنسان وسلامته من

QaradawiBooks.com

الأدواء، وقدرته على الإنجاز والعطاء، ومقاومته للأسقام والأوبئة التي تهدد الإنسان في عافيته. وقد اقتبسنا معظمها من كتابنا: (السُّنَّة مصدرًا للمعرفة والحضارة).

غير مرخصة للطباعة

الصحة نعمة:

أول هذه المبادئ أو القيم أو المفاهيم التي اهتمت بها السنة المحمدية: اعتبار الصحة والعافية من أعظم نعم الله تعالى، التي يجب أن تقابل بالشكر، المستوجب للمزيد.

يقول تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وشكر هذه النعمة يتم بالمحافظة عليها، وفق سنن الله في الأسباب والمسببات، والاقتداء بالهدي النبوي في ذلك، فهو خير الهدي وأكمله.

يقول الإمام ابن القيم: ومن تأمل هدي النبي ﷺ وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحة به، فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم المشرب، والملبس والمسكن، والهواء والنوم، واليقظة والحركة، والسكون والمنكح، والاستفراغ والاحتباس، فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن والبلد والسن والعادة، كان أقرب إلى دوام الصحة أو غلبتها إلى انقضاء الأجل.

ولما كانت الصحة والعافية من أَجَلِّ نعم الله على عبده، وأجزل عطاياه، وأوفر منحة، بل العافية المطلقة أجل النعم على الإطلاق، فحقيق لمن رزق حظًّا من التوفيق مراعاتها وحفظها، وحمايتها عمّا يُضادها.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

وقد روى البخاري في «صحيحه» من حديث ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(١).

وفي الترمذي وغيره من حديث عبيد الله بن محصن الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح معافى في جسده، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**»(٢).

وفي الترمذي أيضًا من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم، أن يقال له: ألم نُصِح لك جسمك، ونرِوك من الماء البارد**»(٣).

ومن هاهنا قال من قال من السلف في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. قال: عن الصحة.

وفي مسند أحمد وغيره عن أبي بكر الصديق: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سلوا الله اليقين والمعافاة، فما أوتي أحد بعد اليقين خيرا من العافية**»(٤)، فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلَّا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه»(٥). اهـ.

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٢).

(٢) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٤٦)، وقال: حديث حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١٤١)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٣١٨).

(٣) رواه الترمذي في التفسير (٣٣٥٨)، وقال: حديث غريب. وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٣٦٤)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٢٢).

(٤) رواه أحمد (٥)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الدعوات (٣٥٥٨)، وقال: حسن غريب. وقال الألباني في صحيح الترغيب: حسن صحيح (٣٣٨٧).

(٥) زاد المعاد لابن القيم (١٩٦/٤ ـ ١٩٧)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

وروى النسائي من حديث أبي بكر أيضًا: «**سلوا الله العفو والعافية والمعافاة، فما أوتي أحد بعد يقين خيرًا من معافاة**»[1]. وهذه الثلاثة ـ كما قال ابن القيم ـ تتضمن إزالة الشرور الماضية بالعفو، والحاضرة بالعافية، والمستقبلة بالمعافاة، فإنها تتضمن المداومة والاستمرار على العافية[2].

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف:

وكما يحب الإسلام من المسلم أن يكون جسمه سليمًا معافى من الأمراض، يحب له كذلك أن يكون جسمه قويًّا مرنًا، قادرًا على الحركة والنشاط، والقيام بأعبائه الدينية والدنيوية. فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف.

والإسلام يحث المسلمين على كل ما يكسبهم القوة في أبدانهم. وإذا كان عصرنا قد نظم في ذلك ممارسات وتدريبات معيَّنة تساعد على تقوية الجسم، فينبغي على المسلم أن يأخذ منها ما يناسبه ويحتاج إليه، وهو مطلوب طلب استحباب، وقد يكون طلب إيجاب، إذا اشتدت الحاجة إلى ذلك، أو كان ذلك لازمًا للدفاع عن نفسه وأهله ودينه وأمته، فإن ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب.

وقد رغَّب النبي ﷺ في العمل والنشاط والحركة والبكور «**اللهمَّ بارك لأمتي في بكورها**»[3]. وحذر من التباطؤ والتكاسل والترهل،

---

(١) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٦٥١).

(٢) زاد المعاد (٤/١٩٨).

(٣) رواه أحمد (١٥٤٤٣)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٦)، والترمذي في البيوع (١٢١٢)، وقال: حسن. وابن ماجه في التجارات (٢٢٣٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٥)، عن صخر الغامدي.

QaradawiBooks.com

وكان ﷺ يستعيذ بالله من العجز والكسل[١]، وجعل من صفة المؤمن الملتزم أن يصبح طيب النفس نشيطًا، وصفة غيره أن يصبح خبيث النفس كسلان[٢]!

ودعا الإسلام إلى رياضة الأجسام بالسباحة والرماية وركوب الخيل، وما شابهها من ألوان الفروسية، ورغب الآباء في تربية أولادهم على ممارستها، وشرع التنافس والمسابقات تشجيعًا على ذلك، وإغراء به. وسبق النبي ﷺ بين الخيل، وأعطى السابق، كما شرع المسابقة على الأقدام ونحوها.

تقرير حق الجسد على الإنسان:

ومن المبادئ المهمة التي جاء بها الإسلام في الحفاظ على صحة الإنسان: تقريره (حق الجسد) على الإنسان.

فلأول مرة في جو الدين والروحانيات، يسمع الناس هذا التوجيه المؤكد، الذي صدر من رسول الإسلام «**إن لبدنك عليك حقًّا**»[٣]. فلم يكن أهل الأديان يعنون بشأن الجسد، كما ذكرنا، فهو هنا يقرر هذا المبدأ الكبير والأصيل: أن للجسد على صاحبه حقًّا. ومن حقه

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٢٣)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٦)، عن أنس.

(٢) كما في الحديث المتفق عليه: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام، بكل عقدة يضرب عليك ليلًا طويلًا، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان، فإذا صلى انحلت العقد، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلَّا أصبح خبيث النفس كسلان**». رواه البخاري في التهجد (١١٤٢)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٦)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام، عن عبد الله بن عمرو.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عليه أن ينظفه إذا اتسخ، وأن يقويه إذا ضعف، وأن يطعمه إذا جاع، وأن يسقيه إذا عطش، وأن يريحه إذا تعب، وأن يقيه من أذى الحر والبرد، وأن يداويه إذا آلمته الأمراض، إلى غير ذلك مما يعرفه الناس بالفطرة والممارسة.

ومن هنا لم يجز للإنسان في نظر الإسلام إرهاق البدن بالعمل وطول السهر والجوع ـ وإن كان ذلك في صورة عبادة الله تعالى ـ فقد أنكر النبي ﷺ على رهط من أصحابه أراد أحدهم أن يقوم الليل فلا ينام، والثاني أن يصوم فلا يفطر، والثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج، وقال لهم: «**أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له، ولكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(١)].

وعن أنس: أن النبي ﷺ رأى شيخًا يهادى بين ابنيه (أي يمشي بينهما معتمدًا عليهما) قال: «**ما بال هذا؟**» قالوا: نذر أن يمشي (أي إلى الحج)، قال: «**إن الله عن تعذيب هذا لغني**» وأمره أن يركب[(٢)].

ولم يصح عن النبي ﷺ حديث في فضل الجوع مجردًا، إلَّا ما كان من جوع الصيام، بل ثبت عنه الاستعاذة بالله منه: «**اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع**»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨٦٥)، ومسلم في النذر (١٦٤٢).

(٣) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٤٧)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٦٨)، وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٥٤)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٤٨٥)، وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٨٨/٣)، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٨٣).

QaradawiBooks.com

تشريع الرخص والتخفيفات:

ومن عناية الإسلام بحق الجسم ما شرعته أحكامه من رخص في أداء الفرائض، إذا كان العمل بالعزائم يؤذي الجسم؛ كأن يسبب له مرضًا، أو يزيد في مرض قائم، أو يؤخر الشفاء منه، أو يؤدي إلى مشقة زائدة، فهنالك يدع الوضوء إلى التيمم، والصلاة قائمًا إلى الصلاة قاعدًا أو مضطجعًا، وله الفطر في رمضان للسفر أو للمرض: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ورُخَصُ السفر والمرض معروفة. إلى غير ذلك من أنواع التخفيف إلى بدل أو إلى غير بدل، حتى أصبح مقررًا عند عامة المسلمين: أنَّ صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان. وفي الحديث: «**إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته**»(١).

وأحيانًا يصبح العمل بالرخصة واجبًا، كما إذا كان المرض شديدًا، أو السفر مجهدًا، والجسم ضعيفًا، لشيخوخة أو نحو ذلك، فعلى مثل هذا يحرم الصوم، لما فيه من مشقة بالغة، كالذي رآه النبي ﷺ في السفر، يظلل عليه رفقاؤه ويرشون عليه الماء من فرط ما به من جهد، فلما سأل عن ذلك قالوا: إنه صائم، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ليس من البر الصيام في السفر**»(٢) متفق عليه. أي في هذا النوع من السفر الذي يشق على صاحبه إلى هذا الحد(٣).

---

(١) رواه أحمد (٥٨٦٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وابن خزيمة في الصيام (٢٠٢٧)، وابن حبان في الصلاة (٢٧٤٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. وصححه الألباني في إرواء الغليل (٥٦٤)، عن ابن عمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥)، كلاهما في الصوم، عن جابر.

(٣) انظر كتابنا: فقه الصيام صـ ٤٩ ـ ٥١، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن ذلك: ما شرعه القرآن والسنة من أحكام الضرورات، التي تباح بها المحظورات، فمن هذه المحظورات: المحافظة على الجسم وسلامته، حتى أبيح للمسلم أكل الميتة، والدم ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

العناية بالطب والتداوي:

والإسـلام، كما عُني بالصحة، عني بالطب سواء كان طبًّا علاجيًّا أم وقائيًّا، وإن كانت عنايته بالوقائي أكثر لما هو معلوم: أن درهم وقاية خير من قنطار علاج.

ومن أهم أسباب الوقاية: ترك الإسراف، والاحتماء من التخمة، فقد قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وفي الحديث: «**ما ملأ ابن آدم وعاء شـرًّا من بطنه. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فـإن كان ولا محالة فاعلًا، فثلـث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»(١).

إقرار سنة الله في العدوى:

ومن أهم ما جاء به الإسـلام هنا: أنه أقر سـنة الله في العدوى وأمر بالاحتراز والوقاية والعزل الصحي من الأوبئة العامة كالطاعون ونحوه، بل وسع دائرة الوقاية حتى شملت الحيوان الأعجم.

(١) رواه أحمد (١٧١٨٦)، وقال مخرّجوه: رجاله ثقات، غير أن يحيى بن جابر الطائي تكلموا في سماعه من المقدام، فإن صح سـماعه منه، فالحديث صحيح، وإلَّا فمنقطع. والترمذي في الزهد (٢٣٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٤٩)، والحاكم في الرقاق (٣٣١/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٢٨/٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٥)، عن المقدام بن معديكرب.

QaradawiBooks.com

وقال: «**لا يوردن مُمْرِض على مُصِح**»[1] والممرض: الذي إبله مراض، والمصح: الذي إبله صحاح. ومعنى: لا يورد عليه: لا يخلط المريضة الجرباء بالصحيحة أثناء ورود الماء.

وفي مسلم: أنه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ: «**ارجع فقد بايعناك**»[2].

وعند ابن ماجه: «**لا تديموا النظر إلى المجذومين**»[3].

وقال في شأن الطاعون ـ وهو وباء عام ـ: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها فرارًا منه**»[4].

وهذا حصر للوباء في أضيق نطاق. أما حديث «**لا عدوى**»[5]، فهو صحيح رواه البخاري، ولكن معناه: أن الأمراض لا تعدي بطبعها وذاتها، كما يعتقد أهل الجاهلية، بل بتقدير الله تعالى، وبناء على سننه الكونية.

احترام الطب القائم على العلم والتجربة:

قاوم الإسلام طب الكهنة والسحرة، الذي قد يسمى «بالطب الروحاني»، واحترم الطب القائم على الملاحظة والتجربة والأسباب

(١) سبق تخريجه صـ٩٥.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢٢٣١)، وأحمد (١٩٤٧٤)، عن الشريد الثقفي.

(٣) رواه ابن ماجه في الطب (٣٥٤٣)، وأحمد (٢٠٧٥)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وصححه الألباني بشواهده في الصحيحة (١٠٦٤)، وضعف إسناده ابن حجر في فتح الباري (١٠/١٥٩)، عن ابن عباس.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٢٩)، ومسلم في السلام (٢٢١٩)، عن عبد الرحمن بن عوف.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٥٦)، ومسلم في السلام (٢٢٢٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والمسببات، وأبطل ما أشاعته الوثنية الجاهلية عند العرب وغيرهم حتى أهل الكتاب، من اطراح الأسباب الظاهرة والسنن الكونية، والاعتماد على الأسباب الخفية، والرقى المجهولة: من عزائم ورقى غير مفهومة، وتمائم معلقة، وشعوذة يروجها السحرة والدجالون، ولم يُبْق من الأدوية الروحانية إلَّا ما فيه ذكر الله تعالى، والاستعاذة به، واللجوء إليه في صورة رقى أو تعوذات أو نحو ذلك من الأدعية والأذكار. إذ لا يجحد عاقل منصف ما لهذه الأدوية الإيمانية من أثر ملموس، في تقوية روح المريض، وتنشيط كيانه الداخلي، فيقوي أمله في الشفاء ورجاؤه في العافية، ويقينه برحمة الله، فلا يقنط من رحمة ربه إلَّا الضالون.

لقد كان النبي ﷺ بقوله وعمله وتقريره أسوة حسنة في الهداية إلى الطب الصحيح، القائم على العلم والتجربة، لا على التهويل والادعاء.

فهو ﷺ تداوى لنفسه وأمر بالتداوي، لأن الذي خلق الدّاء خلق الدواء.

وأرسل طبيبًا إلى أبي بن كعب، فقطع له عرقًا وكواه عليه[1]، أي أنه أجرى له عملية جراحية.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: مرضت مرضًا أتاني رسول الله ﷺ يعودني، فوضع يده بين ثدي، حتى وجدت بردها على فؤادي، فقال: **إنك رجل مفؤود (أي مصاب في فؤادك، يعني صدرك) ائت الحارث بن كلدة، أخا ثقيف، فإنه رجل يتطبب**»[2].

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٧)، وأحمد (١٤٣٧٩)، عن جابر.

(٢) رواه أبو داود في الطب (٣٨٧٥)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٣٤).

QaradawiBooks.com

ولم يثبت أن الحارث بن كلدة أسلم، ولهذا استدل العلماء بهذا الحديث على جواز الاستعانة بأهل الكفر في الطب[١] إذا كانوا مأمونين على المسلمين.

وأصيب أحد الصحابة بجرح فاحتقن الدم، فدعا النبي ﷺ رجلين من بني أنمار، فنظرا إليه فسألهما رسول الله: «**أيكما أطب؟**» (أي: أحذق وأمهر؟) فقال الرجل: أو في الطب خير يا رسول الله؟ فقال: «**أنزل الله الدواء الذي أنزل الداء**»[٢].

قال ابن القيم: في هذا الحديث أنه ينبغي الاستعانة في كل علم وصناعة بأحذق من فيها، فإنه إلى الإصابة أقرب[٣]. وجاء عنه ﷺ: «**من تطبب ولم يُعْلَم منه طب فهو ضامن**»[٤].

وبهذا طارد الأدعياء الذين يتزيون بهيئة أهل الطب وليسوا من أهله، وحمَّلهم مسؤولية أخطائهم في التشخيص والعلاج، واحترم أهل الاختصاص والخبرة، فلكل علم رجاله، ولكل صناعة أهلها، ولا ينبئك مثل خبير.

كما طارد الكهان والدجالين، الذين يعالجون الناس بتعليق التمائم، أو الرقى الجاهلية، التي لا تشتمل على ذكر الله تعالى وأسمائه الحسنى، وما كان من هذا القبيل الذي اعتبره من تفريخ الشرك ونتاج الجاهلية.

---

(١) التراتيب الإدارية للكتاني (٣٥٢/١)، تحقيق عبد الله الخالدي، نشر دار الأرقم، بيروت، ط٢.

(٢) رواه مالك (٣٤٧٤) تحقيق الأعظمي، وقال الحافظ في فتح الباري (١٣٤/١٠): مرسل.

(٣) زاد المعاد (١٢١/٤).

(٤) رواه أبو داود في الديات (٤٥٨٦)، والنسائي في القسامة (٤٨٣٠)، وابن ماجه في الطب (٣٤٦٦)، والحاكم في الطب (٢١٢/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في الصحيحة (٦٣٥)، عن عبد الله بن عمرو.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فتح باب الأمل أمام الأطباء والمرضى:

فتح الإسلام باب الأمل على مصراعيه أمام الأطباء والمرضى معًا، في الشفاء من كل مرض، مهما طال واتصل، وقضى على اليأس المحطم، وعلى ما يسمى بالأمراض المستعصية. روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**ما أنزل الله داء إلَّا أنزل له شفاء**»[(١)].

وروى مسلم وأحمد عن جابر: «**لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء برئ بإذن الله تعالى**»[(٢)].

وروى أحمد عن أسامة بن شريك: «**إن الله لم ينزل داء إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**»[(٣)].

قال الشوكاني: فيه دليل على أنه لا بأس بالتداوي لمن كان به داء قد اعترف الأطباء بأنه لا دواء له، وأقروا بالعجز عنه[(٤)].

وقال ابن القيم في «زاد المعاد»: في قوله ﷺ: «**لكل داء دواء**» تقوية لنفس المريض والطبيب، وحثّ على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه، فإن المريض إذا شعرت نفسه أن لدائه دواء يزيد تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس، وانفتح له الرجاء، ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية، وكان ذلك سببًا لقوة الأرواح الحيوية والنفسانية والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح قويت القوى التي هي حاملة لها، فقهرت المرض ودفعته، وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا دواء أمكنه طلبه

(١) رواه البخاري (٥٦٧٨)، عن أبي هريرة.
(٢) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٤)، وأحمد (١٤٥٩٧).
(٣) رواه أحمد (١٨٤٥٦)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. عن أسامة بن شريك.
(٤) نيل الأوطار للشوكاني (٨/٢٣١)، نشر دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

والتفتيش عليه، وأمراض الأبدان على وزان أمراض القلوب، وما جعل الله للقلب مرضًا إلَّا جعل له شفاء بضده، فإن علمه صاحب الداء واستعمله، وصادف داء قلبه، أبرأه بإذن الله تعالى[١].

الاهتمام بالصحة النفسية:

عُني الإسلام بالصحة النفسية عناية فائقة: فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان، ولا ريب أن بين الناحية النفسية والناحية الجسمية تبادلًا في التأثير، فكلاهما يؤثر في الآخرة قوة وضعفًا، وصحة وسقمًا، واعتدالًا وانحرافًا، وقد أثبت ذلك علماء النفس وأطباء الجسم من قديم.

وقد رأينا في السيرة النبويَّة مدى قوة الروح وأثرها في قوة البدن حين كانوا يبنون المسجد، والصحابة يحملون لبنة لبنة، وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب عن رأسه، ويقول: «**يا عمار، ألا تحمل ما يحمل أصحابك؟**» قال: إني أريد الأجر من الله[٢]، وقال: «**إن عمارا مُلِئَ إيمانًا من قرنه إلى قدمه**»[٣].

وأشار إليها مرة أخرى حين نهاهم عن الوصال في الصيام، فقالوا له: تنهانا عن الوصال، وتواصل؟ قال: «**وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**»[٤].

ومن مثله في قوة الروح حتى يتحمل ما يحتمله عليه السلام؟

---

(١) زاد المعاد (١٥/٤).

(٢) رواه ابن حبان في مناقب الصحابة (٧٠٧٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الصحيح. عن أبي سعيد الخدري. ورواه البخاري في الصلاة (٤٤٧) بنحوه.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١٣٩/١)، عن ابن عباس.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والمؤمن أقوى الناس روحًا، وأصحهم نفسًا، فقد ملأ الإيمان ما بين جوانحه أمنًا وطمأنينة ورضًا وأملًا وحبًّا، وطهر نفسه من أدران الحقد والغل والحسد والبغضاء وأمراض القلوب الفتاكة.

هذه هي المبادئ الخالدة التي أرسى الإسلام قواعدها، وحرص النبي ﷺ على تثبيتها، وهي جديرة ـ إذا روعيت وطبقت ـ أن تنشئ أجيالًا من الأصحاء الأقوياء الذين لا ينتصر الدين ولا ترقى الدنيا إلَّا بهم.

الحفاظ على عقل الإنسان وتنميته:

ويعمل الإسلام كذلك على حماية عقل الإنسان، باعتباره المميز له عن الحيوان الأعجم، والمخاطب من الله تعالى بالتكاليف، وقد اعتبر الأصوليون (المحافظة على العقل) من الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة بحفظها.

ولهذا حرم الله تعالى الخمر على الإنسان، لأنها تذهب بعقله، كما تضر بجسده وعقله وبأخلاقه وبماله وبأسرته وبمجتمعه.

ولم يكتف الإسلام بجانب النهي ـ الذي يركز عليه الأصوليون في بيان المحافظة على العقل ـ بل شرع من الأحكام، وأرسى من التوجيهات، ما ينهض بالعقل، ويرقى به، من ذلك فرضه لطلب العلم على كل مسلم ومسلمة، ومقاومته للتقليد والجمود على ما كان عليه الأجداد والآباء، أو ما كان عليه السادة والكبراء. كما رفض الظن في موضع طلب اليقين، وأنكر اتباع الهوى والعواطف في طلب الحقيقة، ودعا إلى النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، كما اعتمد وجوب البرهان في العقليات، والمشاهدة في

QaradawiBooks.com

الحسيات، والتوثيق في النقليات. وهذا كله مما يدلنا على احتفاء القرآن بضرورة (تكوين العقلية العلمية)[1]، التي ترفض الخرافات، ولا تقبل دعوى إلَّا بدليل.

وبهذا ننشئ الإنسان الذي يتعبد لله بالنظر والتفكر، كما يتعبد له بالصلاة والصيام، وهو ما جعل كاتبًا كبيرًا مثل عباس العقاد يؤلّف كتابًا عنوانه: (التفكير فريضة إسلامية) وصدق، فإن الله كما أمرنا بالعبادات، أمرنا بالتفكر ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦].

والعلم الذي فرضه الإسلام على المسلم منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية.

ففرض العين هو: ما لا بد منه للمسلم في تحرير عقيدته، وتصحيح عبادته، وضبط سلوكه وفق أمر الله ونهيه، وتحري الحلال واجتناب الحرام، وإعطاء كل ذي حق حقه.

وأرى أن محو الأمية في عصرنا فريضة على أبناء الأمة، حتى تستطيع أن تتبوأ مكانتها بين الأمم، إذ لا يمكنها ذلك إذا تفشت الأمية بين أفرادها، فلا يمكنها أن تنافس الأمم التي تعلم أبناؤها وتثقفوا.

وفرض الكفاية: هو ما يجب على الأمة بالتضامن فيما بينها، وذلك بأن يكون لديها من العلماء والخبراء في كل تخصص في علوم الدين أو علوم الدنيا ـ مما تحتاج إليه الأمة ـ ما يسد الثغرة، ويلبي الحاجة، ويحقق للأمة الاكتفاء الذاتي، والاستغناء عن غيرها. فلا يجوز للأمة

(١) انظر كتابنا: العقل والعلم في القرآن صـ ٢٤٩ وما بعدها، فصل: تكوين العقلية العلمية، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٤، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الوسط التي جعلها الله شهيدة على البشرية: أن تكون عالة على غيرها في العلوم المدنية والعسكرية، فإذا قام بهذا الفرض عدد كاف من أبنائها برئت الأمة من الإثم والحرج، وإلَّا أثمت الأمة كلها، وبخاصة أولو الأمر فيها.

العناية بالطفولة:

وإذا كان الإسلام يعنى بالإنسان، وبصحته، وبكيانه كله: النفسي والعقلي البدني، فإنه يوجه عناية أكبر إلى الإنسان الطفل، لأمرين مهمين:

١ ـ أنه مخلوق ضعيف في حاجة إلى مزيد من الرعاية، والإسلام يهتم عادة برعاية الضعفاء.

٢ ـ أنّ طفل اليوم هو رجل المستقبل، فهو يمثل غد الأمة، فإذا أحسنا رعايته وتربيته وتوجيهه، تفاءلنا خيرًا بمستقبل المجتمع، وإذا أضعناه فقد أضعنا المستقبل.

ولا يتسع المقام هنا للحديث عن موقف الإسلام من الطفولة، التي يرعاها الإسلام منذ الولادة، بل منذ أن يبدأ الإنسان التفكير في الزواج.

وفصلت الشريعة أحكام الرضاع والحضانة وحسن التنشئة والملاعبة وتعليم الصلاة والتأديب المناسب، ما لا يخفى على مسلم حريص على دينه، وما يمكن تعلمه بسهولة من أهله.

وأعطى الإسلام عناية أبلغ وأوفى للأطفال الذين لا عائل لهم، مثل (اليتامى) الذي إذا أهملوا أو قسا المجتمع عليهم، قد يصبحون في الغد جرثومة فساد فيه، وإذا روعيت حقوقهم، ولم تقهر شخصيتهم، أوشكوا أن يكونوا أعضاء صالحين في جسم المجتمع.

QaradawiBooks.com

ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١ ـ ٢].

وجعل لهؤلاء اليتامى حظا في أموال الغنائم والفيء، مع المساكين وابن السبيل.

كما لم تنس الشريعة الإسلامية الأطفال الذين لم يعرف لهم آباء ولا أمهات، فهؤلاء لا ذنب لهم، فمن الواجب القيام برعايتهم وحسن تربيتهم. ولا غرو أن في كل كتب الفقه الإسلامي بابًا لـ (اللقيط) يفصل أحكامه وماله من حقوق على المجتمع.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

٦

الإحسان بالبيئة

الإسلام يربي المسلم على التعامل مع كل ما حوله بإحسان، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**»[(١)].

ومعنى: أنه كتبه أي فرضه فرضية موثقة، كما قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ**﴾ [البقرة: ١٧٨] وقال تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام: ٥٤] فإذا أدينا ما كتبه الله علينا، أدى الله ما كتبه على نفسه، فغمرنا برحمته وبركته.

والإحسان كلمة قرآنية نبوية تتضمن معنيين:

الأول: معنى الإحكام والإتقان، كما في الحديث الذي ذكرناه، وكما في حديث جبريل الشهير «**الإحسان: أن تعبد الله كما تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(٢)] وهو يفسر معنى الإحسان في العبادة.

والثاني: معنى الإشفاق والحنان والإكرام، كقوله تعالى: ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ**﴾ [النساء: ٣٦].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٧.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٧.

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

والمعنيان مطلوبان هنا في التعامل مع البيئة، فيجب أن تعاملها بإحكام وإتقان، لا بإهمال وغفلة وإضاعة. كما يجب أن تعاملها برفق وإشفاق وحنان.

وفي الحديث الصحيح: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»[(١)] «**إن الرفق لا يكون في شيء إلَّا زانه، ولا ينزع من شيء إلَّا شانه**»[(٢)] «**إن الله رفيق يحب الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»[(٣)] «**من يحرم الرفق يحرم الخير**»[(٤)].

ويتمثل هذا الرفق مع كل عناصر البيئة، جامدة كانت أم حية، عاقلة أم غير عاقلة. فيشمل هذا الرفق الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد.

الإحسان بالإنسان:

فأما الإحسان بالإنسان فهو أمر مفروغ منه، ولا ريب فيه، رحمة له، وتلطفا به، سواء كان مسلما أم غير مسلم.

يقول الله تعالى لرسوله: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ويقول: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال تعالى في شأن غير المسلمين ﴿**لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: ٨]

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٤٩٣٨)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٣)، عن عائشة.

(٤) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٢)، وأحمد (١٩٢٠٨)، عن جرير بن عبد الله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والقسط: هو العدل، والبر فوق العدل وهو الإحسان. القسط أن تعطيهم حقهم، والبر أن تزيد على ذلك.

ويتأكد الإحسان بالضعفاء من الناس: من اليتامى والمساكين وأبناء السبيل، والأرامل، وكل ضعيف في المجتمع، سواء كان ضعفه من فقد الأب كاليتيم، أو فقد المال كالمسكين، أو فقد الوطن كابن السبيل، أو فقد الحرية كالرقيق، أو فقد الزوج كالأرملة.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**»، وأحسبه قال: «**كالقائم لا يفتر، والصائم لا يفطر**»(١).

قال تعالى في آية الحقوق العشرة: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء: ٣٦].

وأمر الإسلام بالرحمة بخلق الله جميعًا، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(٢) «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**»(٣) «**لا تنزع الرحمة إلاَّ من شقي**»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٦٠٠٧)، ومسلم في الزهد (٢٩٨٢).

(٢) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وقال بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٣٧٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٩) عن جرير بن عبد الله.

(٤) رواه أحمد (٨٠٠١)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٤٩٤٢)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٣)، وحسنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٦٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقال: «**لن تؤمنوا حتى تراحموا**». قالوا: كلنا رحيم يا رسـول الله؟ قال: «**أما إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة**»[(١)].

الإحسان بالحيوان:

ومن أروع ما جاء به الإسلام هنا، هو الإحسان والرفق بالحيوان، في عصر ما كان يعتبر أن لهذه الحيوانات قيمةً أو حقًّا، وأن في الإحسـان إليها أجرًا.

لقد امتن الله تعالى على الإنسـان بتسـخير الحيوانات له، وبعضها أقوى منه وأكبر حجمًا، فالواجب عليه أن يرفق بها، ويشـكر الله تعالى على إنعامه بها، ولا يقسـو عليها ويعذبها بغير حق. يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر: ٧٩ ـ ٨١].

وقـال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ ـ ٧٣].

وجاءت الأحاديث النبويَّة المستفيضة تُحرِّض على الرحمة بالحيوان، وترهب من القسـوة عليه، أو إضاعته وإهماله، منذرة بوعيد شديد لمن

---

(١) عزاه المنذري للطبراني في الترغيب والترهيـب (٣٤٠٩)، وقال: رواته رواة الصحيح. وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٦٧١). ورواه النسـائي فـي الكبرى في القضاء (٥٩٢٨)، والحاكم في البر والصلة (١٦٧/٤)، وصحح إسـناده، ووافقه الذهبي، بلفظ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا...**». عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

اقترف شيئًا من هذه الأعمال. كما تنبئ بجزيل المثوبة عند الله لمن أحسن إلى هذه المخلوقات العجماوات.

اقرأ معي هذه الأحاديث لترى كيف حفل هذا الدين بهذا الأمر، وهي مما انتقيناه من كتاب (الترغيب والترهيب) للحافظ المنذري.

عن معاوية بن قرَّة عن أبيه رضي الله عنه أنّ رجلًا قال: يا رسول الله، إني لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال: «**إن رحمتها رحمك الله**» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنّ رجلًا أضجع شاة، وهو يحد شفرته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها؟!**» رواه الطبراني في «الكبير»، و«الأوسط» والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح على شرط البخاري(٢).

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من إنسان يقتل عصفورًا فما فوقها بغير حقها إلَّا يسأله الله عنها يوم القيامة**» قيل: يا رسول الله وما حقها؟ قال: «**حقها أن تذبحها فتأكلها، ولا تقطع رأسها فترمي به**» رواه النسائي، والحاكم وقال: صحيح الإسناد(٣).

(١) رواه الحاكم في الأضاحي (٢٣١/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وأحمد (١٥٥٩٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والبخاري في الأدب المفرد (٣٧٣).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣٣٢/١١)، والأوسط (٣٥٩٠)، والحاكم في الأضاحي (٢٣١/٤)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠٣٣): رجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٩٠).

(٣) رواه النسائي في الصيد والذبائح (٤٣٤٩)، والحاكم في الذبائح (٢٣٣/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح الترغيب (١٠٩٢): حسن لغيره. عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وعن ابن سيرين أن عمر ﵁ رأى رجلًا يسحب شاة برجلها ليذبحها، فقال له: ويلك قدها إلى الموت قودًا جميلًا، رواه عبد الرزاق موقوفًا[١].

وعن ابن عمر ﵄، أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا ـ أو دجاجة ـ يترامونها، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا. رواه البخاري، ومسلم[٢].

«الغرض» ـ بفتح العين المعجمة والراء ـ: هو ما ينصبه الرماة، يقصدون إصابته، من قرطاس وغيره.

وعن ابن مسعود ﵁ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرة معها فَرْخَان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش، فجاء النبي ﷺ فقال: «**من فجَّع هذه بولديها؟ ردوا ولديها إليها**». ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: «**من حرق هذه؟**» قلنا: نحن، قال: «**إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلَّا رب النار**»[٣].

«قرية نمل»: هي موضع النمل مع النمل.

قال العلامة ابن رجب: وأكثر العلماء على كراهية التحريق بالنار حتى للهوام.

(١) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٦٠٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٣٧١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥١٥) بنحوه، ومسلم (١٩٥٨)، كلاهما في الصيد والذبائح.

(٣) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٧٥)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٦١٠)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٨٧). والرواية فيه: «تفرش»، بدل «تعرض» والتفريش مأخوذ من فرش الجناح وبسطه، والتعريش أن يرتفع فوقهما ويظلل عليهما.

QaradawiBooks.com

وقال إبراهيم النخعي: تحريق العقرب بالنار مُثلة. ونهت أم الدرداء عن تحريق البرغوث بالنار. وقال أحمد: لا يشوى السمك بالنار، وهو حي.

وفي الصحيحين عن أنس: أن النبي ﷺ نهى أن تصبر البهائم[1]. (أي تحبس وتضرب بالنبل ونحوه حتى تموت).

وخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن عمر، قال: أمر رسول الله ﷺ بحد الشفار، وأن توارى البهائم، وقال: «**إذا ذبح أحدكم فليجهز**»[2]. يعني: فليسرع الذبح[3].

ومن التوجيهات النبويَّة ألا يذبح ولد الناقة وهو صغير عند ولادته، فلا ينتفع بلحمه، ولا بلبن الناقة، لأنها يجف لبنها حزنًا على ولدها، ثم فيه توليه الناقة على ولدها بفقدها إياه. والأولى أن يترك حتى يكبر، ويكون ابن مخاض (يكمل سنة ويدخل في الثانية)، أو ابن لبون (يكمل سنتين ويدخل في الثالثة)، وقد جاء ذلك في حديث رواه أبو داود[4].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٦)، كلاهما في الصيد.

(٢) رواه أحمد (٥٨٦٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الذبائح (٣١٧٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٩١)، والصحيحة (٣١٣٠)، وضعَّفه في غاية المرام (٣٩).

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٣٩٠/١ ـ ٣٩١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٤) إشارة إلى حديث: وسئل عن الفرع؟ قال: «**والفرع حق وأن تتركوه حتى يكون بكرًا شغزبًّا ابن مخاض، أو ابن لبون فتعطيه أرملة أو تحمل عليه في سبيل الله، خير من أن تذبحه فيلزق لحمه بوبره، وتكفأ إناءك، وتوله ناقتك**». رواه أبو داود في الأضاحي (٢٨٤٢)، وأحمد (٦٧١٣)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٨٤).

QaradawiBooks.com

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسَـرَّ إلي حديثًا، لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحبُّ ما استتر به النبي ﷺ لحاجتـه هدفًا، أو حائش نخـل[1]، فدخل حائطًـا لرجل من الأنصار، فإذا فيـه جمل، فلما رأى النبي ﷺ حَـنَّ، وذرفت عيناه، فأتاه رسول الله ﷺ، فمسح ذِفْرَاه[2] فسكت فقال: «**من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**» فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسـول الله. فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؛ فإنه شكا إلي أنك تجيعه، وتُدْئِبه**»[3] رواه أحمد، وأبو داود[4]. ومعنى «تدئبه»: أي تتعبه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»[5].

وفي روايـة: «**عذبت امرأة في هرة سـجنتها**[6] **حتـى ماتت، لا هي أطعمتها وسـقتها؛ إذ هي حبسـتها، ولا هي تركتها تأكل من خَشَـاش الأرض**» رواه البخاري، وغيره[7].

ورواه أحمـد من حديث جابر، فـزاد في آخره: «**فوجبـت لها النار بذلك**»[8].

---

(١) الهدف: ما انتصب دار نفع من بناء وغيره. والحائش: النخل الملتف المجتمع.

(٢) ذفراه: مؤخرة رأسه، وهو الموضع الذي يعرق من قفاه.

(٣) تدئبه: تكده وتتعبه بالعمل المتواصل دون إعطائه حقه من الراحة.

(٤) رواه أحمد (١٧٥٤)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شـرط مسلم. وأبو داود (٢٥٤٩)، والحاكم (٩٩/٢)، كلاهما في الجهاد، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) سبق تخريجه صـ١٠٢.

(٦) فكيف بمن يسجن ألوف المؤمنين؟!

(٧) سبق تخريجه صـ١٠٢.

(٨) رواه أحمد (١٤٦٠٢)، وقال مخرجوه: حديث صحيح.

QaradawiBooks.com

وعن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال: مرَّ الرسول ﷺ ببعير قد لصق ظهره ببطنه، فقال: «**اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة**» رواه أبو داود، وابن خزيمة في «صحيحه» إلَّا أنه قال: «**قد لحق ظهره**»(١).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ صلى صلاة الكسوف، فقال: «**دنت مني النار حتى قلت: أي رب وأنا معهم، فإذا امرأة ـ حسبت أنه قال: تخدشها هرة ـ قال: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعًا**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**بينا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرًا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من شدة العطش قال: لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب! فشكر الله له، فغفر له**» قالوا: يا رسول الله! وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: «**في كل كبد رطبة أجر**»(٣) كان هذا التوجه جديدًا على الصحابة، فلم يكونوا يعلمون أو يظنون أن يثاب المرء في الإحسان إلى البهائم، فأفهمهم الرسول الكريم أنه في الإحسان إلى كل حي أجرا ومثوبة.

وروى أبو هريرة حديثًا آخر: «**بينما كلب يطيف بركية ـ بئر فيها ماء ـ كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها ـ خفها ـ فسقته، فغفر لها به**»(٤).

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٤٨)، وابن خزيمة في المناسك (٢٥٤٥)، وصحح إسناد أبي داود النووي في رياض الصالحين (٩٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٢٧٣).

(٢) رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٤).

(٣) متفق عليه: البخاري في الأدب (٦٠٠٩)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٧)، ومسلم في السلام (٢٢٤٥).

QaradawiBooks.com

فإذا كانت امرأة دخلت النار في هرة من أجل قسوتها، فهذه امرأة عاصية دخلت الجنة في كلب، من أجل رحمتها به، والراحمون يرحمهم الرحمن.

روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يصغي للهرة الإناء، فتشرب، ثم يتوضأ بفضلها[1].

وهذه المعاملة النبويَّة الكريمة للهرة كان لها أثرها الفعال في نفوس أزواجه وأصحابه رضي الله عنهم.

روى أبو داود بسنده، عن داود بن صالح بن دينار التمار، عن أمه، أن مولاتها أرسلتها بهريسة إلى عائشة رضي الله عنها، فوجدتها تصلي، فأشارت إليَّ: أن ضعيها. فجاءت هرة فأكلت منها، فلما انصرفت ـ أي عائشة من الصلاة ـ أكلت من حيث أكلت الهرة، فقالت: إن رسول الله ﷺ قال: «**إنها ليست بنجس؛ إنما هي من الطوافين عليكم**». وقد رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ بفضلها[2].

وروَى عن كبشة بنت كعب بن مالك ـ وكانت تحت ابن أبي قتادة ـ أن أبا قتادة دخل، فسكبت له وضوءًا ـ الماء الذي يتطهر به ـ فجاءت هرة فشربت منه، فأصغى لها الإناء حتى شربت، قالت كبشة: فرآني أنظر إليه، فقال: أتعجبين يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم. فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إنها ليست بنجس؛ إنما من الطوافين عليكم والطوافات**»[3].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٩٤٩)، والدارقطني في الطهارة (٢١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٥٨).

(٢) رواه أبو داود في الطهارة (٧٦)، وشرح مشكل الآثار (٢٦٥٣) البيهقي في معرفة السنن والآثار في الطهارة (١٧٨١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٦٩).

(٣) رواه أحمد (٢٢٦٣٦)، وقال مخرجوه: صحيح. وأبو داود (٧٥)، والترمذي (٩٢)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٦٨)، ثلاثتهم في الطهارة.

QaradawiBooks.com

قال الإمام الخطابي في (معالم السنن): قوله «**إنها من الطوافين عليكم والطوافات**» يتأول على وجهين:

أحدهما: أن يكون شبهها بخدم البيت، وبمن يطوف على أهله، كقوله تعالى ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [النور: ٥٨] وقال ابن عمر: إنما هي ربيطة من ربائط البيت.

والوجه الآخر: أن يكون شبهها بمن يطوف للحاجة والمسألة. يريد أن الأجر في مواساتها كالأجر في مواساة من يطوف للحاجة، ويتعرض للمسألة[1] انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر على حمار قد وُسِمَ في وجهه فقال: «**لعن الله الذي وسمه**»[2].

وفي رواية له: نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوَسْم في الوجه[3].

ورواه الطبراني بإسناد جيد مختصر: أن رسول الله ﷺ لعن من يسم في الوجه[4].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مر حمار برسول الله ﷺ قد كوي في وجهه يفور منخراه من دم، فقال رسول الله ﷺ: «**لعن الله من فعل هذا**» ثم

---

(١) انظر: معالم السنن (٤١/١).

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١١٧) (١٠٧).

(٣) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١١٧) (١٠٦).

(٤) رواه الطبراني (٣٣٥/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٢٤٢): رواه الطبراني، ورجاله ثقات. وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٢٩٤)، عن ابن عباس. والوسم: الكي. وقد حرص الإسلام على صيانة وجه الحمار، فكيف بالإنسان؟!

QaradawiBooks.com

نهى عن الكـي في الوجـه والضرب في الوجـه. رواه ابـن حبان في «صحيحه»[١]، ورواه الترمذي مختصرًا وصححه.

والأحاديث في النهي عن الكيّ في الوجه كثيرة.

وهنا نقرأ جملة من الأحاديث لها مغزاها وأثرها في هذا الجانب.

فعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال:

«بينما رجل يسـوق بقرة، إذ ركبها فضربها، فقالـت: إنَّا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث»[٢].

ومعنى هذا: أنّ كل حيوان يجب أن يستخدم فيما خلق له، فما خلق للحرث أو للدر والنسل، لا ينبغي أن يستخدم للركوب، إلَّا لضرورة أو حاجة، كقلة دواب الركوب ونحوها.

وعنه أيضًا أنه قال: **«إياكم أن تتخـذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله إنما سـخرها لكم، لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلَّا بشق الأنفس، وجعل لكم الأرض، فعليها فاقضوا حاجتكم»**[٣].

واستثنى العلماء من ذلك إذا احتاج إلى الوقوف عليها لحاجة طارئة، لا تتم بغير الوقوف على ظهرها، كمـا فعل النبي ﷺ حيث خطب على راحلته واقفا عليها. فدل ذلك ـ كما قال الخطابي ـ على أن الوقوف على

---

(١) رواه ابن حبان في الحظر والإباحة (٥٦٢٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. والترمذي في الجهاد (١٧١٠)، وقال: حسن صحيح. ورواه مسلم أيضًا مختصرا (٢١١٦) (١٠٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٦٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٨) عن أبي هريرة.

(٣) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٦٧)، والبيهقي في الحج (٥/٢٥٥)، وجود إسناد أبي داود النووي في المجموع (٤/٣٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٩١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ظهورها إذا كانت لأرب لا يدرك مع النزول إلى الأرض: مباح جائز. وأن النهي إنما يصرف إلى الوقوف عليها لا لمعنى يوجبه، لكن أن يستوطنه الإنسان ويتخذه مقعدًا، فيُتْعِب الدابة، ويضر بها من غير طائل[١].

وأعتقد أن عصرنا لم يعد يحوج الإنســان إلى اتخاذ ظهور الدواب منابر، وقد منحته التكنولوجيا الحديثة من الأدوات، والأسباب ما يغنيه عن ذلك، إلَّا في البلاد المتأخرة التي لم تصل إليها الحضارة بعد.

وهذه التعاليم لم تكن مجرد كلام نظري أو حبر على ورق، بل تحولت إلى واقع عملي تجسد في حياة المسلمين، وفي حضارتهم المتوازنة.

وبهذا كان الخلفاء والأمراء يزجرون كل من قسا على الحيوان. جاء في العتبية: «قال ما لك: إن عمر بن الخطاب مر بحمار عليه لَبِن، فوضع عنه طوبتين، فأتت سيدته (مالكته) لعمر فقالت: يا عمر، مالك ولحماري؟ ألك عليه سلطان؟ قال: فما يقعدني في هذا الموضع؟

وعقب ابن رشد على قول عمر فقال: المعنى في هذا بين، لأن المصطفى ﷺ قال: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته**»[٢].

وقد قال عمر في مثل هذا: لو مات جمل بشاطئ الفرات ضياعًا لخشيت أن يسألني الله عنه[٣] اهـ.

---

(١) معالم السنن (٢/٢٥٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر. انظر: البيان والتحصيل لابن رشد (١٧/٥٠٩ ـ ٥١٠)، تحقيق د. محمد حجي وآخرين، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/٣٠٥)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م. وانظر: التراتيب الإدارية (١/٢٢٩).

QaradawiBooks.com

وفي طبقات ابن سعد عن المسيب بن دارم قال: رأيت عمر بن الخطاب ضرب جَمَّالًا، وقال: «لم تُحَمِّل بعيرك ما لا يطيق؟»(١).

وعلى سنة عمر الأول سار عمر الثاني ابن عبد العزيز.

ففي فضائل عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم: إن عمر كتب إلى صاحب السكك: ألَّا يحملوا أحدًا بلجام ثقيل، ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة.

وكتب أيضًا إلى حيان بمصر: بلغني أن بمصر إبلًا نقَّالات يُحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا، فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل(٢).

وجاء الفقهاء ففصلوا ما يجب على مالك الدابة من النفقة، والرعاية في كتاب النفقات من كتب الفقه، كما فصلوا ما يجب على الإنسان نحو الكلاب والطير ونحوها، تفصيلًا لم يخطر ببال أحد من البشر في تلك الأعصار، وهو تفصيل لم تدفع إليه المنفعة المادية أو المصلحة الاجتماعية فحسب، كما هو الشأن في القوانين الوضعية، بل الدافع إليه ـ فوق ذلك كله ـ دافع أخلاقي محض، هو رفع الظلم والأذى والضرر عن كائن حي ذي كبد رطبة، يحس ويشعر ويتألم، وإن لم يكن له لسان يتكلم به ويشكو.

ومن هذا التفصيل نراهم يحددون متى يجوز ضرب الدابة؟ وأين تضرب؟ وبم تضرب؟ وكيف تضرب؟ فنراهم يقولون: تضرب

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (١٢٧/٧).

(٢) التراتيب الإدارية (٩٩/٢)، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ ١٤١، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ٦، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الدابة على النفار ولا تضرب على العثـار، لأن العثار لا يد لها فيه بخلاف النفار والحرونة. ويقولون: لا تُضرب في الوجه، ولا تضرب بحديدة أو بمقرعة في أسـفلها حديدة، كما نقلنا ذلك عن عمر بن عبد العزيز.

وقد تصدّى لذلـك العلامة المغربي المالكي، الشـيخ أبو علي بن رحال فقال: «وما ذكر من حبس الطير إنما هو إذا لم يكن فيه تعذيب أو تجويع أو تعطيش، ولو بمظنة الغفلة عنه، أو بحبسه مع طير آخر ينقب رأسه، كما تفعله الديوك في الأقفاص ينقب بعضها رأس بعض، حتى إن الديك يقتل آخر، وهذا كله حرام بإجماع، لأن تعذيب الحيوان لا يختلف في تحريمـه، والفائدة يتأتى وجودها بلا تعذيب، وهذا إن كان يحبسـه وحده أو مع من لا ينقبه، أو يعمل بينهمـا حائلًا بحيث لا يصل بعضه إلى بعض، ويتفقده بالأكل والشـرب، كما يتفقـد أولاده، ويضع للطير ما يركب عليه كخشبة، وأما أن يضعه على الأرض بلا شيء، فذلك يضر به غاية الضرر في البـرد، وهذه الأمور لا تحتاج إلـى جلب نص فيها لوضوحها، وكم رأينا من يعذب الدجاج في الأقفاص على وجوه مختلفة من أنواع العذاب، وكذا حبس الكبش بلا أكل ولا شرب، أو بغل يربطه في موضع، ويغلق عليـه حتى يكاد يموت جوعًا، ومـن لا رحمة فيه، لا يعتبر في الدفع عن الدواب إلّا ما يقتلها أو يضعف بدنها، وأما عذابها في نفسها إذا سلمت مما ذكر فلا يبالى به، وذلك كله حرام وعقوبته في الدنيا والآخرة إن لم يعف الله».

ثم قال: «وكثير من الناس يسـمع مثلًا أن الطير يجوز حبسـه وأن العصفور يجـوز أن يلعب به، ويسـتدل بحديـث: «**يا أبا عمير ما فعل**

QaradawiBooks.com

النغير»[(١)]؟ ويعتمد على ذلك بلا شرط عدم تعذيبه، وهذه مسألة عظيمة الأجر والعقاب، وكذا تحميل الدواب أكثر مما تقدر عليه بحسب العادة وغير ذلك، وذلك كله من نزع الرحمة من القلوب ولكن: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[(٢)].

وليست مراعاة هذه الأحكام الخاصة برعاية الحيوان والإحسان إليه، موكولة إلى ضمائر الأفراد فقط، فمن فرط فيها أو تهاون بها لم يكن للقضاء ولا للدولة عليه من سلطان.

كلا، فقد رأينا العمرين ـ ابن الخطاب وابن عبد العزيز ـ يلزمان الرعية بالرفق إلزامًا، وإنما لم يفعل ذلك النبي ﷺ، لأن الناس في عهده كانت تكفيهم الموعظة لتغيير سلوكهم، دون حاجة إلى إلزام قضائي أو تدخل حكومي.

أما بعد ذلك فمن حق السلطان والقاضي والمحتسب أن يتدخلوا لإزالة الظلم عن هذه المخلوقات المظلومة، ومن واجب أي مسلم شاهد هذا الظلم أو القسوة أن ينهى عنه، ومن حقه أن يرفعه إلى أولي الأمر ليعملوا على رفعه.

قال العلامة الماوردي في «الأحكام السلطانية»: «إذا كان من أرباب المواشي من يستعملها فيما لا تطيق الدوام عليه أنكره المحتسب عليه ومنعه منه»[(٣)] اهـ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠)، كلاهما في الأدب، عن أنس.

(٢) التراتيب الإدارية (٢/٩٨، ٩٩). والحديث متفق عليه: رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣)، كلاهما في الجنائز، عن أسامة بن زيد.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي صـ ٣٧٢، نشر دار الحديث، القاهرة.

QaradawiBooks.com

ولما قال ابن رشد: (يُقْضَى للعبد على سيده إن قصر عما يجب له عليه بالمعروف في مطعمه وملبسه، خلاف ما يملكه من الدواب، فإنه يؤمر بتقوى الله في إجاعتها، ولا يقضى عليه بعلفها)[١] رده مستعظما له، الشيخ أبو علي بن رحال في باب النفقات من شرح المختصر ـ يعني متن خليل ـ بنص ابن عبد البر في «الكافي»[٢]، والرفق بالدواب في ركوبها والحمل عليها واجب سُنَّة، فإنها عجم لا تشكو و«**في كل ذي كبد رطبة أجر**»[٣]، هذا قول رسول الله ﷺ، فإذا كان في الإحسان إليها أجر فكذلك في الإساءة إليها وزر، ولا يحمل على الدواب أكثر من طاقتها، ولا تضرب على وجوهها ولا تتخذ ظهورها كراسي، ولا تقلد الأجراس، ولا تستعمل ليلًا إلَّا أن يروح عنها نهارا، ولا يحل حبس بهيمة مربوطة عن السرح والانتشار بغير علف ولا طعام.

قال ابن رحال: فإن قول ابن رشد: الدابة لا يقضى... إلخ. يلزم ابن رشد، أن الدابة إذا حمَّلها مالكها ما لا تطيقه من الحمل أو الشغل يعذبها عذابًا شديدًا بلا فائدة، أنه لا يقضى على المالك بترك ذلك، وأنه يترك هو وإياها، ويؤمر بتقوى الله فيها فقط، وذلك لا يحل أصلًا مع مخالفة ذلك لكلام الناس وحديث: «**في كل ذي كبد رطبة أجر**»، رأيت أبا عمر قال: يلزم عليه أن الإساءة فيها وزر، والوزر منكر، والمنكر يجب تغييره ـ كما أشار إليه ابن عرفة ـ ولو كان الناس

---

(١) البيان والتحصيل (٢٠٨/٩).

(٢) انظر: الكافي لابن عبد البر (١١٤٣/٢)، تحقيق محمد الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط٢، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٣)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

يزجرون بقول الإمام لهم: اتقوا الله في كذا ما شــرعت الزواجر والقتل والسجون والتعزيرات[(١)].

وبهذه النقــول النيرة، يتبين لنا روعة هذه الأحــكام الخاصة بالرفق بالحيوان، وســبقها بقرون طويلة كل ما عرفه الناس عن ذلك في العصر الحديث وفاقته بمراحل ومراحل.

الإحسان بالنبات:

ومن مجالات الإحســان بالبيئة وعناصرها الحية: الإحسان بنباتاتها وأشجارها، وذلك بحكم أن الإنسان مستخلف من الله في هذه الأرض، وأمانة الخلافة تقتضي أن يحافظ المســتخلف على كل ما ائتمن عليه، وعهد إليه رعايته. وإنما يتم ذلك برعايــة حاجته، وإصلاح أمره، وعدم إفساده وإتلافه، أو تعريضه للتلف بوسيلة وأخرى، وحتى لا يحقق سوء ظن الملائكة بالإنسان حين عرض ربنا تبارك وتعالى عليهم قضية خلق آدم وذريته، وقال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ومما ينــاســب هذا الجواب الإلهي للملائكة أن يقوم الإنســان بحق خلافته، ويســتخدم مواهبه وملكاته وما علمه الله من أسماء، في إصلاح الأرض وعمارتها.

ولعلّ أبرز النصوص في ذلــك ما جاء في المحافظــة على نباتات الحرم، بحيث لا يقطع بأي وســيلة من الوســائل، بل لــه أن يتلف أو يحرق. ولم يستثن من ذلك إلّا (الإذخر) لحاجة الناس إليه.

---

(١) التراتيب الإدارية (٢/٩٩ ـ ١٠٠).

QaradawiBooks.com

ومن عجيب ما يذكر هنا: اهتمام المسلمين ببعض أنواع النبات أكثر من غيره مثل (النخلــة)، التي تكرر ذكرها والحديــث عنها في القرآن، والتي شبهها النبي ﷺ بالمؤمن أو شبه المؤمن بها، وقال: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المؤمن**»[١].

وقد أكد المسلمون اهتمامهم هذا برواية حديث حول النخلة ضعفه بعض العلماء، ورماه بعضهم[٢] بالوضع والكذب، وهو الحديث الذي يقول: «أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خلقت من طينة أبيكم آدم. وليس من الشــجر شــجرة أكرم على الله من شــجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران»[٣].

ولا أذكر هذا الحديث هنا للاســتدلال به، فهو أوهى من أن يستدل به، ولكن للدلالة على تقبل العقلية الإسلامية لفكرة إكرام النخل، حتى اخترعوا لها نسبًا بالإنسان، وزعم بعضهم أنه نسب حقيقي، وقال غيره: إنها عمتكم بخيرها.

ونقل العلامة المنــاوي في (فيض القدير) عن ولــي الدين العراقي قوله: المراد بإكرامها: سقيها، وتلقيحها والقيام عليها، وتعهدها[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٣١)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨١١)، عن ابن عمر.

(٢) منهم ابن الجوزي في الموضوعات، ولم يتعقبه الســيوطي، وإن أورده في الجامع الصغير (١٤٣٢)، وانظر: كلام المناوي عليه في فيض القدير (٩٤/٢).

(٣) رواه أبو يعلى (٤٥٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٢٣/٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٣٠٦): فيه مســرور بن ســعيد التميمي، وهو ضعيف، قال الألباني فــي الجامع الصغير (٣٠٦١): موضوع. عن علي.

(٤) فيض القدير للمناوي (٩٤/٢ ـ ٩٥).

QaradawiBooks.com

وقد مرّ النبي ﷺ بالأنصار، وهم يلقحون نخيلهم، فسألهم ماذا يفعلون، فأخبروه، فلم ير ضرورة لهذا الأمر، وظنه الأنصار أمرًا دينيًّا، فتركوا التلقيح أو التأبير، فخرج الثمر في الموسم شيصًا (أي رديئًا غير صالح)، فلما سألهم قالوا له: أنت أشرت علينا بتركه، فقال لهم: «**إنما ظننت ظنًّا، فلا تؤاخذوني بالظن، أنتم أعلم بأمر دنياكم**»(١).

وبهذا ترك للناس أن يدبّروا أمر دنياهم بما وهب الله لهم من عقول، وبما حصلوا من خبرات وتجارب، حتى يصلوا إلى درجة (الإحسان)، الذي هو فريضة إسلامية، كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**»(٢).

الإحسان والرفق بالجمادات:

وليس الإحسان والرفق المطلوب مقصورًا على الكائنات الحية من الإنسان والحيوان والنبات فحسب، فقد رأينا الحديث النبوي يقرر «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» فهذه كلية عامة لا استثناء فيها. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] فهؤلاء الأخيار يتعاملون مع الله تعالى بالتقوى، ومع خلقه بالإحسان. وخلق الله هنا يشمل: الأحياء والجمادات جميعًا.

ولهذا ينبغي للمسلم أن يحسن بكل ما يتصل به، ويتعامل معه، ويرفق به الرفق الذي يلائمه، ويحفظه وينميه، كما يحب الله تعالى ويرضى. كما قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

---

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، عن أنس وعائشة.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٧.

QaradawiBooks.com

الإحسان بالأرض وتربتها:

ومن ذلك: الإحسان بالأرض التي نعيش عليها، ونمشي في مناكبها، آكلين من رزق الله فيها، وقد جعلها الله لنا ذلولًا.

وقد خلق الله لنا هذه الأرض صالحة لإقامتنا، ولغرسنا وزرعنا، وجعل لنا بها صلة وثيقة، فمنها نأكل وتأكل أنعامنا، وعليها نعيش وتعيش حيواناتنا، إلى ترابها نعود بعد موتنا، ومنها نخرج عند بعثنا. وهذا ما جعل كثيرًا من الأدباء والشعراء يقولون: الأرض أُمُّنا!

والقرآن الكريم يشير إلى ذلك في آيات كثيرة، حسبنا منها ما ذكره الله تعالى على لسان سيدنا موسى، وقد سأله فرعون مع أخيه هارون: من ربكما يا موسى؟ قال: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٠ ـ ٥٥].

وقد أمرنا الله تعالى أن نحسن للأرض، ونصلحها، ولا نعثي فيها مفسدين، قياما بأمانة الاستخلاف، وبشكر النعمة، وبواجب العمارة.

فمن الإحسان بالأرض الزراعية أن يتولاها زارعها بالرعاية والتسميد والسقي، والتنقية مما يعوق نماء نباتها، وعليه أن يراعي ما يناسبها من الزرع، فمن الزرع ما إذا استمر في أرض أضعف تربتها، وأفقدها كثيرًا من حيويتها. ولقد رأيت الفلاحين في قريتي ـ وأنا صبي ـ يزرعون الأرض في سنة قمحا وشعيرا، وفي السنة التالية برسيما، فالقمح

QaradawiBooks.com

يضعفها، والبرسيم يقويها، وقد ذكر علماء الزراعة لذلك تفسيرًا لا مجال له هنا الآن.

كما أنهم كانوا إذا سقوها كان سقيها بحساب، فلا يسرفون في السقي حتى تغرق، ولا يقللون منه حتى لا يرتوي ظمؤها. ويقدرون ما بين السقيتين بحساب دقيق، وكل نبات يعرفون مقدار حاجته إلى الماء، فالأرز غير القمح، وهما غير القطن. وهكذا.

وكانوا يقولون: أعط الأرض تعطك. وأحسن إليها تحسن إليك. وهذا مستمدّ من قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وهكذا إذا كانوا طيبين مع الأرض كانت الأرض طيبة معهم، فالطيبات للطيبين، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

وأعظم ما يتحقق به الإحسان في عصرنا: تجنب كل ما يؤدي إلى (تلويث التربة) بالمواد التي تخرجها عما جعل الله فيها من الخير والبركة والصلاح بمقتضى فطرتها، فلا يجوز للإنسان تغيير فطرتها التي فطرها الله عليها، فكل خروج على الفطرة ـ في أي مجال كان ـ ضرب من الفساد المحظور.

الإحسان بالماء:

ومن الإحسان بالجماد كذلك: الإحسان بالماء، أساس خلق الأحياء، وقوام الحياة كلها. يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

QaradawiBooks.com

وقد سبق القرآن بهذا كل ما قرره (علم الأحياء) الحديث من أن الماء هو أصل الحياة.

وقد لوحظ منذ أقدم العصور أن الماء هو العنصر الأساسي لاستقرار الإنسان وازدهار حضارته. وأينما وجد الماء وجدت مظاهر الحياة. ولا عجب أن ارتبطت الحضارات القديمة ارتباطًا وثيقًا بموارد المياه العذبة، وبالأنهار الكبيرة، كما في مصر والعراق وغيرهما.

وليس بغريب أن يتجمع البدو في الواحات حول عيون الماء. فالماء لا يمكن الاستغناء عنه لاستحالة استمرار الحياة بدونه، ولارتباط الأنشطة البشرية المختلفة به.

وقد أثبت علم الخلية: أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية، حيث يدخل في تكوين جميع خلايا الكائنات الحية بمختلف صورها وأشكالها وأحجامها وأنواعها. وهو يكون نحو ٩٠ في المائة من أجسام الأحياء الدنيا، ونحو (٦٠ ـ ٧٠) في المائة من أجسام الأحياء الراقية بما في ذلك الإنسان.

وبدون الماء لا يمكن لخلايا الجسم الحي أن تحصل على الغذاء. فالماء مكون رئيسي لأجهزة نقل الغذاء في الكائنات الحية، والفضلات السامة ـ التي تنتج من العمليات الحيوية كالبول والعرق ـ تطرح خارج الجسم الحي ذائبة في الماء.

والماء هو الوسط الذي تُجرى فيه كافة العمليات الحيوية من هضم وامتصاص وبناء، إلخ.

QaradawiBooks.com

وقد أثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء، فهو إما وسط أو عامل مساعد (catalyst) أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه.

كما أثبت علم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) أن الماء ضروري لقيام كل عضو في جسم الإنسان بوظائفه على الوجه الأمثل، ومن دون الماء لا يمكن لهذا العضو وغيره أن يستمر في عمله ووجوده.

ومما يجدر بنا ذكره أن الماء ـ كما خلقه الله ـ يحمل من الصفات ما يمكنه من المساعدة في الحياة على سطح الأرض، بغض النظر عن كونه عذبا فراتًا أم ملحًا أجاجًا، فالماء العذب والماء المالح هما بيئة كثير من المخلوقات والكائنات الحية.

يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤].

أي جعل مياهه صالحة لحياة الأحياء التي تعيش فيه، والتي يعتمد عليها الإنسان في غذائه. ويقول تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦].

وقد قال المفسرون: إن المقصود بالبحر في هذه الآية: كل ماء يوجد فيه صيد بحري، وإن كان نهرا أو غديرًا[(١)].

كما أشار القرآن الكريم إلى أهمية مياه الأمطار للأحياء ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩] فماء المطر

(١) فتح القدير للشوكاني (٨٩/٢)، نشر دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ضروري لنمــو النباتات التي تتغــذى عليها الحيوانـــات ويتغذى عليها الإنسان. ومن دون هذا الماء تكون الأرض مواتًا. ولولا الماء لما أمكن للنباتات الخضـــراء، والأحياء الأخرى المحتوية علــى صبغة اليخضور (الكلوروفيــل)، أن تقــوم بصنــع الغـــذاء في عمليــة البنــاء الضوئي (photosynthesis).

إن الماء ـ بإيجاز ـ هو وحدة البناء في كل كائــن حي، نباتًا كان أم حيوانًا أم إنسانًا.

ونظرًا لأهمية الماء، جعله الله حقًّا شــائعًا بين البشــر جميعًا، فحق الانتفاع به مكفول للجميع بلا احتكار ولا إفساد ولا تعطيل(١).

وروى ابن ماجه عن أبي هريــرة أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث لا يمنعن: الماء والكلأ والنار**»(٢). وعن ابن عمر مرفوعًا: «**المســلمون شــركاء في ثلاثة: في الكلأ والماء والنار**»(٣).

وبهذا يشترك الناس جميعًا في الموارد التي تقوم عليها ضروريات الحياة.

وينبغي للإنسان أن يتعامل مع الماء بإحســـان، باعتباره من أعظم نعم الله عليه، وعلى كل الكائنات الحية من حوله من أنعام ونبات، مما سخّر للإنسان.

---

(١) انظر: البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوّث لمحمد عبد القادر الفقي صـ ٥٢ ـ ٥٤، نشر مكتبة الأسرة، مصر، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) رواه ابن ماجه في الرهون (٢٤٧٣)، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٧٦/٧): إسناده على شرط الشيخين. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٨٠/٣، ٨١): إسناده صحيح. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٠٠٥).

(٣) عزاه الزيلعي في نصب الراية (٢٩٤/٤) للطبراني.

QaradawiBooks.com

والإحسان بالماء يتضمن عدة أمور، ينبغي للإنسان ـ وخصوصا الإنسان المؤمن ـ أن يعيها ويغرسها في أعماق فكره ووجدانه. منها:

١ ـ أن يشعر بنعمة الله عليه فيه، ويحمده تعالى عليها، روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**»(١).

كما علم المسلم أن يقول بعد أن يفرغ من وضوئه: «**أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين**»(٢).

٢ ـ أن يحافظ عليه نقيًّا طاهرًا، فلا يلوثه بأي ملوث من الملوّثات، التي تخرجه عن فطرته، وتجعله خبيثًا غير طاهر، ضارًّا غير نافع، فإن شكر النعمة أن تستخدم فيما خلقت له، لا في الفساد وفي معصية الله، وآفة الحضارة الحديثة أنها لم تراع ذلك في استخدامها، فكان تلويث الماء في الأنهار والبحار وغيرها، حتى أدى ذلك إلى موت كثير من الكائنات الحية في الماء، أو إصابتها بما يضرها ويضر الإنسان معها.

٣ ـ أن يقدر قيمة الثروة الثمينة، التي لا يقدر قدرها، فلا يسرف في استعماله بغير حاجة، ولا يضيعه هباء، فقد نهي المسلم عن الإسراف في الماء، كما نهي عن الإسراف في كل شيء، فإن الله لا يحب المسرفين.

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٤)، وأحمد (١١٩٧٣).

(٢) رواه الترمذي في الطهارة (٥٥)، وقال: في إسناده اضطراب. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٦٧)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

ولقد روى أكثر من صحابي (عائشة[١] وجابر[٢] وسفينة[٣]) عن النبي ﷺ: أنه كان يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع (المد: رطل وثلث بالبغدادي أو رطلان. على الخلاف. والصاع أربعة أمداد) على خلاف ما يفعله الموسوسون من المتدينين.

وقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثًا ثلاثًا، ثم قال: «**هذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم**»[٤].

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مر بسعد، وهو يتوضأ، فقال: «**ما هذا السرف؟** فقال: أو في الوضوء سرف؟ (كان يحسب الإسراف في المأكل والمشرب ونحوهما) قال: «**نعم وإن كنت على نهر جار**»[٥].

ويلحق بالماء: الهواء الذي جعل الله فيه حياة الإنسان والحيوان والنبات، وعلى الإنسان أن يتعامل معه بما لا يفسده ولا يلوثه، وبشكر نعمة الله فيه.

---

(١) رواه أحمد (٢٦٠١٩)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح.

(٢) رواه أحمد (١٤٩٧٦)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. وابن خزيمة في الوضوء (١١٧)، والحاكم في الطهارة (١٦١/١)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه مسلم في الحيض (٣٢٦)، وأحمد (٢١٩٣٠).

(٤) رواه أحمد (٦٦٨٤)، وقال مخرجوه: صحيح. وأبو داود (١٣٥)، والنسائي (١٤٠)، كلهما في الطهارة، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٤١٧) عن عبد الله بن عمرو.

(٥) رواه أحمد (٧٠٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الطهارة (٤٢٥)، وقال الشيخ شاكر في تخريج المسند (٧٠٦٥): ونقل شارحه عن زوائد البوصيري قال: إسناده ضعيف، لضعف حيي بن عبد الله وابن لهيعة. ونحن نخالفه في هذا، كما ذكرنا مرارًا بشأن ابن لهيعة، وكما رجحنا توثيق حيي بن عبد الله (٦٥٩٦)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٢)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

كما يلحق بذلك كل ما يقع تحت يد الإنسان من الأشياء، والآلات والأدوات والمســاكن، فواجب عليه الإحسان بها، ولا يجوز إفسادها أو إتلافها أو العدوان عليها، أو إهمالها وإضاعتها، فتضيع بذلك ثروة على المجتمع، بل على البشرية كلها.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

٧
المحافظة على البيئة من الإتلاف

يسعى الإسلام بتوجيهاته الأخلاقية، وتشريعاته القانونية للمحافظة على عناصر البيئة ومكوناتها، ويعمل على تنميتها وتحسينها.

كما أن الإسلام يقاوم بشدة كل عمل يفسد البيئة، ويتلف عناصرها، ويعتبر ذلك عملًا محرّمًا يعاقب الله عليه، ومنكرًا يجب النهي عنه، وتغييره باليد أو باللسان أو بالقلب، وذلك أضعف الإيمان.

وهناك أنواع من الإتلاف بدوافع مختلفة كلها محرم ومنكر شرعًا.

١ ـ الإتلاف بدافع القسوة:

فمن الإتلاف المحظور شرعًا: الإتلاف بدافع القسوة على خلق الله، وخصوصًا من الحيوانات، كما جاء ذلك في حديث المرأة التي حبست الهرة حتى ماتت جوعًا. وهو ما رواه ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»[1] وفي رواية: «**عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»[2].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣١٨)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢).
(٢) سبق تخريجه صـ١٠٢.

QaradawiBooks.com

وخشاش الأرض: الحشرات والهوام مثل الفأرة ونحوها.

وإنما استحقت هذه المرأة النار والعذاب، لقسوة قلبها، وخلوه من الرحمة لهذه المخلوقة الضعيفة.

٢ ـ الإتلاف بدافع الغضب:

ومما يحرمه الإسلام الإتلاف لعناصر البيئة الحية ـ ولو كانت من جنس الحشرات ـ بدافع الغضب، ولا سيما إذا أدى ذلك إلى ما يشبه (الإبادة الجماعية)، فكثيرًا ما أدى الغضب بصاحبه إلى الوقوع في فساد الرأي أو فساد السلوك، ولذلك أوصى الرسول بعض الناس فقال له: «**لا تغضب**»، وكان ذلك بطلب من الرجل، ثم كرر الطلب أكثر من مرة، فكرر النبي الوصية[١]؛ لأن الغضب ـ كالشهوة ـ مصدر شر كثير، وعلى المرء المؤمن أن يجعل عقله مسيطرًا على قوته الغضبية، حتى يتميز عن السباع. وقوته الشهوية، حتى يرتقي عن البهائم.

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قرصت نملة نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل، فأحرقت فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة تسبح؟**»[٢].

وذكر الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: أنه وقع في بعض طرقه: أن الله أوحى إليه: «**فهلا نملة واحدة؟**»[٣] فإن فيه إشارة إلى أنه لو أحرق التي قرصته وحدها لما عوتب.

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٦١١٦)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٣٠١٩)، ومسلم في السلام (٢٢٤١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣١٩)، ومسلم في السلام (٢٢٤١) (١٤٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقال الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب) بعد أن ذكر رواية «**فهلا نملة واحدة؟**»: فيه دليل على أن التحريق كان جائزًا في شريعتهم[١].

فهل هو جائز في شريعتنا؟ وهل شرع من قبلنا شرع لنا أولا؟ وقد جاءت أحاديث صحاح تنهي عن التحريق والتعذيب بالنار بصفة عامة، فإنه لا يعذب بالنار إلَّا رب النار. وخصوصًا أن بعض الأحاديث نهت عن قتل النملة والنحلة والهدهد والصرد. على أن الذي لا خلاف في تحريمه هو القتل الجماعي للنمل وغيره.

٣ ـ الإتلاف بدافع العبث:

ومن الإتلاف المحظور والمنكر شرعًا: الإتلاف بدافع العبث، ومعنى العبث: ألا يكون له هدف يحقق له منفعة معتبرة من وراء هذا الإتلاف المتعمد.

ومن ذلك: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: أنه مر بفتيان من قريش نصبوا طيرًا ـ أو دجاجة ـ يترامونها. وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا. إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضا![٢].

والغرض: هو الهدف الذي ينصبه الرماة، يقصدون إصابته من قرطاس أو خشب أو معدن أو غيره.

فهؤلاء قد اتخذوا هذا الطير أو هذه الدجاجة غرضًا لهم يصوبون نحوه نبالهم، إما ليتدربوا أو ليتسابقوا، وكان يمكنهم أن يحققوا هذه

---

(١) انظر كتابنا: المنتقى من الترغيب والترهيب، التعليق على حديث رقم (١٨٤٠) (٢/٨٩٩).

(٢) سبق تخريجه صـ١٣٥.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المنفعة باتخاذ غرض من خشب أو قرطاس ونحو ذلك، ولكن العبث بأرواح المخلوقات الضعيفة غلب على هؤلاء الفتية، ولهذا حذرهم ابن عمر، وأخبرهم بلعن رسول الله ﷺ لكل من قام بهذا الصنيع.

وأصرح من هذا ما رواه الشريد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قتل عصفورًا عبثا عج إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب، إن فلانا قتلني عبثًا. ولم يقتلني منفعة**»[1].

ونحوه حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من إنسان يقتل عصفورًا فما فوقها، بغير حقها، إلَّا يسأله الله عز وجل عنها**، قيل: يا رسول الله، وما حقها؟ قال: **أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها ويرمي بها**»[2].

٤ ـ الإتلاف بلا ضرورة ولا حاجة:

ويقرب من هذا الإتلاف العبثي: الإتلاف لعناصر البيئة بلا ضرورة تلجئ إلى ذلك، ولا حاجة معتبرة تدفع إليها، إنما هو الجهل أو الظلم والإفساد في الأرض، الذي نهت عنه كل رسالات السماء.

انظر إلى هذا الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن عبد الله بن حبشي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار**»[3].

(١) سبق تخريجه صـ٩٤.

(٢) سبق تخريجه صـ٩٤.

(٣) سبق تخريجه صـ١٠٦.

QaradawiBooks.com

والمراد بالسدرة: شجرة السدر المعروف، (ويسمى في بعض البلاد: النبق)، وهــو ينبت في الصحاري، ويصبر علــى العطش، ويقاوم الحر، وينتفع الناس بتفيؤ ظلاله، والأكل من ثمــاره، إذا اجتازوا تلك الفيافي مسافرين، أو باحثين عن الكلأ والمرعى، أو لغير ذلك من الأغراض.

والوعيد بالنار لمن قطع ســدرة يــدل على تأكيــد المحافظة على مقومات البيئة الطبيعيــة، لما توفره من حفظ التــوازن بين المخلوقات بعضها وبعض، وما يمثله الاعتداء عليها من فقدان بعض العناصر المهمة لسلامة الحياة والإنسان.

وبهذا سبقت السُّــنَّة النبويَّة الجماعات والأحزاب المعاصرة في كثير من أنحــاء العالم، التي تنــادي بالمحافظة على (الخضــرة) في الغابات وغيرها، وتندد بقتلة (الأشجار) وبـ (المذابح) التي تتعرض لها الأراضي الخضراء نتيجة جهل الإنسان وجشعه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقد رأيت بعض رجال الحديث يصرفون هــذا الحديث النبوي عن ظاهره المتبادر الذي يفيــده عموم لفظه «من قطع ســدرة» فتأولوه بأن المراد: سدرة من سدر الحرم، وكأنهم استكثروا الوعيد بالنار على قطع ســدرة، فارتكبوا هذا التأويل الذي لا دليل عليه. والأصل حمل الكلام على ظاهره وعمومه، حتى يقوم دليل واضح على عكسه.

ومن حسن الحظ أن الإمام أبا داود الذي أخرج الحديث في (سننه) خالف هؤلاء المتأولين، واتجه بالحديث الوجهة الصحيحة، فقد ســئل عن هذا الحديث فقال[1]: هذا الحديث مختصر، يعني: من قطع سدرة في

(١) سنن أبي داود عقب حديث رقم (٥٢٣٩).

QaradawiBooks.com

فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم ـ عبثًا وظلمًا بغير حق، يكون له فيها ـ صوب الله رأسه في النار. اهـ.

٥ ـ الإتلاف بسبب الإهمال والإضاعة

ومن الإتلاف المحظور: الإتلاف بسبب الإهمال للشيء، والتقصير في رعايته حتى يتلف ويهلك، سواء كان حيوانًا أم نباتًا أم جمادًا. ويدخل ذلك ـ أول ما يدخل ـ في إضاعة المال التي نهى عنها النبي ﷺ.

ومن أمثلة ذلك: إهمال الحيوان حتى يهلك من الجوع أو المرض، وإهمال الزرع حتى تأكله الآفات، وإهمال الحبوب والثمار والأطعمة حتى يتلفها العفن والسوس، وإهمال الثياب حتى تبليها (العتَّة)، وإهمال المباني والمرافق حتى تهلكها عوادي الزمن، وإهمال الآلات حتى يأكلها الصدأ، ومن ذلك إضاءة الأنوار نهارًا حيث تستهلك الطاقة بلا حاجة إليها، وترك صنابير المياه مفتوحة حيث تصب في غير حاجة، وإلقاء فضلات الطعام في القمامة وفي الناس من يحتاج إلى لقيمات يقمن صلبه، وترك الثياب الصالحة للاستعمال لمجرد خرق صغير بها، أو مرور زمن عليها، وفي المجتمع من يحتاج إلى خرقة تستر عورته أو تقيه الحر والقر.

ومن إضاعة المال: ترك الأرض الصالحة للزراعة دون استغلالها، وترك الوسائل المستطاعة لزيادة إنتاجها ـ كمًّا ونوعًا ـ دون استخدامها، وكذلك إهمال الثروة الحيوانية مع إمكان تنميتها، وتوسيع نطاق الانتفاع بها، بلحومها وألبانها وما يستخرج منها، وبما أشار القرآن إليه من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها. وترك المصانع والمباني والأجهزة دون صيانة دورية، حتى تهلك قبل عمرها الافتراضي.

QaradawiBooks.com

ومن أجل النهي عن إضاعة المال أنكر النبي ﷺ على من تركوا الشاة الميتة فلم ينتفعوا بجلدها، فقد روى الشيخان عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بشاة ميتة فقال: «**هلا استمتعتم بإهابها؟**» (جلدها)، قالوا: إنها ميتة!، قال: «**إنما حرم أكلها**»[(١)].

ومن أجل ذلك أيضًا عنون البخاري في صحيحه فقال: باب: هل تكسر الدنان التي فيها خمر أو تخرَّق الزِّقاق[(٢)] (أي القرب التي فيها الخمر)؟ وقال الحافظ ابن حجر في شرحه: لم يبين الحكم؛ لأن المعتمد فيه التفصيل، فإن كانت الأوعية يُراق ما فيها، وإذا غُسلت طهرت وانتفع بها، لم يجز إتلافها، وإلَّا جاز[(٣)].

وقال السبكي الكبير: الضابط في إضاعة المال: ألا يكون لغرض ديني ولا دنيوي، فإن انتفيا حرم قطعًا، وإن وجد أحدهما وجودًا له بال، وكان الإنفاق لائقا بالحال، ولا معصية فيه، جاز قطعًا، وبين الرتبتين، وسائط كثيرة لا تدخل تحت ضابط[(٤)].

٦ ـ تحريم الإتلاف في الحرب:

ومن روائع ما جاء في الشريعة الإسلامية: أنها لم تجز الإتلاف والإفساد لعناصر البيئة، حتى في حالة الحرب، التي يخرج الناس فيها عادة على الحدود المعهودة، ويتجاوزون المألوف في العلاقات، فكثيرًا ما يقطعون الأشجار، ويخربون العامر، ويهدمون الأبنية، ويقتلون

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٢٢١)، ومسلم في الحيض (٣٦٣)، عن ابن عباس.
(٢) صحيح البخاري (١٣٦/٣).
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢٢/٥)، نشر دار المعرفة، بيروت.
(٤) المصدر السابق (٤٠٩/١٠).

QaradawiBooks.com

الحيوانات لا ليأكلوها، بل ليتلفوها على أعدائهم. وهذا ما منعه الإسلام في حروبه، إلَّا ما اقتضته الضرورة القصوى، مثلما حدث في حصار بني النضير، حيث اختبأوا في نخيلهم محتمين به، معتمدين على أن المسلمين لن يقدموا على ضربهم في نخيلهم؛ لأنه من الإفساد الذي نهى عنه الإسلام.

ولكن الله تعالى أذن لرسوله لضرورة الحرب في قطع بعض النخيل، وكشف القوم، وإلزامهم بالمواجهة الصريحة، وقد قال اليهود في ذلك: كنت تنهى عن الفساد يا محمد، فما بالك تفعله اليوم، أو نحو ذلك؟

فأنزل الله تعالى في كتابه ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

وجاء في وصايا أبي بكر رضي الله عنه لقواده في الحرب هذه الوصية الواضحة الحاسمة، فقد قال يحيى بن سعيد: حدثت أن أبا بكر بعث جيوشًا إلى الشام، فخرج يشيع يزيد بن أبي سفيان، فقال:

إني أوصيك بعشر: لا تقتل صبيًّا، ولا امرأة، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلَّا لمأكلة، ولا تغرقن نخلًا، ولا تحرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن[1].

وهذا ما مضى عليه المسلمون في حروبهم طوال الفتوح الإسلامية، التي كان المسلمون فيها أقوى قوة عسكرية في الأرض، ولكنهم تجنبوا سياسة الإتلاف والإفساد، وما يسمونه في عصرنا (الأرض المحروقة)، بل كانوا دائمًا صالحين مصلحين، لأنهم

(١) رواه مالك في الجهاد (١٦٢٧) تحقيق الأعظمي، والبيهقي في السير (٨٩/٩).

QaradawiBooks.com

وعوا قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وفي هذا قال المفكر والمؤرخ الاجتماعي الفرنسي غوستاف لوبون: ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب. يعني: المسلمين.

ولكن الحروب في عصرنا لم تراع ما راعاه المسلمون منذ أربعة عشر قرنًا. ولم تبال بما يصيب الإنسان والحيوان والنبات من جرائها.

لقد بلغ الطغيان البشري، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، حدًّا أغرى بعض الدول باستخدام المبيدات والمهلكات الكيمياوية في الأغراض الحربية والعسكرية، مستهدفة إهلاك المحاصيل الزراعية ومناطق الرعي والغابات، فضلا عن إفساد التربة الزراعية، وتنهض الحرب الأمريكية في «فيتنام» دليل صدق وشاهد حق على ما نقول، وكذلك الحال في كل من «لاوس» و«كمبوديا»، حيث استخدمت الدول الغازِيَةُ مبيدات الأعشاب في هذه المناطق، بغرض إتلاف الرقعة الزراعية بها، ولقد انعقد في فيتنام المؤتمر الدولي لتقدير المحصلة الأولية لآثار الحرب الكيمياوية في فيتنام في الفترة من ١٣ ـ ٢٠ من يناير ١٩٨٣، وقد كان من أبرز نتائج هذا المؤتمر ما يلي:

ـ لقد منيت البيئة في «فيتنام» بخسائر جوهرية بسبب استخدام الولايات المتحدة الأمريكية لتلك المبيدات، فقد استخدمت على سبيل المثال مادة (لاجان أورانج) وهي خليط من المبيدات النباتية التي تحتوي على مادة «الديوكسين»، حيث ألقت منها (٤٤) مليون لتر على الأراضي الفيتنامية خلال عشر سنوات (١٩٦١ ـ ١٩٧١م)، وقد أدى ذلك إلى تغيير عميق في تكوين التربة في المناطق التي استخدمت فيها،

QaradawiBooks.com

وكذلك الحال بالنسبة للمناطق المجاورة لها، حيث تم انتقال هذه المواد بواسطة العوامل الطبيعية والحيوانية والنباتية لم تقدر بعد جيدا.

ـ أكدت نتائج المؤتمر استمرار الآثار الضارة بالنوع البشري، فقد أظهرت نتائج الدراسات التي أجريت على الأفراد الذين تعرضوا لخطر استخدام المبيدات، كالمقاتلين، أنهم لحقت بهم أضرار وراثية أدت في النهاية إلى إحداث تشوهات خِلْقِيَّة بهم مثل مرض المنغولية (Mongolism)، وهو مرض وراثي يحدث نتيجة لوجود كروموسوم إضافي للكروموسوم رقم (٢)، كما يمكن ظهور هذا المرض عند التصاق جزء منه بكروموسوم آخر، وتظهر أعراض هذا المرض في بلاهة تصيب الطفل عند ولادته، ويكون من نتيجتها انحراف العينين وتَسَطُّح الجبهة، وتعتبر أكبر أجزاء الجسم عرضة للإصابة بهذه المواد الجلد والعيون وبعض الأغشية والغدد التناسلية، وكلها تؤدي إلى نتائج وراثية تهدد كلًّا من الإنسان والحيوان، فضلًا عن النبات، فقد أثَّرت على المورثات «الكروموسومات» مسببة تشوهات خِلْقِيَّة وارتفاع معدلات المواليد غير الطبيعيين في أُسَر المقاتلين الفيتناميين في أعقاب هذه الحرب. يالله للناس[1]!!

أما ضرب هيروشيما وناجازاكي في الحرب العالمية الثانية، وما خلفتا من هلاك للحرث والنسل، ومن دمار للناس وللبيئة، فشيء فوق الوصف والتصوير، وقد أصبح بَيِّنًا ومعروفًا لدى الخاص والعام، وهو وَصْمَةُ عار للحضارة، ولطخة سوداء في جبين الإنسان.

* * *

(١) انظر: البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني لعبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي صـ ٦٢، ٦٣، نشر الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

٨

حفظ التوازن البيئي

غير مرخصة للطباعة

ومن أهم ما جاءت به التعاليم الإسلامية فيما يتعلق بالبيئة: حفظ التوازن البيئي والحيلولة دون اختلال هذا التوازن.

فمما لا شك فيه أن الله تعالى خلق كل شيء في هذا الكون بحساب ومقدار، ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

لم يخلق شيء في هذا الكون عبثًا أو اعتباطًا، ولم يوضع شيء في غير موضعه، لأن هذا ينافي حكمة الحكيم ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧].

والذي اعترف بحكمته أولو الألباب الذين يذكرونه على كل حال ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١].

لقد قرر القرآن هذه الحقيقة بوضوح لا ريب فيه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۞ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۞ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِي ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٥ ـ ٩].

QaradawiBooks.com

وهذا هو المطلوب من الإنسان أبدًا: العدل والاعتدال في الميزان: لا طغيان في الميزان، ولا إخسار في الميزان، وإنما ينحرف الناس ويسقطون ويضيعون ويهلكون، حين يطغون في الميزان أو يخسرون، والطغيان يعني: الغلو والإفراط، والإخسار: يعني التقصير والتفريط، وكلاهما مذموم، إنما المحمود هو التوسط.

وهذا العدل والاعتدال والتوسط والتوازن ـ سمه ما شئت ـ مطلوب من الإنسان في كل شيء، في الماديات والمعنويات، في أمور البيئة، وأمور الإنسان والحياة كلها.

إن كل شيء في هذا العالم بقدر، كما ذكر القرآن الكريم.

الماء أنزله الله أو خلقه الله بقدر، كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]. فكمية الماء التي جعلها الله في الأرض مقدرة تقديرًا حكيمًا دقيقًا، على حسب حاجة الحياة والأحياء فيها، بلا زيادة ولا نقصان. ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

ويقول تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩].

وكلمة (موزون) هنا لا تفسر تفسيرًا مجازيًا، بل إن كل شيء في النبات موزون بالفعل يعرفه المختصون متمثلًا في نسب ما في النبات من معادن أو أملاح أو ماء أو غيرها بالجرام أو الملي جرام، وما هو أدنى من ذلك من الموازين الحديثة.

QaradawiBooks.com

وقد ذكر أ. كريسي موريسون في كتابه الذي ترجم إلى العربية تحت عنوان (العلم يدعو إلى الإيمان) وفي فصل (ضوابط وموازين) ما بين لنا بالفعل أن كل شيء في هذا الكون بحساب ومقدار، علم ذلك من علمه، وجهله من جهله.

وإن بعض الحشرات التي يجهل الناس الحكمة من خلقها، قد تكون لها فائدة هامة لا يعرفها الناس.

وذكر موريسون في كتابه أنه ظهر في أمريكا في فترة من الزمن نبات (شيطاني) نما وتفرع واتسع وانتشر، حتى غدا الناس يقاومونه، ولا يجدون له حيلة، ولا يهتدون سبيلًا، حتى اكتشف بعض العلماء حشرة معينة، فسلطوها على هذا النبات فأعادت التوازن.

إن صراع (الأضداد) هذا هو في حقيقته سعي إلى التوازن في الكون، ولولاه لطغى بعضها طغيانًا لا يمكن إيقافه.

وقد حكي أن بلدة ما كان فيها بعض السباع التي أقلقت الناس، فخطط أهل القرية للقضاء عليها، وتربصوا بها يومًا فأعملوا فيها السلاح حتى أفنوها. وفي اليوم التالي فوجئ أهل القرية بجيوش من القرود زحفت عليهم من الجبال من حولهم، هددت حياتهم وزرعهم وضرعهم، فقد كان وجود السباع هو الحائل لها دون اقتحام القرية وغزوها.

وفي عالم الإنسان، نجد (سنة التدافع) بين الناس، التي قررها القرآن، التي بها يدفع الله الناس بعضهم ببعض، ولولاها لفسدت الأرض، وطغى الأقوياء على الضعفاء، وهدمت بيوت العبادة لله من

QaradawiBooks.com

الصوامع والمساجد، وفي هذا جاء قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

والذي نهدف إليه من هذا: أن الكون ـ كما خلقه الله ـ متوازن في نفسه، متكامل بعضه مع بعض، ولو طغى فيه شيء، وجد من الكون نفسه ما يرد طغيانه، ويعيد الأمور إلى الموازين القسط.

وإنما يختل التوازن في الكون وفي الحياة بتدخل الإنسان غير المسؤول، وعمله غير المحسوب، وغير المشروع. وتغييره لفطرة الله تعالى في نفسه وفي الكون من حوله، ومجاوزته لحده في التعامل مع المخلوقات الأخرى.

وهنا ينزل به العقاب الإلهي، جزاء وفاقا ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

ولقد زاد تدخل الإنسان في البيئة في هذا القرن، وزاد أكثر وأكثر في العقود الأخيرة منه، مما أخل بالتوازن البيئي، وأخل بالنسب في العلاقات بين الأشياء بعضها وبعض، بالطغيان حينًا وبالإخسار حينًا، مما أدى إلى (التصحر) في بعض المناطق، وطغيان البحر على اليابسة في مناطق أخرى، وتغير المناخ العام، وارتفاع درجة الحرارة، وبروز مشكلة (الأوزون) بشكل بات مقلقا للبشرية في مستقبلها القريب.

وهو ما يخيف المؤمنين أن يؤدي طغيان الإنسان وفساده إلى دمار الأرض وما عليها، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ

QaradawiBooks.com

وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

فهل يتفكر الناس في آيات الله قبل أن تقع الكارثة على رؤوس الجميع؟ وحينئذ يلتمسون الخلاص، ولات حين مناص!

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

(٣)

الأخطار على البيئة

١ ـ خطر التلوّث.

٢ ـ خطر استنزاف الموارد.

٣ ـ خطر الإخلال بالتوازن.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الأخطار على البيئة

غير مرخصة للطباعة

خلق الله تعالى البيئة بمكوناتها المختلفة، صالحة لحياة الإنسان، والقيام بما كلفه الله فيها من العبادة والخلافة والعمارة. وزود هذه البيئة بمكوناتها الطبيعية بالآليات الذاتية التي تحافظ عليها، وتتعاون على صلاحها ونمائها وجمالها وتوازنها. ففيها من النِّعم والخيرات المذخورة والمنشورة ما لا يُحصى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨].

ولكن الإنسان إذا مضى وحده ـ بمعزل عن هداية ربه ـ كثيرًا ما يغلبه الظلم والجهل، أو الكفران للنعمة، أو العجلة، كما وصفه خالقه ﷻ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ [الإسراء: ١١] فيرتكب من التجاوزات ما يجور على البيئة، ويحدث فيها الخلل والفساد، وبهذا يعود على نفسه وعلى من حوله وما حوله بالضرر.

وكلما ازداد الإنسان قوة بالعلم المادي الذي توصل إليه، وتطبيقاته التكنولوجية التي تطورت في السنين الأخيرة تطورًا كبيرًا، ازداد جور الإنسان على البيئة وعلى الطبيعة من حوله، وقد تمثل ذلك فيما سماه العلماء (مشكلات البيئة) وهي التي أصبحت تُشَكِّل خطرًا عليها وعلى مقوماتها.

QaradawiBooks.com

وأمست موضع الشكوى من العالم كله، ولا سيما العالم المتقدم، أو العالــم الأول، الذي أصبحت هذه المشــكلات بمثابة (غــول) يهدده، وينذره بالويل والهلاك.

تتمثل هذه المشكلات الأساسية أو الأخطار الكبرى في ثلاثة أمور:

١ ـ التلوّث في شتى المجالات، وبمستوياته المختلفة.

٢ ـ استنزاف موارد البيئة وسوء استهلاكها.

٣ ـ اختلال التوازن البيئي والكوني.

وســنفصل الحديث عن كل خطر من هذه الأخطــار في الصحائف التالية إن شاء الله.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

١

خطر التلوّث

خلق الله الأرض وما عليها وما يتصل بها ـ وهي التي تكون البيئة الطبيعية للإنسان ـ طاهرة لا خبث فيها، نظيفة لا تحمل أي نوع من التلوّث، متوازنة لا خلل فيها، صالحة لحياة الإنسان وقيامه بمهمته، فطرة الله التي فطر الكون والأشياء عليها.

يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨].

بل هذا ما خلق الله عليه الكون بأرضه وسماواته، فقد خلقه الله على أحسن ما يكون، كما عبر عن ذلك القرآن الكريم في أكثر من آية ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

فليس في الكون ـ كما فطره الله ـ شيء خبيث أو ملوث أو مختل التوازن بحكم الخلقة. إنما يأتي الخبيث والتلوّث والاختلال إلى البيئة من صنع الإنسان، الذي غير فطرة الله تعالى في الطبيعة، وغير خلق الله في الحياة وفي الإنسان.

القرآن يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ ـ ٦].

QaradawiBooks.com

فالإنسان قد خلقه الله تعالى في أحسن تقويم: سواء من ناحية الصورة الجسدية، كما قال تعالى مخاطبا الإنسان: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧، ٨]. وقال تعالى ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣] أم من ناحية التكوين الروحي للإنسان، حيث قال تعالى للملائكة في شأن الإنسان الأول (آدم): ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

هذا الإنسان المخلوق في أحسن تقويم ماديًّا وروحيًّا، قد ردّ إلى أسفل سافلين. إذا ترك لغرائزه ونفسه الأمارة بالسوء، وإنما نجا من هذا الارتداد، وبقي على علوه وارتفاعه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات).

المسؤول عن تلوّث البيئة إذن هو الإنسان الذي استجاب لظلمه وجهله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] ولم يتبع وحي ربه الذي هداه السبيل، وأضاء له الطريق، وأرشده إلى كل خير، وحذره من كل شر. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

ولكن الإنسان في كثير من الأحوال - أو في أكثرها - لم يؤمن ولم يتق، ولم يستقم على الطريقة، ووقع منه ما خشيه الملائكة من قديم حين عرض الله تعالى عليهم خلق الإنسان واستخلافه في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فقد علم الملائكة من خلق الإنسان على طبيعة مزدوجة أنه لا بد أن يقع منه الفساد في الأرض، فقد خلقه الله من طين أو من صلصال من

QaradawiBooks.com

حمأ مســنون، ومن نفخة من روح الله ﷻ، فإذا غلبت نفخة الروح عليه ارتقى ولحق بأفق الملائكة، وربما فاق بعضهم. وإذا غلب عنصر الطين، نزل إلى حضيض الأنعام، وربما كان أضل منها سبيلًا.

تلوّث الماء:

ومن إفساد الإنسان هنا: أنه لوث بصنعه الماء الذي خلقه الله طهورًا. فكيف حدث ذلك؟

أصل المياه العذبة من الأمطار التي تتحول إلى أنهار وبحيرات وغدران، بالإضافة إلى الأنهار المتجمدة في شمال الكرة الأرضية، وجبال الجليد الموجودة في القطبين، والآبار والعيون في جوف الأرض. والأنهار هي المورد الرئيس للمياه العذبة، حيث يعتمد كثير من البشر عليها في أغراض الزراعة والتصنيع وتوفير مياه الشرب والنظافة.

بماذا يتلوّث الماء؟

يتلوّث الماء بكل ما يفسد خصائصه، أو يغير من طبيعته.

وتلوّث الماء من أوائل الموضوعات التي اهتم بها العلماء والمتخصصون في مجال حماية البيئة. وليس من الغريب إذن أن يكون حجم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع أكبر من حجم الدراسات الأخرى التي تناولت باقي فروع التلوّث.

ويعرف تلوّث الماء بأنه (إحداث تلف أو إفساد لنوعية المياه، مما يؤدي إلى حدوث خلل في نظامها الإيكولوجي بصورة أو بأخرى، بما

QaradawiBooks.com

يقلل من قدرتها على أداء دورها الطبيعي، بــل تصبح ضارة مؤذية عند استعمالها، أو تفقد الكثير من قيمتها الاقتصادية، وبصفة خاصة مواردها من الأسماك والأحياء المائية).

وبعبارة أخرى، فإن المقصود بتلوّث الماء، هو (تدنيس مجاري الماء من أنهار وبحار ومحيطات، إضافة إلى مياه الأمطار والمياه الجوفية، مما يجعل من هــذه المياه غير صالحة للإنســان أو الحيــوان أو النبات أو الأحياء التي تعيش في المسطحات المائية).

وهناك عدة صور لتلوّث الماء، منها:

١ ـ اســتنزاف كميــات كبيــرة من الأكســجين الذائب فــي مياه المحيطات والبحار والبحيرات والأنهار، مما يؤدي إلى تناقص أعداد الأحياء المائية.

٢ ـ زيادة نسبة المواد الكيميائية في المياه، مما يجعلها سامة للأحياء. وثمة أنهار كادت أن تكون خالية من مظاهر الحياة بســبب ارتفاع تركيز الملوّثات الكيميائية فيها.

٣ ـ ازدهار ونمو البكتيريا والطفيليــات والأحياء الدقيقة في المياه، مما يقلل من قيمتها كمصدر للشــرب أو ري المحاصيــل الزراعية (إذا كانت عذبة) أو السباحة والترفيه.

٤ ـ قلة الضــوء الذي يعــد ضروريًّا لنمــو الأحياء النباتيــة المائية (كالطحالب والعوالق Planktons).

ويتلوّث الماء عن طريق المخلفات الإنسانية أو النباتية أو الحيوانية أو المعدنيــة أو الصناعيــة أو الكيميائيــة، التــي تُلْقــى أو تصب في

QaradawiBooks.com

المسطحات المائية من محيطات وبحار وبحيرات وأنهار. كما تتلوّث المياه الجوفية نتيجة لتسرب مياه المجاري ومياه التصريف إليها بما فيها من بكتيريا ومركبات كيميائية.

ويمكن تقسيم تلوّث الماء إلى أربعة أنواع رئيسية: التلوّث الطبيعي، والتلوّث الكيميائي، والتلوّث البيولوجي، والتلوّث الحراري. ولكل منها أسبابه وآثاره. لا يتسع المجال للحديث عنها.

أهم ملوثات الماء:

١ ـ المخلفات الصناعية:

تشمل المخلفات الصناعية كافة المواد المتخلفة عن الصناعات الكيميائية والتعدينية والتحويلية والزراعية والغذائية، التي يتم تصريفها إلى المسطحات المائية، والتي تؤدي إلى تلوّث الماء بالأحماض والقلويات والأصباغ والمركبات الهيدروكربونية والأملاح السامة والدهون والدم والبكتيريا، إلخ.

٢ ـ مياه المجاري:

فثمة دول كثيرة تقوم بتصريف مياه المجاري إلى المسطحات المائية كالأنهار والبحار والبحيرات، على الرغم مما في ذلك من أخطار، حيث تكون هذه المياه ملوثة بالمواد العضوية، والمواد الكيميائية (كالصابون والمنظفات الصناعية)، وبعض أنواع البكتيريا والميكروبات الضارة، إضافة إلى المعادن الثقيلة السامة، والمركبات الهيدروكربونية.

ويتم انتقال الكثير من الأمراض الخطرة بواسطة مياه المجاري التي يتم تسريبها إلى المسطحات المائية دون معالجة، حيث تحتوي هذه

QaradawiBooks.com

المياه على كل مسببات نقل الأمراض إلى الإنسان، مثل البكتيريا والفيروسات والطفيليات القولونية والبروتوزوا. وتنتقل هذه الأحياء الدقيقة المسببة للأمراض إلى الإنسان، عن طريق الجلد والجروح والفم، عند الاستحمام أو السباحة في المياه الملوثة، أو عند تناول الأسماك الكائنات البحرية المصابة بهذه الأحياء الدقيقة الممرضة.

٣ ـ النفط:

يعد النفط من أكثر مصادر التلوّث المائي انتشارًا وتأثيرًا. وهو يتسرب إلى المسطحات المائية إما بطريقة لا إرادية (غير متعمدة)، كما هي الحال في انفجار آبار النفط البحرية، أو بطريقة متعمدة كما حدث في حرب الخليج، ومن قبل في الحرب العراقية الإيرانية. كما تتعمد بعض الناقلات البحرية إلقاء المياه المستعملة في غسيل خزاناتها في أعالي البحار، أو قبالة سواحل بعض الدول التي ليست لديها تشريعات قانونية لحماية بيئتها البحرية ومياهها الإقليمية. ويؤدي تلوّث المسطحات المائية بالنفط إلى موت طيور البحر والأسماك والدلافين والأحياء المائية الأخرى.

٤ ـ المبيدات الحشرية:

تنساب المبيدات الحشرية ـ التي ترش على المحاصيل الزراعية ـ مع مياه الصرف إلى المصارف. كما تتلوّث مياه الترع والقنوات التي تغسل فيها معدات الرش وآلاته بهذه المبيدات. ويؤدي ذلك إلى قتل الأسماك والأحياء المائية، وأيضًا نفوق المواشي والأنعام التي تشرب من المياه الملوثة بهذه المبيدات.

QaradawiBooks.com

٥ ـ المفاعلات النووية:

تتسبب المفاعلات النووية في التلوّث الحراري لمياه المسطحات المائية، وذلك حينما يتم تصريف المياه ـ المستعملة في تبريد هذه المفاعلات ـ إلى هذه المسطحات. ويؤدي ذلك إلى إلحاق أضرار كبيرة بالأحياء المائية، مع احتمال حدوث تلوّث إشعاعي للمياه.

٦ ـ المواد البلاستيكية:

كما يؤدي إلقاء المواد البلاستيكية في المسطحات المائية إلى قتل الأسماك والطيور والثدييات البحرية، أو إلحاق الضرر بها. فصغار السلاحف البحرية ـ على سبيل المثال ـ تلتهم أكياس البلاستيك العائمة، ظنا منها أنها قناديل البحر التي تشكل وجبات لذيذة لها، ومن ثم تموت نتيجة انسداد أمعائها بهذه الأكياس البلاستيكية المستعملة في أدوات صيد الأسماك، مما يتسبب في موتها شنقًا بهذه الخيوط.

وتخدع حبيبات اللدائن ـ التي تستعمل كمادة أولية في صناعة منتجات البلاستيك ـ الطيور البحرية حينما ترى هذه الحبيبات طافية فوق سطح الماء، فتظنها بيض سمك طافيًا فتلتقطها، وتتجمع تلك الحبيبات في أمعائها وتقودها إلى الموت البطيء. والأمر المزعج في مشكلة التلوّث المائي بالبلاستيك هو أن هذه المواد لا تتحلل في الماء، ومن ثم تظل، بشكل عام، مَصْدَرَ خَطَرٍ على الأحياء المائية.

٧ ـ الرصاص:

وتتعرض المسطحات المائية للتلوّث بالرصاص نتيجة لغرق السفن التي تحمل منتجات كيميائية يدخل الرصاص في تكوينها، أو عندما

QaradawiBooks.com

تلقي بعض المعامل الكيميائية ـ المطلة على هذه المسطحات ـ نفاياتها وفضلاتها إلى المياه البحرية.

وتقوم التيارات المائية بدور كبير في نقل المياه الملوثة بالرصاص من مكان إلى آخر. ويتركز الرصاص في الأنسجة اللحمية للأسماك والأحياء المائية، ومنها ينتقل إلى الإنسان، مؤديًا بذلك إلى حوادث التسمم بالرصاص التي تسبب الموت البطيء، وهلاك خلايا المخ.

ومن أكثر المسطحات المائية تلوّثًا بالرصاص: المحيط الأطلنطي. وقد ارتفعت نسبة الرصاص في مياه الناحية الشمالية منه خمس مرات في غضون الأعوام الخمسين الأخيرة، ولا يقتصر التلوّث على المياه السطحية، بل يشمل مياه الأعماق. وكذلك البحر الأبيض المتوسط، حتى كتب بعض الباحثين في البيئة فصلًا تحت عنوان (البحر الأبيض يموت).

٨ ـ الزئبق:

ومن الملوّثات المعروفة: الزئبق، وهو في حالته العنصرية غير قابل للذوبان في الماء، ولكنه في حالته المتأينة يمكن أن يدخل في تركيب المركبات السائلة، التي تصرف ضمن مياه الصرف الناتجة عن المصانع الكيميائية إلى البيئة البحرية أو النهرية، أو غير ذلك من المسطحات المائية الأخرى.

ومن أهم المصادر الملوثة للمياه بعنصر الزئبق ما يلي:

أ ـ المخلفات الصناعية (كيماويات، بتروكيماويات، معادن، إلخ).

ب ـ محطات تقطير المياه.

QaradawiBooks.com

ج ـ المخلفات والنفايات.

د ـ مياه الصرف الزراعية.

هـ ـ مصانع إنشاء السفن ومخلفاتها.

و ـ المياه المستخدمة في استخراج المعادن.

ز ـ مخلفات مياه المجاري.

ولقد قدرت كمية الزئبق الناتجة عن المخلفات الصناعية بـ ١٢، ٥٠٠ طن زئبق / سنويًا، وتعد الزيوت والمبيدات المستخدمة لمكافحة الفطريات (Fungicides) وأنواع أخرى من الفطريات الغروية (Silmicides) من أخطر المصادر الملوثة للبيئة البحرية بعنصر الزئبق.

ويتضح خطر الزئبق في أنه ينتقل خلال سلسلة الغذاء من النباتات أو الأسماك إلى الثدييات والبشر.

والزئبق يهاجم خلايا المخ والجسم ويقتلها، ولا يوجد علاج حقيقي لحالات التسمم الناتجة عن الزئبق.

٩ ـ الكادميوم:

يستخدم الكادميوم في صناعة الزنك، وأصباغ المواد البلاستيكية، والدهانات. كما يستخدم في طلاء الخزف، وفي عدد من الصناعات الكيميائية والتحويلية.

وحينما يتم تصريف النفايات الصناعية المحتوية على الكادميوم إلى المسطحات المائية، يمكن أن يتجمع هذا العنصر السام في أنسجة الأحياء المائية، ومن ثم ينتقل إلى الإنسان عند تناوله الأغذية المحتوية على هذه الأحياء.

QaradawiBooks.com

وقد زادت نسبة تلوّث المسطحات المائية بالكادميوم في السنوات الأخيرة.

ويتسبب التسمم بالكادميوم في إحداث تغيير في تركيب الدم، وفي تقليل حجم المصابين بهذا التسمم، نظرا لأنه يهاجم العظام ويؤدي إلى قصر طولها.

تلوّث مياه الأمطار:

تتلوّث الأمطار ـ وبخاصة في المناطق الصناعية ـ لأنها تجمع في أثناء سقوطها من السماء كل الملوّثات الموجودة بالهواء، مثل أكاسيد النتروجين وأكاسيد الكبريت وذرات التراب.

وتذوب الملوّثات الغازية التي تنفثها المصانع الحديثة في مياه الأمطار أثناء سقوطها، مما يؤدي إلى تلوّث المسطحات المائية والتربة التي تتساقط عليها هذه المياه.

تلوّث المياه الجوفية:

تتلوّث المياه الجوفية بجميع المواد الكيميائية، التي تتسرب إلى أماكن وجود مكامن هذه المياه. كما تتلوّث أيضًا بفعل تسرب مياه المجاري، أو تسلل مياه الأمطار الحمضية إلى الطبقات الجيولوجية التحت سطحية للقشرة الأرضية.

ويمكن أن تتلوّث المياه الجوفية ببعض المعادن والأملاح التي تكون في صخور الطبقات الحاملة لهذه المياه[1].

---

(١) اعتمدنا في هذا الموضوع على كتاب: البيئة مشاكلها وقضاياها محمد عبد القادر الفقي صـ ٥٢ ـ ٦٩.

QaradawiBooks.com

امتداد هذا التلوّث:

على أن تلـوّث الماء لا يقتصـر عليه وحده، بل ترى هــذا التلوّث الخطيـر أثّر في كثير من عناصـر البيئة. فقد أثّر في التربة التي تسـقى بالماء، وبالتالي أثر في الأشجار والزروع التي تشرب الماء، وتتغذى من التربة، وأثّر بطبيعة الحال في الغذاء، الذي يعيش به الإنسان والحيوان، فهي دورة متصلة، وحلقة مفرغة لا يُدرى أين طرفاها.

كيف نحمي الماء من التلوّث؟

هناك عدة وسـائل وأسـاليب يمكن اسـتعمالها في مكافحة تلوّث المياه، مثل:

١ ـ معالجة مياه المجاري قبل تصريفها إلى المسطحات المائية.

٢ ـ اسـتعمال الوسـائل الميكانيكيـة لتجميع النفـط الطافي فوق المسطحات المائية.

٣ ـ تطهير مياه الشرب، باستعمال الأوزون أو الكلور أو الأشعة فوق البنفسجية.

٤ ـ التخلص مـن الطحالب والنباتات المائيـة الملوثة لمياه الأنهار بالوسائل الميكانيكية.

٥ ـ معالجة مخلفات المصانع قبل تسريبها إلى المسطحات المائية.

غير أن الوسـيلة المثلى لحماية الماء من التلـوّث هي تجنب إلقاء الملوّثات فيه.

QaradawiBooks.com

والإسلام بلا ريب يبارك هذه الوسائل، ويرحب بكل وسيلة جديدة يبتكرها البشر لحماية الماء من التلوّث، أو لعلاج ما وقع منه، فإن ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب.

وهو ـ من غير شك ـ يحرم تعمد إلقاء الملوّثات في الماء، لما يترتب عليها من ضرر لملقيها ذاته، ولغيره من النَّاس، وقد حرم الإسلام الضرر والضرار.

ومن ناحية أخرى نرى أن إلقاء هذه الملوّثات لون من الإفساد في الأرض، الذي نهى عنه القرآن في آيات كثيرة. وقد قال تعالى في قصة موسى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

فقد أمرهم الله تعالى أن ينتفعوا بهذا الماء المتفجر من العيون، فيشربوا منه، ويأكلوا مما أنبت الله من زرع وثمر، ولا يعثوا في الأرض مفسدين.

ولقد ذكرنا من قبل في حديثنا عن (النظافة والتطهير)، ما ورد من نهي عن البول في الماء الراكد، أو الماء الجاري، وعن التبرز في الماء وفي الظل وفي الطريق، وعن كل ما يؤذي الناس ويلوث بيئتهم، فليرجع إليه.

تلوّث الهواء

الهواء هو هذا المخلوط الغازي الذي يملأ جو الأرض، ويحيط بها من كل جانب، بما في ذلك بخار الماء.

QaradawiBooks.com

وقد كان فلاسـفة اليونان قديمًا ـ وعنهم أخذ الفلاسفة المسلمون ـ يعتقدون أن الهواء هـو واحد من (العناصر الأربعـة)، التي يقوم عليها الكون كله. وهي التراب والماء والهواء والنـار، وكان هذا من الحقائق العلمية الثابتة عندهم بمقاييس زمانهم، وحسب معارفهم المسلَّمة.

فلما كانت النهضة العلمية الحديثة تبين أن هذه الأشياء التي ظنوها عناصر بسيطة إنما هي مركبات من عناصر شتى.

فالماء مركب من الأكسـجين والهيدروجين، والتـراب مركب من بضعة عشر عنصرًا، والهواء مركب من نحو مائة عنصر، أهمها عنصران رئيسان، هما: النتروجين ويمثل نحو ٧٨، ٠٨٤٪ منه، والأكسجين ويمثل ٢٠، ٩٤٦٪ منه. والواحد في المائة عناصر أخرى تكوِّن نسـبًا ضئيلة في تكوين كتلة الهواء.

ومن المعروف أن غاز النتروجين غاز خامل، بخلاف الأوكسـجين فهو غاز نشـيط كيمائيًّا، وهو غاز فـي غاية الأهمية، لحاجة الإنسـان والكائنات الحية إليه، التي يدخل في تكوين خلاياها الحية، وبنسبة تبلغ ربع مجموع الذرات الداخلة في تركيبها.

ومن التقدير الإلهـي لهذا الكون: أن جعـل النتروجين ـ وهو الغاز الخامل ـ نحو ٧٨٪ من الهواء، إذ لو كانت نسبته أقل، ثم سقطت شرارة كهربائية مـن الفضاء الخارجـي نحو الأرض (وهو ما يحـدث أحيانًا) لاحترق كل شيء على سطح الأرض[١].

ويقدر عمق الهواء بما لا يقل عن (٦٠) كيلو متر، ويحتاج الفرد منه في اليوم إلى ١٥ كيلوجرام في اليوم، لاحتوائه على غازات هامة، أهمها

(١) انظر: البيئة مشاكلها وقضاياها صـ ٣٦.

QaradawiBooks.com

الأوكسجين اللازم لعملية التنفس، والذي بدونه لا تستمر الحياة سوى دقائق معدودة. على حين يمكن للإنسان أن يعيش أيامًا طويلة بلا غذاء أو ماء، لقلة حاجته إليهما بالنسبة للهواء، إذ يحتاج إلى ١، ٥ كيلو جرام من الطعام في اليوم، وإلى ٣، ٥ كيلو جرام من الماء[1].

والناظر في القرآن لا يجد كلمة (الهواء) مذكورة فيه، إلَّا ما ورد منكرًا في قوله تعالى في شأن الظالمين يوم القيامة: ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ [إبراهيم: ٤٣]. ومعنى كلمة هواء هنا: أي خلاء. أي خالية من العقل والفكر، لفرط الحيرة والدهشة.

ولكن الذي ذكر في القرآن بديلًا عن الهواء: كلمة (الريح) مفردة ومجموعة (الرياح) وقد ذكرت (٢٧) سبعًا وعشرين مرة. والمقصود بها: الهواء المتحرك في الطبقات المحيطة بالأرض.

وهذه الريح هي التي تسوق السحاب أو تحمله، حتى ينزل مطرًا يحيي الله به الأرض بعد موتها، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

ومن فوائد الرياح أنها تساعد على حركة السفن الشراعية، لتجري في البحر بأمر الله، ليبتغي الناس من فضله ولعلهم يشكرون. وللرياح دور في إحداث التيارات المائية التي تؤدي إلى توزيع الكائنات الحية في الوسط المائي.

(١) انظر: البيئة والتلوّث لخالد محمود عبد اللطيف صـ ٢٩، نشر دار الصحوة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

كما أن لهـا دورا في انتقال وتوزيع وهجرة أنـواع كثيرة من الطيور والحشـرات. وفي الحياة النباتية تقوم الرياح بدور مهم في نقل اللقاح، مما يؤثر في عملية الإخصاب، ونشر النباتات وتوزيعها(١).

وفي القرآن إشـارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢].

ولكن الريح قد تضر وتؤذي إذا كانت عاصفـة، وقد تكون أداة من أدوات العقاب الإلهي للنـاس إذا ظلموا، أو على الأقل مذكِّرًا لهم، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ...﴾ [يونس: ٢٢].

وقال تعالى في شأن المشركين: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].

وقد أهلك الله (عادًا) بالريح حين كفروا واستكبروا في الأرض بغير الحق، وقالوا: من أشد منا قوة؟ ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤١، ٤٢].

وقد تشـتد الريح وتهيج في بعض الأحيان، وقد تحمـل الغبار أو السخونة، فيتأذى منها بعض الناس، ويسبونها، ناسين أنها مسخرة بأمر الله. وماضية وفق سنته التي لا تتبدل.

(١) انظر: قضايا البيئة من منظور إسلامي لعبد المجيد النجار صـ ٢٧ ـ ٢٨، البحث الفائز بجائزة وقفية الشيخ على بن عبد الله آل ثاني لعام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، نقلا عن علم البيئة لعلياء حاتوغ ومحمد حمدان، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

ومن هنا جاء نهي رسولنا ﷺ عن سبّ الريح في أكثر من حديث، منها: «**لا تسبّوا الريح، فإنها من روح الله تعالى، تأتي بالرحمة والعذاب، ولكن سلوا الله من خيرها، وتعوذوا بالله من شرها**»[١]. ومعنى أنها من روح الله: أنها من رحمته التي يريح بها عباده.

وفي حديث آخر: «**لا تسبّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**»[٢].

ومن الشر الذي يمكن أن تأتي به الريح في عصرنا، ويتعوَّذ بالله منه: نقل الملوّثات من قطر إلى آخر، بل من قارة إلى أخرى، وبخاصة الموجات الإشعاعية، كما حدث في المفاعل النووي السوفيتي (تشيرنوبيل)، وانتشار خطره إلى مساحة واسعة من العالم بواسطة الرياح.

إن نعمة الهواء نعمة عظيمة، وعلى الإنسان أن يتعامل معها بما يليق بها من الشكر لمانحها تبارك وتعالى، بحيث لا يلوث هذا الهواء ولا يفسده، فيضر نفسه، ويضر غيره من خلق الله.

ولكن الذي يؤسف له أن الإنسان غلبته الأنانية وحب العاجلة، وشهوة الاستمتاع، فأساء إلى نعمة الهواء، كما أساء إلى غيرها، وحدث التلوّث الذي أصبح بلية العصر.

---

(١) رواه أحمد (٧٤١٣)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٥٠٩٧)، وابن ماجه (٣٧٢٧)، كلاهما في الأدب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢١١٣٨)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. والترمذي في الفتن (٢٢٥٢)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في التفسير (٢٧٢/٢)، وصححه على شرط الشيخين، وقال الذهبي: على شرط البخاري، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٥)، عن أبي بن كعب.

QaradawiBooks.com

كيف يتلوّث الهواء؟

يعتبر تلوّث الهواء من أعظم أخطار البيئة في الوقت الحاضر، ولذا عظم الاهتمام به، ويطلق تعبير التلوّث عند تغير صفات الهواء الفيزيائية أو الكيمياوية. أي عندما يحمل الهواء أي مادة أو عنصر غريب لا يوجد في مكونات الهواء النظيف الجاف. أو يكون بنسبة زائدة عن الحد الطبيعي، ولكن قل أن يخلو الهواء الذي نستنشقه من تلوّث عارض بغازات أو مواد سائلة أو صلبة، وقد يكون بينها كائنات حية.

ومصادر هذا التلوّث إما أن تكون طبيعية، وإما أن تكون مصادر صناعية ناجمة عن عمل الإنسان ونشاطه الصناعي.

(١) تلوّث الهواء من مصادر طبيعية:

أي ما يلوث الهواء مما لا دخل لعمل الإنسان فيه، ويتضمن:

(أ) بخار الماء في شكل ذرات دقيقة من الماء تدعى الضباب (Fog).

(ب) الغبار (Dust) وفيه ذرات معدنية وترابية ومواد من منشأ حيواني ونباتي، بما في ذلك غبار الطلع.

(ج) البكتيريا والفطريات وجراثيمها.

(د) الأملاح «الناجمة عن رذاذ البحار والمحيطات».

(هـ) مركبات مروحة ناجمة عن التنفسات الحيوانية والنباتية قد تؤدي إلى تكوين روائح كريهة مزعجة.

(و) نواتج الاحتراق ذات المنشأ الطبيعي «حرائق الغابات، وثوران البراكين، إلخ».

(ز) مواد ناشطة الإشعاع (Radio Active).

QaradawiBooks.com

ومن المحتمل كذلك أن تزداد مستويات الإشعاعات الفعالة الطبيعية، كلما ازداد سطح الأرض اضطرابًا بمخلفات الإنسان وأعماله، التي تزيد على حدودها ومألوفها الطبيعي، ومن المحتمل ألا يكون لمثل هذه المصادر الطبيعية لتلوّث الهواء، سوى أثر زهيد ودور محدود في أمراض البشر، عدا العوامل الميكروبية المرضية، التي يمكن أن تحدث زيادة ملحوظة في نسبة الأمراض إثر بعض العواصف، وهي التي تحدث الأمراض السارية بالهواء، إذ إن الميكروبات أو المادة المعدية إما أن توجد في الهواء في شكل ذرات دقيقة صادرة مباشرة عن منبع في شكل قطيرات، وإما أن توجد في الغبار، وتستنشق عند إثارته، حاملة معها العامل الإنتاني، وهذه القطيرات أو الأبخرة الحاملة للميكروب تصل إلى الطرق التنفسية العلوية للسليم لتحدث المرض. هذا المرض الذي يختلف عن الذي ينتقل بالماء والغذاء بأن حلقة السريان بين مصدر الجمع وبين متلقيه لا يمكن فصمها بسهولة، مما يجعل مكافحة الأمراض الإنتانية السارية بالهواء صعبة نوعًا ما، وتعتمد بشكل رئيسي على زيادة مقاومة الشخص السليم بإجراء التمنيع ضد هذه الأمراض.

(٢) مصادر من صنع الإنسان:

أهم مصدر مألوف لتلوّث الهواء وفساده من صنع الإنسان هو نواتج الاحتراق، وقد ينجم هذا التلوّث عن البيوت أو المواصلات كالسيارات والقطارات والدراجات أو عن المصانع، وهي هامة جدا في الأقطار العربية، وذلك لعدم التقيد بتطبيق الشروط الخاصة بها ولدخول صناعات جديدة للأقطار لا قبل لها بها، وينتظر ـ كما يتنبأ البعض ـ أن تزداد باضطراد كثافة هذه المواد الملوثة في المستقبل في المناطق

QaradawiBooks.com

الصناعية والمجتمعات المدنية، حتى يطرأ تبدل في السيطرة على نواتج الاحتراق أو تغيير وسائلها.

ولقد ثبت وجود أكثر من مائة مادة من نواتج الاحتراق يمكن ذكرها أهمها:

١ ـ مركبات الكبريت: كثاني أكسيد الكبريت وكبريتيد الأيدروجين.

٢ ـ مركبات الفلور.

٣ ـ أكاسيد الأزوت.

٤ ـ أول أكسيد الكربون.

٥ ـ الألدهيدات وبعض الفحوم الهيدروجينية (الهيدروكربونات).

التلوّث بالأدخنة الضارة:

ومن ملوثات الهواء: انتشار الأدخنة التي تظهر من المصانع وغيرها. وأشدها خطرًا: الأدخنة الملوثة بالإشعاع، مثل إشعاع اليورانيوم، ولا سيما ما يسمونه (اليورانيوم المنضَّب) والذي يستعمل في الحروب، وقد استعمله الأمريكان في حرب الخليج، وخلفوا آثارًا شديدة الخطر، عميقة الأثر، شديدة الفتك بالبشر.

وفي القرآن الكريم سورة تسمى (سورة الدخان)، وفيها يحذّر القرآن من دخان ينتظر الناس، يحمل العذاب الأليم، ويرد النَّاس إلى فطرتهم، فيعودون إلى ربهم داعين مستغيثين، شأن الإنسان إذا مسه الضر دعا ربه منيبا إليه، حتى إذا كشف عنه الضر نسي ما كان يدعو إليه من قبل.

تقول سورة الدخان: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ

QaradawiBooks.com

﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٠ ـ ١٦].

وقد فسر سيدنا عبد الله بن مسعود أن هذا الدخان قد وقع، وأنه لون من ضبابية الرؤية أصابت الناس من الجهد والجوع والقحط، الذي أصاب أهل مكة من المشركين، بسبب دعوة الرسول عليهم أن يبتليهم بسنين كسني يوسف(١). وحديث ابن مسعود مخرج في الصحيحين.

ولا مانع أن يراد هذا من الآية، ولكن ليس هذا هو المعنى الوحيد لها، وإلَّا لكانت الآية قد فقدت مدلولها بما وقع لقريش، ولم تعد تعني أحدًا اليوم. والواقع أن البشرية تعاني اليوم ـ وقد تعاني غدًا أكثر وأكثر ـ من هذا الدخان المبين الذي يغشى الناس، ويقولون: هذا عذاب أليم. ويقول كثير منهم: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون.

وقد روى مسلم في صحيحه أن هناك عشر علامات تظهر قبل قيام الساعة منها: الدخان(٢).

ولعل ما نراه ونحسه ونلمسه في حياتنا المعاصرة من الأدخنة المختلفة، هو نوع من هذا (الدخان المبين) كما وصفه القرآن الكريم.

أثر تلوّث الهواء:

يختلف تأثير الهواء باختلاف حجم الذرات العالقة فيه، فالذرات الكبيرة والتي ما فوق «٣٠٠٠» ميكرون الدقيقة المنتشرة في الجو المحيط بالناس ـ والتي تتضمن الدخان ـ تضعف من الرؤية، وتؤدي إلى اتساخ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٧٤)، ومسلم في صفة القيام (٢٧٩٨).

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٩٠١)، وأحمد (١٦١٤١)، عن حذيفة بن أسيد الغفاري.

QaradawiBooks.com

الثياب السريع، وتراكم السناج على الأبنية والسطوح المكشوفة، بالإضافة إلى ما تسببه من روح الكآبة النفسية في الجماهير، وهي التي تلفت انتباه الجماهير. وتكون هذه الذرات التي هي أصغر حجمًا من ميكرون واحد، فإنها تبقى معلقة في الهواء، ولا تسقط من ذاتها. بل تحتاج إزالتها إلى الترشيح أو الترسيب، وهي التي تصل للأجهزة التنفسية العميقة، وتحدث الأمراض المزمنة فيها، وتتناسب كثافة الذرات اضطرادا مع عدد مصادر تلوّث المجتمع وشدتها، ويمكن إجمال أثر تلوّث الهواء على الصحة العامة فيما يلي:

١ ـ إنقاص كميات الأشعة ما فوق البنفسجية الواصلة لمستوى الأرض.

٢ ـ إنقاص كميات الإضاءة الطبيعية.

٣ ـ زيادة الضباب المحتوي على كميات كبيرة من مواد صناعية كبريتية وغيرها، تكون خطيرة على الصحة.

٤ ـ تأثير مثبط على النباتات الطبيعية ومخرب للمصانع والأبنية.

٥ ـ ازدياد تكلفة المحروقات «لعدم حدوث الاحتراق الكامل».

٦ ـ ازدياد نسبة المواد المسرطنة في الهواء.

٧ ـ ازدياد نسبة الإصابة والوفيات بالأمراض التنفسية[1].

تلوّث تربة الأرض:

الأرض: هي هذا الكوكب الذي نعيش على ظهره، بما فيه من يابسة وبحار ومحيطات، تكوّن نحو ٧٠٪ منها، وما عليها من جبال راسيات،

---

(١) انظر: البيئة والتلوّث من منظور إسلامي لخالد محمود عبد اللطيف صـ ٢٩ ـ ٣١ بتصرف.

QaradawiBooks.com

وما في جوفها من حمم وطبقات، وما يتصل بها من الغلاف الغازي، وما تشتمل عليه تربتها من صحاري قاحلة، ومن مساحات خضراء. وما تحويه من كائنات حية، عاقلة أو غير عاقلة.

وقد ذكرت كلمة (الأرض) في القرآن (٤٥٠) أربعمائة وخمسين مرة، معرفة بالألف واللام، يراد بها في معظمها (ما يقابل السماء). وفي بعض المواضع يراد بها جزء من الأرض، كما جاء في قصة يوسف: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يوسف: ٥٥].

وقد يراد بها أرض الجنة ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

وفي آية واحدة ذكرت (الأرض) مصدرا من (أرض) يأرض. كما في قصة سليمان ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ: ١٤].

وكثيرًا ما تذكر الأرض في القرآن في معرض الامتنان والإنعام من الله تعالى، كقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا﴾ [النبأ: ٦]، ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۝ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [النازعات: ٣٠ ـ ٣٣]، ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا﴾ [الملك: ١٥].

ولقد هيّأ الله ﷻ تربة الأرض لمنفعة الإنسان، فهي صالحة للزرع والإنبات، وهي صالحة للسير والحركة عليها، وهي صالحة للإقامة والاستقرار في ربوعها. وهذا معنى الامتنان بجعلها فراشًا ومهادًا وبساطًا وذلولًا.

QaradawiBooks.com

وبهذا نرى أن الأرض ـ كما خلقهــا الله ـ صالحة طيبة، وإنما يدخل عليها الفساد والخبث والتلوّث على يد الإنسان الذي استخلفه الله فيها، فلم يرع ـ في أحيان كثيرة ـ أمانة الاستخلاف، وعاث في الأرض فسادًا، فلوثها بعد طهر، وأفســدها بعد صلاح. وخصوصًا في عصرنا هذا، وفي العقود الأخيرة منه، فقد تضاعف التلوّث والفساد.

فمن أي شيء كان التلوّث في تربة الأرض؟

التلوّث بالفضلات الصلبة:

لم تكن التربة ملوثــة بحكم الخلقة، فقد خلقهــا الله طيبة لا تلوّث فيها، وإنما لوثها الإنسان، كما علمنا.

ولم يلوّثها الإنســان بإلقاء مواد عضوية الأصل فــي البيئة فقط، بل نتيجة للتطور الصناعي الهائل أخذ الإنسان يلقي بمواد لم تكن موجودة أصلًا فــي الطبيعة، بل تقف الطبيعــة عاجزة عن معالجة هــذه المواد، فتتراكم لتشكل أكوامًا كثيرة جدًّا تشغل مســاحات واسعة من الأراضي اللازمة لإنتاج الغذاء.

تلوّث التربة بالكيماويات:

لقد شاع استعمال الأسمدة والمبيدات نتيجة للتكثيف الزراعي، ومع مزيد الأسف اعتبرت التربة في هذه الحالة كأنها مستودع للأسمدة ولم ينظر إليهــا كجهاز حــي لــه ردود فعل، فكثــرت الأســمدة الآزوتية والفوسفاتية والبوتاســية وأضيفت بكميات هائلة، مما نجم عنه تدهور الصفات الكيميائية والفيزيائية لهذه التربــة، وخروجها من دائرة الإنتاج الزراعي، إضافة لمــا تحدثه كثرة هذه المخصبات من آثار ســلبية على

QaradawiBooks.com

التربة، تؤدي أيضًا إلى تلوّث الأنهـار والبحيرات، نتيجة إلقاء الكميات الزائدة منها في هذه المسطحات، وجعل مياه هذه الأنظمة غير صالحة للشرب، وذلك لكون هذه المادة مسببا لبعض أنواع السرطانات.

كما تزايد استعمال المبيدات في جميع المجالات، وخاصة الزراعية منها وقد أدى رش المبيدات بكثرة على النباتات، إلى توضع وتركز هذه المبيدات في التربة وتأثيرها على الأحياء الدقيقة فيها.

إن الأثر السيء للمبيدات يكمن في أثرها التفاضلي على الأحياء فتخل بذلك من التوازن البيولوجي الطبيعي في التربة.

تلوّث التربة بالمخلفات السائلة:

إن ري التربة بالماء الملوث بالمخلفات الإنسانية دون معالجة هذه المخلفات، يؤدي إلى انتشار الجراثيم في التربة، وانتقال هذه الأحياء إلى الإنسان عند استهلاكه للخضروات، وبخاصة الورقية منها، كما يؤدي الري بمياه المجاري أيضًا إلى تملح التربة على المدى البعيد، وتهدم بنيتها الفيزيائية، وذلك بفعل انسداد مسام التربة بالمواد المعلقة الدقيقة.

إن خير مثال على ذلك هو ري أراضي الغوطتين في سورية بمياه بردى الملوثة بمختلف أنواع الملوّثات، والذي يقوم حاليًا بدور الكولون.

إن الخطر الأكبر في ري التربة بمياه المنظفات ومياه المجاري ومخلفات المصانع وما تلقيه ورش إصلاح السيارات من زيوت، يكمن في إصابة التربة بالعقم، وقتل مختلف أشكال الحياة فيها، إضافة إلى تلوّث الماء الجوفي[1].

(١) انظر: أهم المشكلات البيئية في العالم المعاصر، الطبيعة بين فكي الوحش: التصحر، التلوّث لمحمود أحمد حميد صـ ٢٦، ٢٧، نشر دار المعرفة، دمشق، ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

الوسائل المكافحة لتلوّث التربة:

(١) الوقاية خير من ألف علاج. رحم الله من قالها: لم نخسر الملايين على أمر إذا ابتعدنا عنه لم نخسر إلَّا القليل؟ فلذلك أول وسيلة للمكافحة هي الوقاية.

(٢) نشر الوعي بين الناس مما يخفف من التكلفة، ويساعد في عدم تلويث التربة، لأن المسبب الأول هو الإنسان، وبالتالي ينبغي ردعه عن رمي فضلاته في قارعة الطريق.

(٣) التخطيط وزيادة الاكتشاف، مما يسمح بتحويل المواد غير المفيدة إلى مواد مفيدة وهذا ما حصل فعلا في مشكلة الأوراق حيث أعيد استخدامها.

(٤) إصدار القوانين الصارمة في شأن المخالفين.

(٥) استصلاح الأراضي المالحة عن طريق زراعات النباتات البقولية، أو غسلها وبالتالي زراعتها.

(٦) إجراء الحراثة مما يساعد في تهوية التربة وترطيبها، كما كان يفعل الفلاحون قديمًا.

(٧) إزالة الأعشاب الضارة، وإجراء المكافحة الحيوية، وقتل الأحياء الضارة، وزيادة الأحياء النافعة.

(٨) المحافظة على التوازنات الطبيعية في البيئة؛ لأن جميع النظم تؤثر بعضها على بعض. فأي خلل في نظام يؤدي إلى خلل الأنظمة ككل.

QaradawiBooks.com

(٩) عدم قطع الأشـجار حتى لا يسـبب أي ضرر للتربة في زيادة مساحة الأراضي البور.

(١٠) الاعتناء بنظافة المياه الجوفية والسطحية.

وما أصدق وأبلغ هذه الكلمات:

الحياة قصيرة، وكلنا ضيوف عليها، فيا حبذا أن نعيشـها خالين من الأمراض، أصحاء سليمين. ولا يتم ذلك إلَّا إذا عرفنا ما هو لنا، وما هو علينـا: أن نعمل لكي نعيش، ويعيش غيرنـا، وأن نضع نصب أعيننا أن نفكر قبل أن نعمل، وأن يسـبق فكرنا أيدينـا، وأن نبني ليعيش أحفادنا لا أن نعيش فقط نحن. يجب عندما نزرع شـجرة أن نفكر كم سـيدعو أحفادنا لنا، وعندما نقطع شجرة كم سيكون حقدهم علينا[1].

وقد قال الله تعالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

التلوّث بالمبيدات الحشرية:

وهناك أنواع أخرى من التلوّث، لها آثار خطيرة على الحياة والأحياء وعلى الإنسان، منها التلوّث بالمبيدات الحشرية، التي انتشر استخدامها في الآونة الأخيرة، وجنت على كثير من الحشـرات والطيور التي كانت تعتبر صديقة الإنسان، مما تأكل من ديدان الأرض وهوامها.

وأكلت الحشـرات من المبيد السـام، وأكل هذه الحشـرات بعض الطيور الصغيرة، وأكل هذه الطيور الصغيرة بعض الطيور الكبيرة، وهكذا تستمر الدورة التي يبدأها الإنسان، ولا يعرف نهايتها.

(١) انظر: أهم المشكلات البيئية في العالم المعاصر لمحمود أحمد حميد صـ ١٨١، ١٨٢.

QaradawiBooks.com

التلوّث بالنفايات:

وهو نوع خطير من التلوّث، وخصوصًا: النفايات السامّة، والنفايات الذرية، التي تريد الدول المتقدمة أن تتخلــص منها، فلا تجد إلَّا البلاد الناميــة لتجعلها مدفنًا لهــذه النفايات، وهذا محظــور دوليًا، ومحظور أخلاقيًّا، ولكنه جائز سياســيًّا! في عــرف الذين يقولون: إن السياســة لا خلق لها ولا دين، وإن الغاية تبرر الوسيلة. والحق أن غايتهم خبيثة، ووسيلتهم أخبث.

وكثيرًا ما يرشون بعض الزعماء والحكام بحفنة من الملايين، حتى يقبل هذه النفايات المدمرة لوطنه، في غفلة من شــعبه، الذي لا يدري ما يحاك له، وما يدبر لهلاك حرثه ونسله.

التلوّث النفطي:

ومن التلوّث المعروف: التلوّث النفطي، وقد جربته بلاد الخليج، في حربها: الأولى بين العراق وإيران، والثانيــة بين العراق والكويت، التي جَرَّت إلى حرب مع أمريكا وثلاثين دولة معها.

وقد أدت الحرب بظروفها وويلاتها ـ عمدًا حينًا، وغير عمد أحيانًا ـ إلى تدفق النفط على مياه الخليج، فأمات ما أمــات من أحيائها، وهدد ما بقي منها، وأفسدت آبار النفط المحرقة البيئة مدة من الزمن، ولا يزال لها بقية إلى اليوم[١].

---

(١) انظر في آثار التلوّث النفطي، والتلوّث بالنفايات السامة، والتلوّث بالمبيدات الحشرية كتاب م. محمد عبد القادر الفقي: البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوّث صـ ٨٨ ـ ١٤٤.

QaradawiBooks.com

التلوّث بالقمامة المنزلية:

وهنا مشكلة أخرى في التلوّث لا يستهان بها، وهي تراكم القمامة المنزلية وما أصبحت تنذر به، ذلك لأن تراكمها وإهمال معالجتها يؤدي بالضرورة إلى انتشار الأوبئة الفتاكة، هذا فضلا عن كون انتشارها وتكدسها يعتبر مظهرًا غير حضاري بالمرة، ولا يقتصر التلوّث الناتج عنها على البيئة السطحية، بل إنه ليمتد إلى باطن الأرض، وإذا كانت القمامة المنزلية وتكدسها قد أصبحت مشكلة عالمية بكل المقاييس، فإن التخلص منها بات أمرا باهظ التكلفة، ففي مدينة «نيويورك» الأمريكية بلغت تكلفة التخلص من طن القمامة ١٥٠ دولارًا (نحو٥٠٠ جنيه مصري) حتى أصبحت ظاهرة إلقاء هذه المخلفات في عرض البحر خفية وخلسة، حتى في تلك الدول التي ترفع شعارات التقدم، والتي أصبحت تقف الآن في طليعة النظام العالمي الجديد، بعد أن هوت قلاع الشيوعية وفلولها، ففي أمريكا لما ضاقت مدافن نفايات القمامة المنزلية عن استيعاب المزيد، تم شحن زورق أمريكي بنحو ٣١٠٠ طن من القمامة المنزلية، وبدأت رحلته في ٢٢ من مارس ١٩٨٧م، من إحدى موانى «نيويورك» ليلقي هذه الحمولة في عرض البحر خلسة وخفية عن أعين الرقباء من البشر!! إنه تصرف صبياني شائن من دولة تريد قيادة العالم في ظل النظام العالمي الجديد، ولكن تقوده إلى أين؟ إن قُدِّرَ لها أن تقوده، فستقوده إلى حيث ألقى ذلك الزورق رَحْلَه!! ستقوده إلى مدافن تلك النفايات، وكيف لا وقد ضرب الإفلاس العقائدي في تلك البقاع أطنابه، فلا منهج، ولا أسوة، ولا قدوة حسنة، ويومها تعرف الدنيا أنَّ الله هو الحق المبين.

QaradawiBooks.com

التلوّث البيئي في المجالات الصناعية:

وهناك تلوّثات أخرى في المجالات الصناعية التي أشار إليها بعض الدارسين، وهي آثار متعدية من مكان إلى آخر، بحكم تقارب العالم؛ إذ لا يقتصر الأثر الضار للملوثات على المنطقة التي تستخدم فيها أو تعامل بها، بل إن ذلك ليمتد إلى المناطق الأخرى المجاورة لها، إما عن طريق الهواء الجوي، أو عن طريق مياه الري والصرف أو هما معًا، مما يكون له أبلغ الأثر في موت الأسماك والطيور، فضلًا عن تلوّث أعلاف الحيوان وطعام الإنسان، ولا تعجب ـ أخي القارئ ـ إذا ما علمت أن أثر هذه المواد يمتد ليصل إلى البحار والمحيطات، ولقد ثبت بما لا يدع مجالا لشاك أن تعرض الإنسان لبعض هذه الملوّثات يسبب إصابته بأمراض خطيرة، بل ومستعصية على الشفاء، كالأمراض السرطانية، ولقد ذكر «فيليب سان مارك» أن لبن النساء الأمريكيات لا يصلح لرضاع الأطفال، بسبب احتوائه على مادة (د. د. ت) بنسبة أعلى من النسبة التي تسمح بها هيئة الصحة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية.

كما أن بعض العقاقير التي تستخدم في مقاومة الطفيليات تصل إلى أجسامنا عن طريق تلوّث الغذاء بها، وهي تتركز في الدهون والدم، ولها آثار عميقة ليست معروفة على وجه الدقة والتحديد، كما أن بعض الأمراض السرطانية وأمراض الدم ترجع ـ جزئيًا ـ إلى امتصاص العقاقير التي تعتبر نسبة السموم فيها باعثة على القلق.

ونحن نقول: إذا كان هذا يحدث في المجتمع الأمريكي الذي تخضع فيه هذه المواد للرقابة الدقيقة، فضلًا عن استخدامها بمنتهى الحيطة

QaradawiBooks.com

والحذر، فما بالنا بالمجتمعات النامية التي ما صُنِعت هذه المنتجات خصيصا إلَّا لتسويقها وتصريفها في ديار هؤلاء المُسْتَضْعَفِين!![1].

التلوّث الإشعاعي

يعتبر التلوّث بالمواد المشعة واحدًا من أخطر صور التلوّث ذات التأثير العالي، والكل منا سمع عن حادثة تشرنوبل، وما نجم عنها من تلوّث إشعاعي، شمل القسم الأعظم من أوربا، حيث ينجم التلوّث الإشعاعي نتيجة لتزايد استعمال الإنسان للمواد الإشعاعية.

إن التعرض الطويل لأشعة الشمس صيفًا يؤدي إلى ما يسمى بضربة الشمس التي كثيرًا ما تكون قاتلة، ويتأتى خطر أشعة الشمس من وجود الأشعة فوق البنفسجية فيها، والتي تؤدي إذا استعملت بشكل طبي إلى تنشيط وظائف الجلد والدم والغدد ذات الإفراز الداخلي، حيث يتشكل تحت تأثيرها فيتامين (D) مما يحسن من نمو العظام وغيرها.

إن الأشعة الضوئية هي أشعة كهربائية مغناطيسية، وكذلك الأشعة فوق البنفسجية هي أيضًا أشعة كهربائية مغناطيسية، ولكن طول موجتها أقصر من الأشعة المرئية، وهكذا يزداد خطر الأشعة كلما قصر طول موجتها فأشعة (Roentgen) هي أيضًا أشعة كهربائية مغناطيسية وذات موجة قصيرة جدًا، حيث أدى استعمالها في الحرب العالمية الأولى إلى موت طبيب راديولوجي، إضافة للعاهات المختلفة التي أصابت القسم الآخر كالعقم والصلع والحمى.

---

(١) انظر: البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني للدكتور عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي صـ ٦٠ ـ ٦٢.

QaradawiBooks.com

وللتلوّث الإشعاعي مصادر طبيعية ومصادر صناعية تحدَّث عنها أهل الاختصاص بتفصيل، ينبغي مراجعته في مظانه.

التلوّث الإشعاعي تلوّث خفي:

يستطيع الإنسان بحواسه الخمس أن يدرك التلوّث البيئي من حوله، سواء أكان تلوّثًا كيميائيًّا أم ضوضائيًّا، أما التلوّث بالإشعاع فهو مما لا تدركه هذه الحواس. ومع ذلك فالأضرار المرتبطة به هي من أعلى أضرار التلوّث، إن لم تكن أعتاها على الإطلاق.

لقد ارتبط التقدم العلمي والتكنولوجي في زماننا الحديث بالتوسع في الاعتماد على مواد مشعة في مجالات سلمية وعسكرية، أما المجالات السلمية فيتعلق معظمها بتوفير الطاقة والبحث العلمي والأغراض الطبية. أما المجالات العسكرية فتتلخص في إنتاج أسلحة الدمار الشامل المعروفة بالأسلحة النووية، والمتتبع للتطور على كوكبنا يستطيع أن يتنبأ بيسر بأن اعتماد الإنسان على المواد المشعة سوف يتنامى مع الزمن، رغم كل المحاذير والأخطار التي تنشأ لا تتعلق فقط بالمجالات العسكرية، إنما تشمل أيضًا المجالات السلمية عل حد سواء.

خطر في الحرب وخطر في السلم:

إلى عهد غير بعيد كان الاستراتيجيون العسكريون في العالم، مقتنعين بأن توازن قوى الردع النووي من دول العالم كفيل بأن يجنب البشرية أخطار الترسانات النووية مرة بعد أخرى، ولكن الأحداث تثبت أن هذه النظرية أقرب إلى الوهم، ومما يدعو للقلق أن أعداد الحكام حتى لدول العالم الثالث، الذين يسيل لعابهم على الأسلحة النووية في

QaradawiBooks.com

تزايد مستمر، يحدثنا التاريخ عن حكام جهلاء مغرورين لا يقدرون عواقب قراراتهم حق قدرها. وهؤلاء قد يجعلون خطر الصراع النووي أكثر احتمالًا مما يتعود المتفائلون. أما في زمن السلم فيكفي أن تقع حادثة مثلًا في أحد المفاعلات النووية التي تستخدم لتوليد الطاقة لكي يتسرب منها الإشعاع النووي مما يهدد الأحياء المحيطة به.

أخطار الإشعاع المتنامي:

يزداد اعتماد الإنسان على المواد المشعة باطراد. ومن المؤكد أن هذا التنامي لن يتوقف في المستقبل المنظور، بل على النقيض من ذلك سوف يتكثف، ويكفي النظر في مجال واحد من مجالات استخدام المواد المشعة، لكي يترسخ الانطباع لدى الرأي بذلك. هذا المجال هو إنتاج الطاقة: تدل الإحصاءات على أن معدل استهلاك الفرد من الطاقة، يزداد في شتى أنحاء العالم يومًا بعد يوم، بينما ينضب المصدر الأكبر من الطاقة الآن وهو النفط.

ويتفق المعنيون بشؤون الطاقة ومصادرها على أن الطاقة النووية هي أنسب البدائل لذلك، فالمفاعلات النووية التي تحول الطاقة الإشعاعية إلى كهرباء، أصبحت منتشرة في شتى بقاع العالم، وتزداد أعدادها باستمرار، والآن نجد الدراسات منصبة على توفير الطاقة من مصادر أخرى كالشمس والهواء. لم تبلغ حدّة الدراسات في تقدمها ما بلغته الدراسات الخاصة بتوفير الطاقة من المواد المشعة.

هناك أمران يثيران معظم مخاوف المعنيين بسلامة البيئة:

١ ـ أنّ استخدام المواد المشعة من أجل توفير الطاقة سوف تنجم عنه نفايات مشعة، يمثل التخلص منها مشكلة معقدة.

QaradawiBooks.com

٢ ـ أنّ المفاعلات النووية هي في الواقع براكين إشعاعية قابلة للثورة في أي وقت، إما من خلال إصابتها بالقذائف أثناء الحرب، أو بسبب القصور والأغلاط، وهي واردة ما دام الذين يصممون هذه المفاعلات ويديرونها بشرا.

ونتائج هذا القصور هنا مدمرة للبيئة، ولا شك أن من القراء من سمعوا عما خلفه الجيش السوفيتي من مساحات شديدة التلوّث بالإشعاع النووي في مناطق من ألمانيا الشرقية بعد انسحابه منها، وما زال هذا التلوّث مشكلة كبيرة أمام المسئولين في ألمانيا بعد توحدها.

أخطار الإشعاع من الحوادث:

تمثل حادثة (تشيرنوبيل) الشهيرة مثلًا فعليًا للأخطار التي قد تنشأ عن حوادث سببها القصور البشري؛ إذ إن التسرب الإشعاعي الذي حدث من المفاعل النووي في (تشيرنوبل) كان نتيجة لأخطاء في تصميم هذا المفاعل. ولم تكن هذه الحادثة هي الأولى من نوعها، فقد وقعت حوادث مشابهة في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الصناعية، ولكن هذه الحادثة من أخطرها على الإطلاق.

وعلى الرغم من انقضاء خمس سنوات على وقوعها، فما زالت آثارها المدمرة مستمرة.

وتعاني روسيا البيضاء من معظم المشاكل؛ إذ يقدر المختصون أن ٧٠٪ من الإشعاع المتسرب قد أصابها وحدها، وأن ٤٠٪ من مساحة تربتها أصبحت ملوثة بالإشعاع. ولعلّ أفدح الأخطاء التي اقترفتها الحكومة التي كانت جديدة عند وقوع الحادثة صمتها المطلق من البداية

QaradawiBooks.com

وتعتيمها الإعلامي. ونلاحظ أن التربة الملوثة ما زالت تزرع حتى اليوم، ومن ثم فالقمح والخضروات واللحوم والألبان أصبحت هي الأخرى محملة بالإشعاع. ومع ما يقاسيه ورثة الاتحاد السوفيتي الآن من مشاكل اقتصادية جمة ليس أمام البشر إلَّا أن يستهلكوا هذه الأطعمة المشعة. وإلَّا هلكوا جوعًا. وتكتمل المأساة بعجز الطب السوفيتي عن التعامل مع الكثير من هذه الأمراض التي قد يمكن التعامل معها في دول غرب أوربا وأمريكا، ويعيش المواطنون اليوم في حالة تقترب من الضياع.

ومن الخطأ الظن أن أخطار (تشيرنوبل) مقتصرة على روسيا البيضاء أو الاتحاد السوفيتي سابقًا، فالواقع أن (تشيرنوبل) أصبحت بالفعل كارثة عالمية وستبقى كذلك لسنوات لا يعلم مداها إلَّا الله فالإشعاع ينتقل مع الرياح، وترسبه الأمطار.

ومعاناة البشر اليوم من هذه الكارثة على شدتها لا تقاس بما سوف تعانيه الأجيال القادمة. فالإشعاع يحور من كيمياء العوالم الوراثية، مما يعني بالضرورة أن تشوهات وأحكامًا وراثية سوف تظهر في الأجيال القادمة. وسوف تتوارثها في عدد من الأجيال المتعاقبة لا يعلمه إلَّا الله(١).

ولا نجاة للبشرية من هذا التلوّث الذي يهددها ويهدد أجيالها القادمة، إلَّا بأن يعرف الإنسان قدر نفسه، وأنه ليس (إلها) في الأرض، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يسأل عما يفعل. إنما هو (مستخلف في الكون، عبد لخالقه). ومن خلال هذه العبودية للخالق ـ التي هي عين التحرر من عبودية كل ما سواه ـ ينبغي أن يتصرف الإنسان في هذه

---

(١) راجع: فصل: التلوّث الإشعاعي، من كتاب أهم المشكلات البيئية في العالم المعاصر لمحمود أحمد حميد.

QaradawiBooks.com

الأرض، التي هي جزء صغير صغير من المجموعة الشمسية، التي هي جزء صغير صغير من مجرتنا، التي هي واحدة من ملايين المجرات التي تملأ فضاء هذا الكون.

إنَّ طوق النجاة للإنسان يتجسد في شيء واحد، هو إيمانه بربه الأعلى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢، ٣].

وبهذا الإيمان يوازن الإنسان بين دنياه وآخرته، وبين شهواته الفردية، وأشواقه الروحية، وبين اللذّات الصغيرة للجيل الحاضر، والمطالب الكبيرة للأجيال التي لم تزل في ضمير الغيب.

التلوّث الضوضائي:

ومن أنواع التلوّث البيئي الذي يشكو منه عصرنا: (التلوّث السمعي) أو (الضوضائي) ويراد به: الضجيج والضوضاء والأصوات العالية، التي تؤذي السمع، وتتعب الأعصاب، وتشوش على العقل، وتقلق الراحة، وتطرد النوم، وتؤثر في حياة الإنسان تأثيرًا سيئًا، وخصوصًا المرضى والأطفال، والذين يشتغلون بالعلم والفكر، ويحتاجون أبدًا إلى الهدوء.

وقد كثرت أسباب الضوضاء في عصرنا، بسبب انتشار المصانع، واستخدام الآلات، والسيارات والقطارات والطائرات والدراجات البخارية والكهربائية، واستخدام الآلات الميكانيكية ذات الضجيج العالي في البناء، وفي رصف الطرق، ونحوها، واستعمال مكبرات الصوت، وأجهزة المذياع والتلفاز، وأجهزة التكييف، وغيرها مما جعل المدن الحديثة حافلة بعوامل الإزعاج والإقلاق، وهو ما جعل الناس يفرّون إلى الضواحي، والقرى المجاورة، هربًا من جحيم الضوضاء.

QaradawiBooks.com

الإسلام والتلوّث السمعي:

والإسلام يوجه الإنسان إلى الاعتدال في كل شيء، ولهذا يكره الجلبة والضوضاء والضجيج بغير مسوغ، لما لها من آثار سيئة في حياة الإنسان، كما يكره الصوت الخافت الذي لا يُسمع. ولهذا كان من صفات عمر رضي الله عنه: أنه إذا تكلم أسمع.

هداية القرآن:

وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وهي من الآيات التي يستدل بها على استحباب الوسطية في كل شيء.

ويكره علو الصوت في مجالس العلم، وفي حضرة أهل الفضل والمنزلة من الناس، تأسيًا بما جاء في الأدب مع رسول الله ﷺ، حيث قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٢ ـ ٤].

وإنما وصفهم القرآن بهذا الوصف المذموم، لأنهم كانوا ينادونه بصوت مرتفع، وهو مستريح في بيته، غير مراعين للأدب معه.

وإذا كان العلماء ورثة الأنبياء، فينبغي أيضًا التأدب معهم، بغض الصوت ورعاية المقام.

QaradawiBooks.com

ولقد ذكر لنا القرآن من وصايا لقمان لابنه، وهو يعظه ـ وهو رجل آتاه الله الحكمة ـ هذه الوصية الناصعة: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

وكفى بهذا تنفيرًا للإنسان العاقل أن يتشبه بالحمار البليد، الذي لا يبالي أن يرسل نهيقه المزعج في أي مكان شاء، وفي أي زمان شاء. فهو لا يعرف ما يليق وما لا يليق، وإنما ينطلق من غريزته وحدها.

وقد ذم الله تعالى المشركين في القرآن بقوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗ﴾ [الأنفال: ٣٥] أي صفيرًا وتصفيقًا وضجيجًا، لا ينسجم مع ما يجب للبيت الحرام من توقير، وما ينبغي أن يتوافر للصلاة من سكينة وخشوع.

توجيه السُّنَّة النبويَّة:

ومن هنا روى الشيخان عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى قال: ما شأنكم؟ قالوا: استعجلنا الصلاة. قال: «**فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة، فعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**»(١).

وهنا نرى أن النبي ﷺ قد لفت نظره ما سمع من جلبة وارتفاع صوت، فسأل عن سببه، فقال الصحابة: استعجلنا الصلاة «أي أنهم جاءوا يركضون فأحدثوا صوتًا عاليًا، فنهاهم عن ذلك، وأمرهم بالسكينة».

وروى الشيخان أيضًا عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل النَّاس يجهرون بالتكبير، فقال النبي: «**يا أيها النَّاس،**

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٣٥)، ومسلم في المساجد (٦٠٣).

QaradawiBooks.com

أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم»(١).

معنى: أربعوا على أنفسكم: أرفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه، ليسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبغض كل جَعْظَري جَوَّاظ، صخاب في الأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار**»(٢).

والجعظري: الشديد الغليظ. والجواظ: الأكول. والصخاب: الصياح.

وروى أبي مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال في شأن صلاة الجماعة: «**ليليني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، وإياكم وهَيْشَات الأسواق**»(٣).

وهيشات الأسواق: اختلاطها وارتفاع الأصوات واللغط فيها.

والأمور التي ورد الشرع برفع الصوت بها، من شأنها ألا تحدث ضجيجًا ولا ضوضاء، إذا روعيت فيها تعاليم الشرع وآدابه.

فمنها: (الأذان) ومن المعلوم أن الأذان بألفاظه العذبة، ومعانيه الربانية، وأدائه بصوت فرد، يختار عادة من أندى الناس صوتًا: لا يمكن أن يحدث ضوضاء بحال من الأحوال.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٠٥)، ومسلم في الذكر (٢٧٠٤).

(٢) رواه ابن حبان في العلم (٧٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، والبيهقي في الشهادات (١٠/١٩٤).

(٣) رواه مسلم (٤٣٢)، وأبو داود (٦٧٤)، والترمذي (٢٢٨) ثلاثتهم في الصلاة.

QaradawiBooks.com

ومن ذلـك: التلبية فـي الحج، فمطلـوب من الحجـاج أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية وهم محرمون بالحج، حتى يرموا جمرة العقبة، والتلبية ذكر لله تعالى، ينبئ عن الاستجابة لأمره ﷻ: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

وطالما حججنـا واعتمرنا ولبينا فرادى ومجتمعين، واسـتمعنا إلى الملبين، فلم نشـعر بضجيج ولا ضوضاء، لأن من يلبـي يؤدي التلبية، وهو يشعر بأنه يتعبد لله تعالى، ويتقرّب إليه.

ومن ذلك: الأناشـيد الجماعية، وهي تؤدى منغمـة ملحنة مؤثرة، لا يمكن أن تنسب إلى الجلبة والضوضاء.

ومن ذلك: صيحات (التكبير) في الحرب، فهذه لها قوتها وتأثيرها في تقوية قلوب الجنود المؤمنين، كما لها تأثيرها في زلزلة قلوب الأعداء.

توجيه الفقه الإسلامي:

وعلى ضوء هداية القرآن الكريم، وهدْي السُـنَّة النبويَّة، سـار الفقه الإسلامي، فمنع الفقهاء في فتواهم إذا أفتوا، وفي قضائهم إذا قضوا: كل ما يضر بالإنسـان من الضجيج المؤذي، فما كان خاصًّا بالإنسـان في نفسه، فهو محرم ديانة، وما كان متعديًا إلى غيره فهو محرم ديانة أيضًا، ويزيد أنه من حق (القضاء) أن يمنعه إذا رفع إليه، ومن حق (المحتسب) أن يمنعه إذا رآه ولم يرفعه إليه أحد.

ومن الفقهاء من قسم الضرر الناتج عن الأصوات إلى قسمين: ضرر يجب درؤه، وضـرر يمكن احتمالـه. ومثال القسـم الأول: الأصوات والذبذبات الناتجة عن حركة البوابات، إذ إنها تؤثر على سلامة المباني

QaradawiBooks.com

المجاورة لها. يروي ابن الرامي من المالكية في كتابه (الإعلان بأحكام البنيان) أن مجموعة من الناس أقاموا بوابة لحارتهم، يفتح بابها على حائط جار لهم، فقاضاهم هذا الرجل، بدعوى أن فتح الباب وإغلاقه المستمرين قد أضرا به، وأقلقا راحته. فتحرى ابن الرامي الأمر، ووجد الحائط يتذبذب من جراء فتح الباب وإغلاقه، فأمر القاضي بهدم البوابة وإزالة بابها.

أما القسم الثاني: من الضرر فينتج عن الأصوات التي تسبب الضيق دون الضرر. وقد اختلف الفقهاء في حكمهم عليه. فلم يعتبره الفقهاء الأوائل ضررًا يجب درؤه. فمطرف وابن الماجشون، وأصبغ: رأوا عدم إيقاف الغسال والضراب لمجرد أن ضوضاء عملهما تقلق الجيران، بل ذهب ابن القطان إلى عدم جواز منع أحد من ضرب الحديد في منزله، وإن كان يفعله ليل نهار، بشرط أن يعتمد معاشه على ذلك. أما من لحقهم من الفقهاء، فقد كان لهم رأي مغاير. فاعتبروا الصوت والصدى والضوضاء مصدرًا للضرر يجب درؤه. فقد وضع قضاة طليطلة ـ حسب رواية ابن الرامي ـ قواعد صارمة لمنع وجود الكمادين لما يسببونه من ضرر وضيق للجيران، بما يصدر عنهم من أصوات. كما أعرب القاضي ابن عبد الرافع في تونس عن تفضيله منع بناء حظائر الحيوانات متاخمة للمباني، لما تسببه حركة الحيوانات الدائمة أثناء الليل والنهار من إزعاج قد يمنع الجيران من النوم.

من ذلك نرى أنه، بوجه عام، اعتبر الفقهاء الأصوات والذبذبات مصدرًا للضرر يجب منعه.[1].

---

(١) انظر: البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوّث رؤية إسلامية لمحمد عبد القادر الفقي صـ ٨٦.

QaradawiBooks.com

ومن هذا المنطلق، اهتم المسلمون القدامى ببناء المصانع خارج المدن، وبخاصة تلك التي ينتج عنها تلوّث صوتي أو كيميائي أو أي صورة أخرى من صور التلوّث البيئي.

وسائل تقليل ومكافحة الضوضاء:

استنبطت التقنيات الحديثة عدة وسائل وأساليب لمكافحة التلوّث الصوتي، مثل:

١ ـ استعمال سدادات الأذن في المناطق التي يكثر فيها الضجيج.

٢ ـ منع استعمال آلات التنبيه في السيارات في المناطق المزدحمة.

٣ ـ بناء المطارات بعيدًا عن المدن لتفادي الأصوات العالية لمحركات الطائرات.

٤ ـ استعمال كواتم الصوت في المصانع.

٥ ـ نقل المصانع والورش إلى أحياء صناعية، بعيدة عن المناطق السكنية.

وغير ذلك من الوسائل التي تمنع وصول الأصوات إلى الأذن، أو تمنع حدوثها عند المصدر.

والإسلام يرحب بالاستفادة من كل هذه الوسائل، وكل ما يبتكره البشر في هذا المجال، عملًا بالمصالح المرسلة، وتحقيقًا لمقاصد الشريعة في المحافظة على كل ما ينفع الإنسان، ويبعد الضرر عنه.

قلق العلماء والمفكرين على مصير الحضارة:

لقد أصبحت الحضارة بما تنوء به من أثقال شتى، وما تحس به من أوزار في حق البشرية، ومنها وزر الجناية على البيئة: مخوفة العاقبة،

QaradawiBooks.com

مجهولة المستقبل والمصير، إذا لم يتداركها الله برحمته، فتهتدي من ضلالاتها، وتصلح من فسادها، وتعتدل بعد طغيانها وإخسارها.

ولقد كثر الناقدون للحضارة من الغربيين أنفسهم، ودقوا أجراس الخطر. يخوفون من شأن المصير المرتقب، منهم من رجال العلم، ومن رجال الفلسفة، ومن رجال الأدب، ومن رجال السياسة. كما ذكرنا نماذج من هذه النداءات والصرخات في كتابنا (الإسلام حضارة الغد).

ومن هؤلاء العالم الأمريكي الجنسية، الفرنسي الأصل (رينيه دوبو)، وهو من علماء البيولوجيا، الحاصلين على جائزة نوبل في العلوم. وقد قال في كتابه الذي ترجم إلى العربية بعنوان (إنسانية الإنسان):

«إن كل المفكرين قلقون على مستقبل الأبناء الذي سيقضون حياتهم في بيئات اجتماعية ومحيطية سخيفة عابثة باطلة، نخلقها نحن لهم بدون أي تفكير، وأكثر ما يزعج هو علمنا بأن الخصائص العضوية والفكرية للإنسان، تخططها اليوم البيئات الملوثة، والشوارع المتراصة، والأبنية الشاهقة، والخليط الحضري المتمرد، والعادات الاجتماعية التي تهتم بالأشياء، وتهمل البشر»[1].

وفي حديث بعنوان: «هل تستطيع أمريكا التغلب على خرافة النمو؟» كان سكرتير وزارة الداخلية (إستيوارت. ل. أودال) شجاعًا عندما قال: إنه من السهل اعتبار أمريكا التي صنعها الإنسان كارثة على مستوى القارة. لقد ذكَّر «أودال» مستمعيه: «إننا نملك أكبر عدد من السيارات وأسوأ ساحات «الخردة»، بالمقارنة لأية دولة أخرى في العالم! نحن أكثر

(١) إنسانية الإنسان لرينيه دوبو صـ٣١، ترجمة د. نبيل صبحي الطويل، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

QaradawiBooks.com

سكان العالم تنقلًا، ونتحمل أكبر قدر من الازدحام! ونولِّد أكبر قدر من الطاقة، وفي أجوائنا أكثر الهواء تلوّثًا في العالم»، ولقد نقل عن رئيس بلدية «كليفلند» قوله مازحًا: «إذا لم نكن واعين فسيذكرنا التاريخ على أساس أننا الجيل الذي رفع إنسانًا إلى القمر، على حين هو غائص إلى ركبتيه في الأوحال والقاذورات!»(١).

كان نقاد الحضارة الحديثة قديمًا يقولون: إنها أصلحت الأرض، وأفسدت البشر، وأحسنت إلى الجماد، وأساءت إلى الإنسان، وأتقنت علوم الجماد والمادة، وجهلت علوم الحياة والأحياء، فأحيت العمران، وأماتت الإنسان.

هكذا قال ألكسيس كاريل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول)، وقال كثيرون قبله وبعده مثل ما قال.

واليوم نقول في أوائل القرن الحادي والعشرين، ومطلع الألف الثالث للميلاد: إن الحضارة في عصر تطور التكنولوجيا، وثورة البيولوجيا، وغزو الفضاء، وثورة الاتصالات والمعلومات ـ وقد جنت على العمران، كما جنت على الإنسان، وأساءت إلى الجمادات من المخلوقات، كما أساءت إلى الأحياء والإنسان.

لقد شكت الكائنات كلها من عبثها بها، وقسوتها عليها، لقد جلبت الفساد على الإنسان، وعلى الحيوان، وعلى الجماد، فأفسدت التربة، وأفسدت الهواء، وأفسدت الماء، وأفسدت الغذاء والدواء. أفسدت الأرض وجو السماء. وأمسى الإنسان يخشى أن تكون هذه الحضارة هي

(١) إنسانية الإنسان صـ ٢٢٩ ـ ٢٣١.

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

القاضية عليه، وأن يهلكها العجب والغـــرور والطغيان، كما أهلك أممًا قبلها مـــن ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۞ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ١١ ـ ١٤].

ما أجدرنا أن نتدبّر كثيرًا ما جاء في القرآن من تأشـــيرات وتحذيرات لأمم الحضارات، ومن تحذير لأهل الأرض عامة، حين يبلغون درجة من العلم يتأله فيها الإنسان، وينسيه الغرور ربه، فينسيه الله نفسه! وهنا تكون النهاية الأليمـــة التي لا يغني فيهـــا علم ولا فن ولا فلســـفة ولا صناعة متطورة. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢

خطر استنزاف الموارد

من أبرز مشكلات البيئة في عصرنا: استنزاف الموارد الطبيعية، بحيث أصبح الإنسان في العالم مهددًا بأنه قد يأتي يوم ليس ببعيد، يجد موارده لا تكفيه، وليس ذلك من قلة هذه الموارد، فقد خلقها الله بوفرة للإنسان، وامتن عليه بها في آيات كثيرة من كتابه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۞ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤] وبهذا يتبين لنا أن ظلم الإنسان لنفسه ولغيره، وكفرانه للنعمة، هما اللذان أديا بالإنسان إلى هذه العاقبة الوخيمة، فهو لا يعرف نعمة الله في هذه الموارد، ولا يحافظ عليها، كما ينبغي، ولا يستعملها باقتصاد واعتدال، بل يسرف فيها إسرافًا لا يحبه الله تعالى.

ولقد تحدثنا بإفاضة وتفصيل عن (الركائز الإسلامية في رعاية البيئة). ومن هذه الركائز الأساسية: المحافظة على موارد البيئة، ولا سيما في الثروة الحيوانية، والثروة النباتية، والثروة المائية، وثروة التربة الأرضية. وغيرها، من كل ما جعله الله في البيئة سببا لرزق الإنسان، ورغد عيشه في دنياه.

QaradawiBooks.com

واستنزاف الموارد ولا شك هو نقيض المحافظة عليها، الذي فصلنا القول فيه هناك. كما أن استنزاف الموارد أيضًا ضد ركيزة أخرى من ركائز رعاية البيئة في الإسلام، وهي ركيزة (الإحسان بالبيئة) وخصوصا الإحسان بالحيوان وبالنبات، وبالماء وبالتربة وغيرها.

والاستنزاف كذلك مضاد لركيزة ثالثة من ركائز الرعاية البيئية، وهي المحافظة على مكونات البيئة وعناصرها من الإتلاف، أيا كانت دوافعه، وأيا كانت مظاهره.

فلنكن على ذكر من هذا كله، ولنراجعه لزوما، ونحن نتحدث هنا عن هذا الخطر الكبير، الذي بات ينذر البشرية بشر مستطير.

كيف يتحقق الاستنزاف للموارد؟

يتمثل استنزاف الموارد في عدة أمور:

١ ـ في استخدامها في غير ما خلقت له، أو في معصية الله تعالى.

٢ ـ وفي إساءة استعمالها، وإنهاكها، وعدم الإحسان والرفق بها.

٣ ـ وفي الإسراف وتجاوز الحد في استهلاكها.

٤ ـ وفي إهمالها وإضاعتها حتى يصبها التلف والعطب.

٥ ـ وفي الإفساد في الأرض الذي يترتب عليه هلاك الحرث والنسل، أي هلاك البيئة ومن فيها.

١ ـ استخدام الموارد في غير ما خلقت له:

وفي الأمر الأول نجد الله تعالى خلق كل شيء ليؤدي مهمة في هذا الوجود، فلا ينبغي أن ننحرف به عن مهمته، ليعمل بضدها، أو يحرف مسارها، أو يفسد وظيفتها.

غير مخصصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فالإنسان هو أهم عنصر في البيئة، بل هو الذي سخرت له كل عناصر البيئة من الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] وقد خلق الله الإنسان لعبادته وخلافته في الأرض واستعمره فيها. فلا يجوز أن نغير فطرة الله تعالى، ونجعل الإنسان مسخّرًا للبيئة، بل عابدا لها أو لبعض أجزائها في بعض الأحيان. فهذا قلب للحقائق ووضع للشيء في غير موضعه، وتوجيهه إلى غير ما خلق له، وهو فساد كبير.

والأرض خلقها الله، وهيأها لمعيشة الإنسان، وجعلها له مستقرًّا ومتاعًا، وفراشًا ومهادًا، وبساطًا، وجعلها للناس ذلولًا، ليمشوا في مناكبها، ويأكلوا من رزقه، فلا يجوز للإنسان أن يغير فطرة الله التي خلق عليها هذه الأرض، ويجعل هذه الأرض بدل أن تكون فراشًا ومهادا، تمسي جحيمًا وفسادًا، يفسدها بتفجيراته الذرية، وتلويثاته الإشعاعية وغيرها.

والماء قد خلقه الله ليحيي به الأرض، ويسقيه الإنسان والحيوان، وليكون وسيلة للطهارة والنظافة، وليعيش فيه الأحياء التي يحتاج إليها الإنسان في مأكله، ويستخرج منه الحلية والزينة، وتجري فيه الفلك بأمره. كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٨، ٤٩]، ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: ١١]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

QaradawiBooks.com

فلا يجوز للإنسان أن يلوث هذه المياه، بما يلقي فيها من نفايات المصانع والبواخر، وآثار الحروب وغيرها، مما يقتل أحياءها، ويكدر نقاءها، ويجعلها خطرًا على الإنسان بعد أن كانت مصدرًا لحياته.

إن موارد البيئة كلها من نعم الله تعالى على الإنسان، وفي كل نعمة زكاة، وزكاة هذه النعم أن تستخدم فيما يحب الله تعالى ويرضاه، لا أن تستخدم في معاصي الله وما يسخطه سبحانه، فليس من المقبول عقلًا ولا شرعًا أن تتخذ نعم الله لمعاصي الله ﷻ.

٢ ـ الإساءة في استخدام الموارد:

ومن دلائل استنزاف الموارد: سوء استعمالها، وعدم الإحسان بها. فهذا مما يبغضه الله تعالى، فقد جاء في الحديث «**إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن**»[(١)] وفي معناه: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**»[(٢)]. وإذا كان الله يحب إتقان العمل وإحسانه؛ فمفهومه أنه يكره إساءة العمل، ومنه: إساءة استعمال الموارد. ويكون الإتقان في نفس العمل، وفي نيته وباعثه.

ويقول العلامة عبد الرؤوف المناوي في شرح الحديث المذكور:

فعلى الصانع الذي استعمله الله في الصور والآلات والعدد مثلًا: أن يعمل بما علمه الله عمل إتقان وإحسان، بقصد نفع خلق الله، الذي استعمله في ذلك. ولا يعمل على نية أنه إن لم يعمل ضاع، ولا على

---

(١) رواه الطبراني (١٩/١٩٩)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٨٦٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٣٢)، عن كليب الجرمي.

(٢) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

مقدار الأجرة، بل على حسب إتقان ما تقتضيه الصنعة، كما ذكر أن صانعًا عمل عملًا تجاوز فيه (أي قصر فيه) ودفعه لصاحبه. فلم ينم ليلته، كراهة أن يظهر عمله غير متقن. فشرع في عمل بدله، حتى أتقن ما تعطيه الصنعة، ثم غدا به لصاحبه، فأخذ الأول، وأعطاه الثاني. فشكره (الرجل) فقال: لم أعمله لأجلك، بل قضاء لحق الصنعة!... فمتى قصر الصانع في العمل، لنقص الأجرة، فقد كفر ما علمه الله، وربما سلب الإتقان[١].

وهذا تأكيد لما أمر به القرآن الكريم من الإحسان كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] وقوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وما أمر به الرسول في الحديث الصحيح: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**»[٢] أي كتبه وفرضه في كل شيء، فهو يشمل الإنسان والحيوان والنبات، وسائر المخلوقات. حتى قال المناوي: إنه يشمل الملائكة والجن من العالم غير المنظور، بأن لا يفعل ما يؤذيهم. حتى إنه يحسن إلى شياطين الجن بالدعاء لهم بالهداية، ككفار الإنس أيضا[٣].

٣ ـ الإسراف في استهلاك الموارد:

ومن أبرز مظاهر الاستنزاف: الإسراف في استهلاك الموارد، فإن الإسلام ينهى عن الإسراف في آيات وأحاديث كثيرة. كما حث على القصد والاعتدال في نصوص جمة.

---

(١) انظر: فيض القدير (٢/٢٨٦).

(٢) سبق تخريجه صـ٢٧.

(٣) انظر: فيض القدير (٢/٢٤٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إن الله الذي خلق البيئة بعناصرها المتنوعة، قد أنبأنا أنه إنما خلقها لنا، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

وما كان الله ليخلق لنا هذه الأشياء ويسخرها لنا، ثم يحرمها علينا، ولهذا قال فقهاؤنا: الأصل في الأشياء والمنافع الإباحة، وذلك بمقتضى خلقها وتسخيرها لنا من الله سبحانه.

ومعنى هذا: أن الله أذن لنا أن نأكل من طيبات ما رزقنا، وأن نستمتع بما في هذا الكون من منفعة وزينة. كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

ومن خطوات الشيطان أنه يوسوس لهم بتحريم ما أحل الله عليهم، فلا يجوز للمؤمنين أن يطيعوه، ولذا جاء بعدها خطاب للمؤمنين خاصة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وشدَّد القرآن الكريم النكير على الذين يحرمون الطيبات على الناس باسم الدين، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ولكن الله تعالى حين أباح للناس أن يستمتعوا بالطيبات أكلًا وشربًا ولبسًا وتزينًا، لم يدع الأمر بغير قيود وضوابط، بل قيد الإباحة بعدم الإسراف، فقال تعالى قبل الآية السابقة في الإنكار على محرمي الطيبات: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

QaradawiBooks.com

وحسبك من ذم للمسرفين أن الله تعالى لا يحبهم، كما لا يحب الظالمين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب كل خوّانٍ كفورٍ، ولا يحب كل كفّارٍ أثيمٍ. كما بينت ذلك آيات الكتاب العزيز.

ولقد ذم الله تعالى فرعون المتأله المتجبر في الأرض بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١].

وذم الله سبحانه قوم لوط ـ الذين أتوا فاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين ـ بقوله على لسان نبيهم لوط: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

وكما نهى الله تعالى عن الإسراف، نهى عن التبذير، كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

والفرق بين الإسراف والتبذير: أن الإسراف هو تجاوز الحد في استهلاك الحلال. أما التبذير فهو الإنفاق في الحرام وإن قل.

فمن تجاوز الحد في الحلال كان مسرفًا، كأن أكل أكثر مما ينبغي حتى أضر بنفسه أو بماله، أو جار على حق غيره. فهو بهذا مسرف.

ومن أنفق أكثر مما يحتمله دخله، فقد دخل في دائرة الإسراف.

ومن تجاوز الحد في استخدام الماء ولو في النظافة أو في الطهارة الشرعية، فقد أسرف، وأساء أو تعدى أو ظلم.

ولهذا جاء في الحديث: «**كلوا واشربوا، وتصدقوا، والبسوا، في غير إسراف ولا مخيلة**»(١).

(١) ذكره البخاري معلقًا بصيغة الجزم (١٤٠/٧). وقد وصله أحمد (٦٦٩٥)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. والنسائي في الزكاة (٢٥٥٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

والمخيلة: الاختيال والفخر، وهو رذيلة باطنة، كما أن الإسراف رذيلة ظاهرة.

ومن أنفق من ماله ـ ولو كان درهمًا واحدًا ـ في معصية ـ أي في أمر محرم ـ مثل شرب الخمر، أو تناول المخدرات، أو اقتناء التحف الذهبية، وغيرها ـ اقترف إثم التبذير، وكان من إخوان الشياطين.

فالتبذير هو الإنفاق من مال الله في معاصي الله، فهو محرم وإن كان شيئًا قليلا، أي وإن كان المبذر يملك القناطير المقنطرة.

بخلاف المسرف، فقد يكون الشيء إسرافًا في حق شخص، ولا يكون إسرافًا في حق غيره. فالمعسر غير الموسر، والفقير غير الغني، والغني الذي لا يزال في أول درجات سلم الغنى، غير الذي يملك الملايين. ولهذا قال الناس: على قدر لحافك مد رجليك. أي أنفق على قدر ما تملك.

والمنهج الذي دعا إليه الإسلام في الإنفاق هو التوسط والاعتدال بين الإسراف والتقتير، وكلاهما مذموم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومًا مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]. بل هو يدعو المسلم إلى الاعتدال، وإن كان المورد غنيًا ولا خوف من نفاده، كما في حديث سعد «**لا تسرف وإن كنت على نهر جار!**» وذلك ليكون الاقتصاد خُلُقًا له، يلتزمه أبدا في حالة السعة وفي حالة الضيق، على سواء.

وهذا المنهج المتوازن في الاستهلاك والإنفاق نافع للإنسان اقتصاديا، لأن التقتير يؤذي الاقتصاد، حيث لا توجد دوافع للإنتاج، إذا انعدمت أو قلت بواعث الاستهلاك. كما أن الإسراف يمكن أن يضيع جدوى التنمية وزيادة الإنتاج. لأنك إذا زدت في خزان المياه، ولكنك

QaradawiBooks.com

فتحت الصنبور لحاجة ولغير حاجة، فستنفد مياه الخزان هدرًا، دون أن تحقق هدفها.

وهذا المنهج كذلك نافع للإنسان تربويًّا؛ لأن الإسراف المطلق، ليس من شأن الإنسان المؤمن العاقل، ولذا جاء في الصحيح: «المؤمن يأكل في مِعىً واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء» وهو كناية عن شره الكافر، وأن همه في معدته وإشباع شهواته وغرائزه، وأما المؤمن فكل شيء عنده بحساب، فهو لا يأكل إلَّا إذا جاع، وإذا أكل لا يمتلئ، فما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه.

ثم إن المؤمن العاقل لا يطلق العنان لنفسه ليأكل كل ما اشتهى، ويشتري كلما رغب فيه، وقد جاء في الأثر: من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت!

وقال سيدنا عمر: أو كلما اشتهيتم اشتريتم؟! وشهوة الاشتراء في عصرنا أصبحت آفة كبيرة، فقد أدت إلى تكديس أشياء كثيرة جدا لا لزوم لها، وأضحى التخلص منها إحدى المشكلات العويصة.

فهو نوع من التربية الخلقية، كما أنه لون من التربية الاجتماعية أيضًا. كما جاء: أما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لجاره وابن عمه؟

ومن ناحية أخرى هو تربية اقتصادية، إذا غلت السلع، وقلت الأشياء، فليس أفضل من إرخاصها بالكف عن شرائها، كما قال الشاعر:

وَإِذَا غَلَا شَيْءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُهُ ... فَأَرَاهُ أرخصَ ما يَكونُ إِذَا غَلَا[1]!

---

(١) راجع: فصل: القيم والأخلاق في مجال الاستهلاك، من كتابنا: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، نشر مكتبة وهبه، القاهرة، ومؤسسة الرسالة، بيروت. والبيت لمحمود الوراق، كما في التمثيل والمحاضرة للثعالبي صـ٨٥، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، نشر الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

٤ ـ إهمال موارد البيئة وإضاعتها:

ومن مظاهر الاستنزاف: إهمال موارد البيئة وعدم الانتفاع بها، أو إضاعتها وتركها حتى تتلف وتهلك، دون أن يستفيد الناس من ثمرتها.

ولقد مرَّ بنا أن النبي ﷺ أنكر على أصحابه تركهم جلد شاة ماتت، كانت لمولاة لإحدى أمهات المؤمنين، وقال لهم: «**هلا أخذتم إهابها فانتفعتم به؟**» (وهذا استفهام على سبيل الإنكار) قالوا: يا رسول الله، إنها ميتة! قال: «**إنما حرم أكلها!**»(١).

فبين أن تحريم أكل لحم الميتة لا ينافي الاستفادة من جلدها بالدباغ، فإنه إذا دبغ فقد طهر. وهذا يمثل قمة الحرص على الانتفاع بكل موارد البيئة، وإن قلت قيمتها، وألا تترك للضياع بغير موجب ولا مسوغ.

ومثل ذلك: أمره ﷺ بلعق الصحفة ـ أو وعاء الطعام ـ وعدم ترك فضلات فيها. واللعق ليس مقصودًا لذاته، إنما المقصود أكل كل ما في الإناء، وكانوا يأكلون بأيديهم، فأمر بلعقها أو بلعق الإناء نفسه. فمن كان يأكل بالملعقة، قامت مقام يده في ذلك.

ومثل ذلك أمره عليه الصلاة والسلام بالتقاط اللقمة إذا سقطت على الأرض من الإنسان، وإماطة الأذى عنها، ثم يأكلها ولا يدعها للشيطان.

وسيأتي الحديث عن هذا التوجيه النبوي الرشيد والمهم في تكوين عقلية المسلم في النظر إلى (النعم) وإن صغرت، وفي العناية بالانتفاع

(١) سبق تخريجه صـ١٦٤.

QaradawiBooks.com

بها وإن ضؤلت. فإن الصغير مع الصغير يكبر، والقليل إلى القليل يكثر. وخصوصًا إذا نظر إلى ذلك على مستوى الأمة الكبرى.

وهذه النماذج البسيطة التي تضمنتها الإشارات النبويَّة، تنبهنا على ما هو أهم وأعظم من موارد البيئة التي تهمل وتترك، حتى تضيع على المجتمع كله، إما لغياب الوعي، أو لفساد الضمائر، أو لهما معًا، أو لغير ذلك من الأسباب. وقد تحدثنا فيما سبق عن تحريم الإتلاف للموارد بسبب الإضاعة والإهمال. فليراجع.

٥ ـ الإفساد في الأرض:

ومن مظاهر الاستنزاف للموارد: أنواع الإفساد في الأرض التي يشهدها الناس من قديم، مما يضر بالتربة، أو يضر بالماء مصدر الحياة، أو يضر بالثروة الحيوانية التي هي في خدمة الإنسان، أو يضر بالثروة النباتية التي هي مصدر لغذاء الإنسان ولأنعامه، كما يستفيد منها الظل والبهجة والجمال وغيرها من الثمرات.

وقد تقدم من قبل حديث: «**من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار**»[١] لأن قطعها بغير سبب نوع من الإفساد، لأن من ورائه حرمان الناس من ثمرها، ومن ظلها، ولا سيما في البرية. ومثل ذلك قطع أشجار الغابات التي تؤدي مهمة عظيمة في خدمة البيئة.

وكذلك تقدم حديث «**من قتل عصفورا عبثًا عج إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب، إن فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلني منفعة**»[٢] رواه أحمد والنسائي وابن حبان في صحيحه.

(١) سبق تخريجه صـ١٠٦.

(٢) سبق تخريجه صـ٩٤.

QaradawiBooks.com

وهذا القتل العبثي للحيوانات، لغير منفعة تطلب من ورائها: نوع من الإفساد في الأرض، تستنزف به الموارد، بلا موجب.

كما جاءت أحاديث أخر تنهى عن إفساد الماء، بتلويثه بالبول فيه، وقد مضى الحديث عنها في (خطر التلوّث).

وفي عصرنا نجد ألوانًا من الإفساد في الأرض أشد خطرًا، وأوسع أثرا، من الأفراد ومن الأمم، واستكبارهم في الأرض بغير الحق، وعدوانهم على الموارد لغير ضرورة ولا حاجة، إلّا الأشر والبطر، والكفران بنعمة الله عز وجل.

فعدوا على المساحات الخضراء، وعَدَوا على الغابات، وعَدَوا على مياه الأنهار فلوثوها، فأمست لا تصلح للشرب، ولا تصلح للاستحمام، بل عدوا على البحار المالحة نفسها على سعتها، فأثروا على أحيائها المائية، وأصابوا كثيرًا منها بسموم ضارة، بل قاتلة، وهذه يأكلها الإنسان، فيصاب بسبب أكلها بما يهدد صحته أو حياته.

وهكذا أضر الإنسان بالبيئة، فأضر بنفسه في النهاية، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

ضرورة ترشيد استهلاك الموارد:

إن قضية (استنزاف الموارد) وما تمثله من خطر على البشرية في مستقبلها، لا تعالج معالجة جزئية أو آنية أو إقليمية، بل يجب أن تعالج معالجة جذرية، مؤسسة على تصحيح المفاهيم والأفكار، قبل تصحيح الممارسات العملية.

QaradawiBooks.com

وأول ما يجب أن نصححه هنا يتمثل في الآتي:

الإنسان مستخلف في الأرض وليس إلها:

أولًا: ألا ينظر الإنسان إلى نفسه، وكأنه إله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يسأل عما يفعل، بل يجب عليه أن يتصرف في هذا العالم باعتبار أنه مخلوق لخالق هذا الكون، ومربوب له، ومستخلف منه في هذه الأرض التي هي أرض الله، وملك الله.

فإذا عاش الإنسان في الأرض بعقلية المستخلف فيها، لا السيد المالك لها، الحاكم فيها بأمره، المنفرد بالتصرف فيها بسلطانه، عاش محافظًا على مواردها وطيباتها وكل ما فيها؛ لأنه سيسأل عنها أمام الله تعالى، فهي داخلة في دائرة (مسؤوليته). كما جاء في الحديث الصحيح: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1].

ومسؤولية الإنسان هنا عن نفسه، وعن أهله، وعن ماله، وعن صحته، وعن كل ما خوَّله من الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿**لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ**﴾ [التكاثر: ٨].

ومسؤولية هذا يكون أمام الله تعالى قبل كل شيء، كما قال تعالى: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

وبالتالي يكون مسؤولًا أمام ضميره الديني، الذي تكوَّن لديه من مراقبة الله تعالى، الذي يعلم السر وأخفى. والذي قال في كتابه: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [الحديد: ٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهي مسؤولية أيضًا أمام الضمير الاجتماعي للأمة، التي تملك حق توجيهه ونصحه وتسديده إذا أخطأ، وتقويمه إذا اعوج، وتغيير ما يقترفه من منكر في حقها أو حق نفسه، باليد أو باللسان أو بالقلب حسب الاستطاعة. وذلك بما للأمة من ولاية بعضها على بعض بمقتضى عقد الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾ [التوبة: ٧١].

الموارد نعمة يجب أن تشكر:

ثانيًا: أن ينظر الإنسان إلى موارد البيئة على أنها (نعم من الله) عليه، فالله سبحانه هو الذي خلقها فسواها، وهو الذي هيأها لتكون في خدمته ومصلحته، وهو الذي تولى رعايتها بسننه الكونية حتى تؤدي مهمتها. وهذه حقائق ملموسة ومقطوع بها، ولا يشكك فيها أحد.

ومن حق كل نعمة أن تقابل بالشكر، حتى يحفظها واهبها سبحانه على من أوتيها ويزيدها، أما إذا قوبلت بالكفران، فإنها تتعرض للزوال والضياع، ويتعرض كافر النعمة لعذاب الله تعالى ونقمته. كما قال الله في كتابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ولقد قصّ القرآن الكريم أكثر من قصة فيها عبرة وذكرى لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد. مثل قصة صاحب الجنتين، الذي كفر نعمة الله فيما أوتي، فأهلك الله جنته، ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٢، ٤٣].

QaradawiBooks.com

ومثله قارون الذي آتاه الله من الكنوز، ولكنه بغى على قومه، وتجبر عليهم، ولم يستمع إلى نصحهم له ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧].

وكانت عاقبة بغيه وطغيانه وكفره بنعمة الله عليه، أن خسف الله به وبداره الأرض ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

ومثله قوم سبأ الذين آتاهم الله جنتين عن يمين وشمال، ولكنهم لم يقوموا بشكر النعمة والحفاظ عليها ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٦، ١٧].

الموارد أمانة يجب أن ترعى:

ثالثًا: الموارد كذلك أمانة وديعة، ائتمن الله عليها الإنسان، وأمره بحفظها وحسن رعايتها، فلا يجوز له التفريط فيها، وتعريضها للضياع، فذلك خيانة لأمانة الله عنده.

ونحن حين نقرأ القرآن نجده يقرر أن الإنسان هو حامل (الأمانة الكبرى) التي عرضت على الأجرام العظيمة، فلم تحملها، وحملها هو، وهي (أمانة التكليف الإلهي)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

QaradawiBooks.com

وما دام الإنسان قد حمل الأمانة فواجبه أن يصونها ويحفظها ولا يخونها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وقد جعل القرآن من صفات المؤمنين المفلحين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

وجعل الرسول ﷺ من صفات المنافق: أنه «**إذا اؤتمن خان**»(١).

وقال ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»(٢).

والأمانة تشمل كل ما اؤتمن عليه الإنسان من مال وولد، ومن ماديات ومعنويات، ولهذا ورد أنها أثقل شيء في الدين. وهي بالقطع تشمل (موارد البيئة) فهي من الأمانات التي حملها الإنسان، فإذا حفظها حفظه الله، وإذا ضيعها ضيعه الله، وكان من الخائنين، الذين لا يحبهم الله تعالى، كما قال في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وما أكثر الخيانات التي نراها اليوم من الناس لأمانات الله في البيئة، وما أكثر ما أضاعوها، فحقت عليهم كلمة العذاب، واستحقوا ساعة الهلاك، فقد جاء في الصحيح: «**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**»(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.
(٢) رواه أحمد (١٢٣٨٣)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو يعلى (٢٨٦٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٤)، عن أنس.
(٣) رواه البخاري في العلم (٥٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الموارد من حقوق الله:

رابعًا: إن الموارد البيئة من حقوق الله تعالى على عباده. ومعنى: أنها من حقوق الله، أنها لا تتعلق بحق فرد معين أو فئة معينة من الناس، بل هي حق عام، يتعلق بالجماعة كلها، بل قد يتعلق بالبشرية كافة، بل قد يتعلق بغير البشر من المخلوقات من الكائنات الحية كالحيوانات والنباتات.

بل قد يتعلق هذا الحق بغير الأحياء، أعني: بالكون كله بأرضه وبحاره وأفلاكه.

فإن الإساءة إلى هذه الموارد قد يؤذي الإنسان أيًّا كان وطنه، أو كان عرقه، أو لونه أو طبقته. وقد يؤذي الحيوانات والطيور بعدوان الإنسان على مواردها التي تتغذى منها أو يعيش فيها، أو تهاجر إليها.

وقد يؤذي النباتات التي ليس لها مالك خاص، في الغابات ونحوها، فيقطعها لغير حاجة، إلَّا التلهي والعبث، أو الترف، والإسراف.

وهذا سر الوعيد الشديد الذي جاء في الأحاديث النبويَّة، فيمن قتل عصفورا عبثا، ولغير منفعة، وفيمن قطع شجرة سدر في البرية. فهذا لم يعتد على مالك معين، ولكنه اعتدى على عناصر في البيئة هي من مخلوقات الله، التي لم يسلط الإنسان عليها إلَّا بحق.

ومن هنا يقول المسلم إذا أراد أن يذبح حيوانًا: (باسم الله) وقد نهاه القرآن أن يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه ﴿تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وذكر اسم الله هنا كأنما يقول الذابح: أنا لم أذبح هذا الحيوان تسلطًا مني، بل بإذن إلهي لي، الذي أباح لي أن أذبحه لآكله، فأنا أذبحه باسمه تبارك وتعالى.

QaradawiBooks.com

إن مزية الإنسان المؤمن أنه يعلم أن لله تعالى حقًّا في كل شيء، قل أو كثر، صغر أو كبر. وحق الله سبحانه يقتضي أن نعامل هذا الشيء بالإحسان، فإن الله كتب الإحسان على كل شيء. ومن الإحسان الواجب: أن يرعاه فلا يهمله، وأن يحفظه فلا يضيعه، وأن يتيح له الفرصة لبلوغ كماله المقدر لنوعه، وأن يجنبه الآفات التي تعوق مسيرته، أو تفسد عليه وظيفته.

وهذه ليست قضية قانونية، بقدر ما هي قضية دينية أخلاقية، وحارسها هو الضمير الديني للإنسان، الذي يخشى الله، ويخاف حسابه، ويعلم أنه سيجزي كل نفس بما كسبت.

هذا الضمير الديني الذي عبرت عنه الفتاة الصغيرة التي قالت لأمها حين أرادت أن تغش اللبن بخلطه بالماء، وقد نهى عنه أمير المؤمنين عمر، وهو لن يرى هذا الخلط، قالت الابنة: يا أماه، إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا، فإن رب أمير المؤمنين يرانا!

إن الوعي بحقوق الله على خلقه، وبأن هذه الحقوق يجب أن ترعى، وأن الله تعالى سائل كل مكلف عنها: ينشئ شعورًا ودافعًا قويًّا من داخل الإنسان ذاته، يحفز الإنسان على عمل الخير، واجتناب الشر، ويجعل من الإنسان رقابة ذاتية على تصرفاته، وإذا فرط في حق الله على الأشياء، عاقبه عقوبة سريعة غير مؤجلة، بلذع الضمير وتأديبه، وهو ما سماه القرآن (النفس اللوامة).

* * *

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

٣

خطر اختلال التوازن

ومن الأخطار التي أمست تهدد البيئة: اختلال التوازن بين عناصرها.

فقد بينا من قبل أن الله تعالى خلق البيئة متوازنة ومتكاملة، بل خلق الكون كله كذلك.

هذا ما أثبته القرآن الكريم في مواطن كثيرة، ذكرنا بعضها فيما سبق، وما أيده العلم الحديث، والواجب على الإنسان أن يرعى هذا التوازن البيئي، والتوازن الكوني، ولا يخل به، ويخرج به عن فطرته التي فطره الله عليها.

فيحدث الفساد في الأرض، الذي نهاه الله تعالى عنه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال أبو حيان في تفسير الآية: هذا نهي عن وقوع الفساد في الأرض، وإدخال ماهيته في الوجود بجميع أنواعه، من إفساد النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان، ومعنى (بعد إصلاحها): بعد أن أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق، ومصالح المكلفين[(١)] اهـ.

وقد ذكر تعالى في سورة الرحمن هذا التوازن الكوني بقوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۞ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۞ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ

(١) انظر: تفسير البحر المحيط (٥/٧٠).

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ٱلۡمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٥ ـ ٩].

فأمرنا بإقامة الوزن بالقسط والعدل، ونهانا عن الطغيان والإخسار في الميزان، وإنما المطلوب هو المنهج الوسط في كل شيء: لا إفراط ولا تفريط. أو بالعبارة القرآنية: لا طغيان ولا إخسار.

ولكن الإنسان لم يسلك المنهج الوسط، كما أمره الله سبحانه، بل طغى وأخسر في الميزان، وجار على الطبيعة التي خلقها الله طاهرة فلوثها، وخلقها متوازنة، فأخل بتوازنها، ولا سيما في عصر الصناعة الثاني، وعصر التكنولوجيا المتطورة، وعصر الهندسة الوراثية، والاستنساخ.

ولنذكر هنا بعض آثار هذا الاختلال في بيئة العالم اليوم، وهو ما يشكو منه أولو الألباب في كل مكان.

١ ـ التغيرات الجوهرية في المناخ العام:

من آثار هذا الاختلال في توازن البيئة: التغيرات الجوهرية التي أصبحت ملحوظة في المناخ العام.

فلقد أدت إقامة السدود وإنشاء الخزانات على مجاري الأنهار أو الأودية إلى إحداث تغييرات جوهرية في المناخ العام لتلك البيئات التي توجد بها، ولقد تمثل ذلك في ارتفاع معدلات البخر والرطوبة النسبية، هذا فضلًا عن التأثيرات الضارة بالقشرة الأرضية السطحية في هذه المناطق، وقد تمثل ذلك في حدوث فوالق وزلازل حسبما تشير إليه بعض النظريات الجيولوجية الحديثة، ومن ذلك ما حدث في منطقة

QaradawiBooks.com

بحيرة السد العالي وما جاورها من بعض مناطق محافظة أسوان في أوائل الثمانينات من هذا القرن.

كما قد أدت تلك التغيرات مجتمعة أو منفردة إلى تدمير بيئات مناسبة لمجتمعات حيوانية خاصة، لتحل محلها حيوانات أخرى تناسبها، وتتلاءم معيشتها مع تلك الظروف البيئية الجديدة.

٢ ـ التصحّر:

معنى التصحّر وأسبابه:

التصحر: مصطلح حديث يقصد به زحف العوامل الطبيعية (الرمال، الثلوج، الرياح أو الحرارة) على الأرض الزراعية بصورة تؤدي إلى اكتساحها فتتحول في النهاية إلى أرض متدهورة إنتاجيا وطبيعيا.

أسباب طبيعية:

تتمثل تلك الأسباب اللاإرادية في التغيرات المناخية القاسية، كالبرودة أو الحرارة الشديدة القاسية، وكالأمطار الغزيرة أو الجفاف المميت والرياح العاصفة المدمرة والفيضانات المائية المغرقة التي تؤدي إما إلى جرف الطبقة السطحية من التربة أو ردمها بالرمال المتحركة، وهذه العوامل في الغالب الأعم جند من جند الله يسلطها على من يشاء من عباده، فهي آيات دالة على قدرة الله وحده، لا راد لها ولا مخفف لحدتها إلّا هو، ولذلك فإننا نجد في الشريعة الإسلامية صلوات خاصة بمثل هذه الفواجع، كصلاة الاستسقاء، وصلاة الخوف، وصلاة الحاجة، وقد حدث في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جدب ومجاعة أجهدت الناس، واستمرت عاما كاملا سمي «عام الرمادة» لأن وجه

QaradawiBooks.com

الأرض قد تغير واغبر وصار رمادا، وكانت مذكِّرًا قويًّا بالله، حيث لهجت الألسنة بالضراعة لله والرجوع إليه، فهو الذي يكشف السوء.

غير مرخصة للطباعة

أسباب آدمية:

وتتمثل هذه الأمور في اليد الإنسانية العابثة، والتي تصدر عن فكر قاصر، يزين للناس التدخل في الأنظمة البيئية المحكمة والمتوازنة بصورة أنانية وجامحة، مما أدى إلى إرباكها وتدهورها وإصابتها في مقتل.

أخطار التصحّر:

تتمثل هذه الأخطار في تلك الأرقام والإحصاءات التي تدل بوضوح على ما يلتهمه غول التصحر سنويا من مقدرات الحياة الطبيعية فيما يلي:

- تدهور ٢١ مليونًا من الهكتارات من الأراضي الزراعية، بحيث أصبحت زراعتها غير مجدية اقتصاديا.

- يسبب التصحر خسائر اقتصادية تقدر بنحو (٢٦) ألف مليون دولار سنويًّا.

- يقدر معدل زحف الصحراء في السودان بنحو (١٠) كيلو مترات سنويًّا، كما يقدر معدل انخفاض الغابات في المغرب بنحو (٣٠) ألف هكتار في الفترة (١٩٤٠م إلى ١٩٨١م)، أما في تونس فقد بلغ معدل انخفاض غابات الصنوبر نحو (١٨٠٠) هكتار سنويًّا.

وقد بلغ معدل تدمير الغابات في العالم فدانًا واحدًا في كل ثانية، كما بلغ عدد السكان المتضررين من التصحر ٥٧ مليون

نسخة تجريبية

QaradawiBooks.com

شـخص طبقًا لإحصاء عام ١٩٧٧م، في حين ارتفع هذا المعدل إلى ١٣٥ مليون نسمة طبقا لإحصاء عام ١٩٨٤م[١]. فكم يكون العدد الآن، ونحن في سنة ٢٠٠٠.

وقد كتب أحد الباحثين كتابًا جعل جزءًا من عنوانه: الطبيعة بين فكيّ الوحش: التلوّث والتصحّر.

٣ ـ الأضرار المناخية (ارتفاع حرارة الأرض):

ومن اختلال التوازن: ارتفاع حرارة الأرض، وهو من الأضرار المناخية، التي غدا جماهير الناس يلمسونها في حياتهم وأثرها عليهم.

فلقد أدّى الاستهلاك الهائل والمذهل لملايين الأطنان من الوقود يوميًّا في المجتمعات الصناعة، إلى تصاعد ملايين الأطنان من غازات ثاني أكسيد الكربون والميثان وغيرها من الملوّثات، مما قد يؤدي إلى رفع درجة حرارة الأرض بمرور الوقت، وقد حذر العالم الأمريكي «جيمس هانسن» مدير معهد «جودارد» لدراسة الفضاء من خطر ارتفاع درجة حرارة الأرض، نظرًا للتصاعد المستمر لغاز ثاني أكسيد الكربون والميثان والملوّثات الأخرى، وكان هذا التحذير في عام ١٩٨٨م، وتفسير ذلك هو أن تراكم هذه الغازات يؤدي إلى تكوين ما يشبه الحاجز الزجاجي للغلاف الجوي للأرض، مما يسمح بدخول أشعة الشمس ويحول في نفس الوقت دون خروج معظمها وإعادتها إلى الفضاء، وهو ما يعرف بظاهرة (الصوبة).

(١) انظر: البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني صـ ٥٨ ـ ٦٠.

QaradawiBooks.com

٤ ـ ارتفاع مستوى سطح مياه البحر:

ولهذه المشكلة صلة قوية بالمشكلة السابقة، حيث يترتب على ارتفاع درجة حرارة الأرض إذابة الجليد في المناطق القطبية، فيرتفع مستوى سطح مياه البحر ليغمر المدن الساحلية ومصبات الأنهار.

٥ ـ هطول الأمطار الحمضية:

وقد لوحظ هطول تلك الأمطار فوق أراضي كثير من الدول الصناعية والدول المجاورة لها، حيث تتسبب أكاسيد النتروجين والكبريت الناتجة من حرق الوقود في تكوين هذه الأمطار الحمضية، وقد دقت نواقيس الإنذار لأول مرة حول زيادة حموضة الترسبات في أوربا وشرق أمريكا الشمالية عام ١٩٦٠م، ويعتبر المطر الحمضي ناتجًا مباشرًا لقيام المحيط الجوي بتنظيف نفسه، إذ تقوم القطيرات الصغيرة من الماء والتي تكون الغيوم بامتصاص الجسيمات المعلقة، وآثار الغاز المذابة باستمرار، ومع تكثف هذه الرواسب في مياه الغيوم، فإنها تغسل الملوّثات وتزيلها من المحيط الجوي، ولا يمكن إزالة كافة بقايا الغازات بالترسيب، حيث نجد أن ثاني أكسيد الكبريت (SO_2) وأكاسيد النيتروجين المنبعثة في الجو تتحول كيميائيًا إلى مركبات تندمج بسهولة مع قطيرات الغيوم كأحماض الكبريتيك ($H2SO_4$) والنيتريك ($HN0_3$). ومما يزيد من سرعة هذه التفاعلات جزيئات الأوزون (O_3) سواء القادمة من طبقة (stratosphere) أو تلك التي تتكون في الطبقات السفلى من المحيط الجوي، وخاصة طبقة (Troposphere) بتأثير الملوّثات التي تحتوي على النيتروجين والكبريت.

QaradawiBooks.com

٦ ـ تآكل الأوزون:

تساعد مركبات الكلوروفلور وكربون المستخدمة في أجهزة التبريد، وفي عبوات مستحضرات التجميل والمبيدات والمواد الرَّغَوِية المستخدمة في إطفاء الحريق، تساعد على تآكل طبقة الأوزون التي أشرنا إليها من قبل، فيترتب على ذلك آثار بيئية خطيرة[(١)].

* * *

(١) البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني صـ ٥٨ ـ ٦٠.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

QaradawiBooks.com

موسوعة الأعمال الكاملة
لسماحة الإمام
يوسف القرضاوي

(٤)

بماذا تفسد البيئة؟

ظهور الفساد في البر والبحر وأسبابه:

١ ـ تغيير خلق الله.

٢ ـ الظلم.

٣ ـ العلو في الأرض.

٤ ـ اتباع الهوى.

٥ ـ الانحراف عن الميزان الكوني.

٦ ـ الكفر بأنعم الله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة ...
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

بماذا تفسد البيئة وتتلوّث؟

من المباحث الهامة هنا: البحث عن الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى فساد البيئة وتلوّثها واختلال توازنها، وانقلابها نقمة على الإنسان، بعد أن كانت نعمة له، ورحمة به.

والنظرة الإسلامية هنا واضحة تمام الوضوح، وهي: أن تصرفات الإنسان المنحرفة هي السبب الأول وراء ذلك.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

والفساد المذكور في هذه الآية الكريمة لا يراد به الفساد المعنوي من المعاصي والمنكرات وعمل السيئات، فإن هذا هو سبب الفساد، المذكور في قوله تعالى في الآية: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾.

فالفساد هنا هو النتيجة والثمرة المرة لما كسبت أيدي الناس من المعاصي والمفاسد الأخلاقية.

ولهذا فسروا الفساد في البر والبحر ـ كما في (روح المعاني) للآلوسي[1] ـ بالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق، وإخفاق

(١) روح المعاني للآلوسي (٤٧/٢١)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

نسخة مجانية

الصيادين، ومحق البركات من كل شـيء وقلة المنافـع في الجملة، وكثرة المضار.

وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «وفساد البر يكون بفقدان منافعه وحدوث مضاره، مثـل حبس الأقوات من الـزرع والثمار والكلأ، وفي موتان الحيـوان المنتفع به، وفي انتقال الوحـوش التي تصاد من جراء قحـط الأرض إلى أرضيـن أخرى، وفي حـدوث الجوائـح من جراد وحشرات وأمراض.

وفساد البحر كذلك يظهر في تعطيل منافعه من قلة الحيتان واللؤلؤ والمرجان (فقد كانا من أعظم موارد بلاد العرب)، وكثرة الزوابع الحائلة عن الأسفار في البحر، ونضوب مياه الأنهار وانحباس فيضانها الذي به يستقي الناس».

ويجوز أن يكون المعنى أن الله تعالى خلق العالم على نظام مُحكم ملائم صالح للناس، فأحدث الإنسـان فيه أعمالًا سيئة مفسدة، فكانت وشائج لأمثالها:

وهل ينبت الخطّيَّ إلَّا وشيجه[١]؟

فأخذ الاختلال يتطرق إلى نظام العالم قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٤ ـ ٦][٢].

---

(١) صدر بيت لزهير بن أبي سُلمى، عجزه: وتُغْرَسُ إلا في منابتها النَّخْلُ.
انظر: ديوانه صـ٨٧، شرح وتقديم علي حسن فاعور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١١٠/٢١ ـ ١١٢) بتصرف، نشر الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

ويمكن أن نضيف في عصرنا مع فساد البر والبحر: فساد الجو أيضًا، فهو من عناصر البيئة الرئيسة، وقد أدخلنا عليه كثيرًا من ألوان الفساد في عصرنا.

بين القرآن أن ظهور الفساد في البر والبحر إنما هو (بما كسبت أيدي الناس)، أي: ليس ظلمًا من الله لهم، وإنما هم الذي جنوا على أنفسهم ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

وقد قرر القرآن هذه الحقيقة بجلاء: أن كل ما يصيب الناس من بلاء وكوارث في هذه الدنيا إنما هو بسوء أعمالهم، وصنع أيديهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠].

ومعنى أنه (يعفو عن كثير): أنه لا يؤاخذ الناس بكل ما كسبت أيديهم؛ لأنه لو فعل ذلك لهلك كل من في الأرض بذنوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [النحل: ٦١]، ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [فاطر: ٤٥].

ولهذا قالت الآية التي معنا: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] أي أنه سبحانه لا يؤاخذهم بكل ما عملوا، وإنما يذيقهم جزاء بعض ما عملوا، ويعفو عن كثير، فضلا منه ورحمة.

ومن لطائف ما في هذه الآية أنه تعالى ختمها بقوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أي أن الله تعالى حين ينزل بأسه ببعض عباده بسبب ما اقترفوا من معاصي وموبقات، لا يفعل ذلك انتقامًا منهم، بل أدبًا لهم، وتنبيها لهم

QaradawiBooks.com

من غفلتهم، لعل هذا الأدب الإلهي يوقظهم من سباتهم، ويردهم بعد شرود إلى ربهم، وليقولوا ما قال أبواهم آدم وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

إن فساد البيئة إنما هو من فساد الإنسان، ولن تصلح البيئة إلَّا إذا صلح الإنسان. ولن يصلح الإنسان إلَّا إذا صلحت نفسه التي بين جنبيه، أي صلح عقله وضميره، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

١

تغيير خلق الله

ومن أعظم ما يفسد البيئة، ويخرجها عن طبيعتها المهيأة لصلاح الإنسان: ما عبر عنه القرآن أبلغ التعبير، وهو «تغيير خلق الله» أو بتعبير آخر: تغيير (الفطرة) التي فطر الله الناس، وفطر الأشياء عليها.

وهو ما توعّد به الشيطان اللعين أن يفسد به بني آدم ويضلهم عن طريقهم، حين قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

تبتيك آذان الأنعام الذي ذكره الشيطان، هو نوع من التغيير والإضلال الذي لبَّس به الشيطان على الإنسان، وأدخله في أودية الضلالات والأوهام، ولا سيما فيما يتعلق بالأنعام فجعل منها البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، وحرموا منها وحللوا، ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ إلى أن قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٨ ـ ١٤٠].

QaradawiBooks.com

وأي خسارة أفدح من أن يستحل الإنسان المحرمات الكبيرة القاطعة مثل قتل ولده وفلذة كبده، كما كانوا يئدون البنات، وأن يحرم الحلال الطيب مثل الأنعام التي خلقها الله للإنسان، وجعلها رزقا له ﴿قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] هذا هو ما توعد به الشيطان ونفذه للأسف في الكثيرين من بني الإنسان. ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

تغيير خلق الله، يعني: خروج الإنسان من سواء الفطرة واستقامتها إلى الميل والانحراف إلى اليمين وإلى اليسار.

وإذا خرج الإنسان عن فطرة الله تعالى في نفسه، وفطرة الله في الأشياء المخلوقة من حوله، فسيضيع ويشقى، ويجد سنن الله تعالى في الكون وفي الإنسان ضده.

وهكذا كل من خرج على الفطرة عاقبته الفطرة نفسها، وعاقبه القدر الأعلى أيضا، ويبقى عقاب الله تعالى المرتقب في الآخرة (ولعذاب الآخرة أشد وأخزى).

إن الذي حول الإنسان من بشر مكرم إلى آلة صماء، قد غيّر فطرة الله، وغيّر خلق الله سبحانه.

والذي حوَّل الإنسان إلى سبع مفترس، أو إلى حيوان شره، لا هم له إلَّا بطنه وشهوته، قد غيّر فطرة الله، وغيّر خلق الله.

والذي حوّل الإنسان المنتج المكلف بعمارة الأرض، إلى مجرد مستهلك، ومستهلك بإسراف، قد غير فطرة الله، وغير خلق الله.

QaradawiBooks.com

والذي حوّل الماء الذي أنزله الله من السماء ماء طهورا إلى ماء ملوث بمخلفات المصانع وغيرها، قد غيّر فطرة الله، وغيّر خلق الله.

والذي حـوّل النبـات الطبيعـي النافع إلـى نبات ضار بواسـطة الكيماويات، قد غيّر فطرة الله، وغيّر خلق الله.

والذي حوّل الهواء الـذي صرفه الله بين السـماء والأرض، والذي خلقه الله نافعـا للناس، إلى هواء ملوث بآثار ما صنع الإنسـان وتجاوز فيه، قد غيّر فطرة الله، وغيّر خلق الله.

والذي حوّل البقر وغيـره من الأنعام من حيوان آكل للعشـب إلى حيوان يطعم البروتينات الحيوانيـة المصنعة، حتى أدى إلى جنون البقر وغيره، قد غيّر فطرة الله، وغيّر خلق الله.

والذي غيّر التربة التي خلقها الله صالحة للإنبات وللسكنى إلى تربة ملوثة، قد غيّر فطرة الله، وغيّر خلق الله.

والذي غيّر طبيعة الأرض كلها، التي جعلها الله لأهلها مهادًا وفراشًا وبساطًا ومستقرًا، إلى أرض مهددة بالاضطراب والدمار من كل جانب، قد غّير فطرة الله، وغيّر خلق الله.

والذي أجرى التجـارب النووية في باطـن الأرض، ولوث ظاهرها بالنفايات الذرية، والإشعاعات الضارة، قد غيّر فطرة الله، وغيّر خلق الله.

وما أكثر ما أفسد الإنسان حينما استجاب لنداء الشيطان وأمره للناس أن يغيّروا خلق الله، فأطاعوه واتبعوه، فخسروا خسرانًا مبينًا.

* * *

QaradawiBooks.com

٢
الظلم

ومن أعظم ما يؤدي إلى فساد البر والبحر أو فساد البيئة: الظلم. سواء كان ظلم الإنسان لنفسه، أم ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، أم ظلم الإنسان للبيئة وعناصرها ومكوناتها المختلفة من الحيوانات والنباتات والجمادات من التربة والماء والهواء وغيرها.

وإذا كان العدل والإحسان مطلوبين من الإنسان أبدًا في التعامل مع البيئة باعتبارهما مما أمر الله تعالى به وفرضه على عباده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

فإن الظلم والإساءة مما حرمه الله تعالى على عباده، في التعامل مع عناصر البيئة، كما في التعامل مع الإنسان.

والظلم من الذنوب التي يعجل الله العقوبة عليها في الدنيا قبل الآخرة، حتى لا يتمادى الظالمون في ظلمهم، وخصوصًا ظلم المستضعفين من الناس، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، ولا يجدون من يساندهم أو يدافع عنهم، هنا يتكفل القدر الأعلى بالثأر لهم والدفاع عنهم.

QaradawiBooks.com

اقرأ معي قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢].

﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: إن الله يُبقي الدولة الكافرة إذا كانت عادلة، ويزيل الدولة المسلمة إذا كانت ظالمة، أي أن الظالم لا ينفعه إسلامه، بعد أن قضى عليه ظلمه وبغيه على الخلق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣].

وقد قال تعالى في كتابه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

فالمصلحون لا يهلكهم الله، وإن لم يكونوا مسلمين؛ لأن إصلاحهم نفعهم، وأجل عقابهم إلى الآخرة. وقوله تعالى (بظلم) تحتمل معنيين: الأول: أن يهلكهم ظالمًا لهم. والثاني: أن يفسر الظلم بالشرك، كما قال تعالى على لسان لقمان ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فمعنى الآية: وما كان ربك ليهلك القرى بسبب الشرك، وأهلها مصلحون. كأنما تشير الآية إلى أن الشرك إنما يهلك أصحابه إذا اقترن بالفساد والظلم.

* * *

QaradawiBooks.com

٣
العلو في الأرض

غير مرخصة للطباعة

ومن أسباب فساد البر والبحر: علوّ الإنسان في الأرض، أي طغيانه واستكباره بغير الحق، وتجاوزه حده، كما تمثل ذلك في فرعون، الذي قال فيه القرآن: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

وأي إفساد أعظم من تذبيح الذكور، واستحياء الإناث، فهو يريد أن يقضي على هذه السلالة، وسبب ذلك استضعافها والاستهانة بأمرها. واستعلاؤه عليها، ولذا قال تعالى عنه في سورة أخرى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١].

ولا عجب أن أدى به هذا العلو إلى (التألّه) وادعاء الربوبية للنّاس ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤]. وفي سياق آخر قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

إنَّ هذا العلو المستكبر المتأله هو الذي انتهى بفرعون وملئه إلى الهلاك والدمار ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

QaradawiBooks.com

وما صنعه فرعون قديمًا فـي بلد واحد هو مصـر، يصنعه (فرعون الحديث) في بلاد شـتى من عالمنـا. وفرعون الحديث هنا هو إنسـان الحضارة الغربية المعاصر، الذي علا فـي الأرض و(تألّه) فيها، وإن لم يدَّع الألوهية قولًا، فهو يمارسها فعلًا، ويتصرف في هذا الكون تصرف الإله الـذي لا يسـأل عمـا يفعل، لأنـه ـ كما عبـر بعـض علمائهم وفلاسفتهم ـ أصبح مالكًا للطبيعة، بعد أن قهرها وانتصر عليها.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤
اتباع الهوى

ومن أعظم ما يفسد البيئة كذلك، ويجلب الفساد في البر والبحر والجو: اتباع الإنسان لهواه، وركضه وراء شهواته، وإشباع غرائزه الدنيا، عل حساب المثل العليا، وخضوع الإنسان لنداء أنانيته وفرديته، ولو جار ذلك على حقوق غيره، وترجيحه لرغبات يومه، دون التفات إلى غده. فهذا هو الذي ينزل بالإنسان من مخلوق راشد يجعل شهواته تحت سلطان عقله، إلى مجرد حيوان تسيره غريزته، فلا عقل له، ولا ضمير له. وفي هذا يقول القرآن ﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ**﴾ [محمد: ١٢] وقال ﷻ: ﴿**أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

وإنما كانوا أضل سبيلًا من الأنعام لأمرين:

الأول: أن الأنعام لم تؤت ما أوتوا من العقل والإرادة والمواهب الروحية، وبالتالي لم ينزل لها كتاب، ولم يبعث لها رسول.

والثاني: إن الأنعام قد أدت مهمتها المنوطة بها، فآتت درها ونسلها، وحملت الأثقال، وأثارت الأرض، وسقت الحرث، ولم تتمرّد على أداء رسالتها يومًا.

QaradawiBooks.com

أما الإنســـان فرغم ما أوتي من الملكات والقدرات، لم يؤدّ رسالته التي كلّف بها، فلا غرو أن يكون أحط من الأنعام، وأضل سبيلًا منها.

وإنما أنــزل الله كتبه، وبعث رســله، ليخرجوا الناس مــن العبودية لأهوائهم إلى العبودية لله وحده، واتباع شريعته، وبغير هذا يحدث الفساد في الكون كله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وقال تعالى لنبيه داود ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

الانحراف عن الميزان الكوني

ومن أسباب ظهور الفساد في البر والبحر: انحراف الإنسان عن (الميزان الكوني) الذي أقام الله تعالى عليه هذا العالم، فقد خلق كل شيء فيه بقدر، ووضع كل شيء فيه بحساب ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨]، ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩].

وآيات كثيرة دلت على أن كل شيء في هذا الكون الكبير مخلوق بمقدار وميزان، ومن أجلى الآيات وأظهرها دلالة على هذا المعنى آيات سورة الرحمن: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۞ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۞ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٥ ـ ٩].

فأشارت هذه الآيات إلى الميزان الكوني الذي قرنه الله برفع السماء، ولا يظن ظان أن هذا الميزان هو الذي توزن به الأشياء المشتراة من السوق، فهذا يقرن بالكيل، ولا يقرن برفع السماء.

وأمرت الآيات بإقامة الوزن بالقسط، أي العدل، ونهت عن (الطغيان) في الميزان، وهو الإسراف والإفراط، كما نهت عن (الإخسار)

QaradawiBooks.com

في الميزان، وهو التقصير والتفريـط. وموجب هذا هو الوقوف عند حد الوسـط والاعتدال. وهو ما تميزت به هذه الأمة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وإن الفسـاد إنما يحـدث في الأرض بتجـاوز العدل أو القسـط، والانحراف إلى الطغيان أو الإخسار.

وإن الخيـر كل الخير في إقامة الوزن بالقسـط في كل شـيء، وهو ما بعث الله به رسـله وأنزل به كتبه، كما قـال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

والقسط مطلوب في تعامل الإنسان مع نفسـه، وتعامل الإنسان مع أسرته، وتعامل الإنسان مع قومه، وتعامل الإنسان مع خصومه، فلا يجوز أن ينحرف الإنسـان عن القسـط لعاطفة محبة أو عداوة ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وكذلك يطلب القسـط فـي تعامل الإنسـان مع البيئـة بعناصرها المختلفة، بلا طغيان ولا إخسـار في الميزان، أي بلا إفراط ولا تفريط. وهذا هو العدل والاعتدال.

فإذا خرج الإنسـان عن هذا الحد، فطغى في الميزان أو أخسر فيه، فقد أسـاء وتعدى، فإذا اسـتمر في ذلك، ولم يراجع نفسه، ويثب إلى رشده، ويتب إلى ربه، فقد استحق عقوبة الله تعالى، وكان تجاوزه ذلك سببًا في ظهور الفساد في البر والبحر.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٦
الكفر بأنعم الله

ومن أسباب فساد البيئة أو ظهور الفساد في البر والبحر: الكفران بأنعم الله تعالى. فقد آتى الله الإنسان نعمًا كثيرة هيأ له أسبابها، ووفر له مصادرها، ويسر له سبلها، وكلما كانت حاجته إلى هذه النعم أشد وأكثر، كان عطاؤه تعالى فيها أعظم وأوفر.

حتى إن أعلى النعم وأنفسها وأعظمها عند الإنسان هي أرخصها، بل هي في الغالب توفر له مجانًا بلا مقابل، مثل الماء والهواء، والشمس والضياء. فإن الله تعالى وفرها للعباد بكميات وافرة، تفي بمتطلبات الإنسان وحاجاته دون أن يحتكرها أحد، إلَّا ظالمًا، كالذين يحتكرون الماء العام، وهو في الأصل ملك للناس كافة.

بيد أن الإنسان لم يرع حق هذه النعم الجليلة، ولم يؤد شكرها، كما يجب، بل استخدمها في غير ما خلقت له، فعصى الله تعالى بها، أي أنه اتخذ نعم الله أدوات في معصية الله. وهذا هو الكفران بالنعمة، الذي يؤدي إلى زوالها، ويوجب لفاعله العقوبة من واهب النعم سبحانه.

وقد قال ﷻ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

QaradawiBooks.com

فكل من كفر بأنعم الله استحق عذابه جزاء وفاقا، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

ولقد أشار القرآن إلى قرية تغير حالها من سعادة إلى شقاوة، ومن أمن إلى خوف، ومن سعة إلى ضيق بسبب هذا الكفران. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

ومثل هذه القرية القوم الذين أشار إليهم القرآن في سورة أخرى، إذ قال: ﴿تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

كما ذكر القرآن لنا قصة سبأ، وما من الله به عليهم من نعمة، وكيف قابلوا هذه النعم بالكفران، فكان جزاؤهم هلاكها وحرمانهم منها، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٧].

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

مَوسُوعَةُ الأعمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَماحَةِ الإمَامِ
يُوسُف القَرضَاوِي

(٥)

وسائل إسلامية معاصرة لرعاية البيئة

١ ـ تربية الناشئة تربية موصولة بالدين.

٢ ـ تثقيف الكبار تثقيفًا موصولًا بقيم الإسلام.

٣ ـ رقابة الرأي العام بإحياء (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

٤ ـ سلطة التشريع والعقاب.

٥ ـ التعاون مع المؤسسات المحلية والعالمية.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

وسائل إسلامية معاصرة لرعاية البيئة

للإسلام وسائل عدة لحماية البيئة، وتنميتها وتحسينها، وعلاج مشكلاتها التي أمسى العالم كله يشكو من آثارها.

وهذه الوسائل كلها تتعلق بدور الإنسان في البيئة، إذ الطبيعة من حولنا بشمسها وقمرها، وليلها ونهارها، وبحارها وصحاريها، لا نستطيع أن نتحكم فيها، من ناحية، ولأنها لا مشكلة منها ولا خطر في ذاتها، إنما المشكلة تنبع من صلة الإنسان بها، ونظرته إليها، وتصرفه فيها، وتعامله معها.

فإذا أصلحنا الإنسان، فقد صلحت الحياة كلها من حوله، وإنما يصلح الإنسان من داخله، لا من خارجه، ومن باطنه لا من ظاهره، ومن نفسه التي بين جنبيه لا من غلافه البدني. وهذه سنة ثابتة قررها القرآن الكريم حين قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١] ومن المؤكد: أنه لا يصلح الأنفس شيء مثل الإيمان، فهو سبيل الخلاص، وطوق النجاة.

هذه الوسائل الإسلامية تتمثل فيما يلي:

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١
تربية الناشئة

أولى هذه الوسائل هي التربية والتعليم، وخصوصًا للناشئة في الحضانات والمدارس، بمستوياتها المختلفة، حتى الجامعة.

فمن الواجب غرس فكرة العناية بالبيئة والمحافظة عليها، والتعامل معها بـ (الإحسان) الذي أمر الله به، وكتبه على كل شيء، كما جاء في الحديث: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» وبـ (الرفق) الذي يحبه الله تعالى في الأمر كله، وما دخل في شيء إلَّا زانه، ولا نزع من شيء إلَّا شانه.

وبالاعتدال الذي يجعل الإنسان ينتفع بخيرات البيئة بلا شح ولا إسراف، انتفاع عباد الرحمن ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وبشكران النعمة الذي يجب أن يتصف به كل مؤمن، فهو الذي يحفظها عليه، بل يزيدها وينميها. وعلى المؤمن أن يقول ما قال سليمان: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

كما عليه أن يتعامل مع البيئة ومكوناتها بتقوى الله تعالى، وهي الشعور برقابته ﷻ، وأنه لا يضيع عنده عمل عامل من ذكر أو أنثى،

QaradawiBooks.com

وأنه سبحانه سيجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

هذه المعاني يجب أن نغرسها في عقول أطفالنا، وفي وجدانهم منذ نعومة أظفارهم، فإن التعليم في الصغر، كالنقش على الحجر، وهذه السن هي التي تتكون فيها العادات، وتكتسب الفضائل أو الرذائل. وقد قال الشاعر:

إن الغصونَ إذا قوَّمْتَها اعتدلتْ ولن تلين إذا قومتَها الخُشُبُ[1]!

ومن اللازم هنا: أن يدخل جزء من (علم البيئة) وضرورة رعايتها والمحافظة عليها في المناهج والكتب الدراسية بالقدر الملائم، وبالأسلوب المناسب لسن الطالب ومداركه، وبالطريقة المشوقة التي تشده إلى هذا اللون من الثقافة، الذي يجب أن يرتبط بالدين، باعتباره المؤثر الأول في حياة الإنسان عامة، والمسلم خاصة.

ولا يجوز للآباء والأمهات أن يلقوا كل العبء على المدرسة، ويتخليا عن واجبهما في الرعاية والتربية، بل ينبغي أن يتعاون البيت والمدرسة في هذه التربية المنشودة، بحيث يكمل كل منهما الآخر، في تنشئة جيل المستقبل، الذي يؤدي واجبه كما يعرف حقه، ولا يقتصر على طلب الحقوق، مع التقصير في الواجبات.

* * *

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في حماسة البحتري صـ٤٦١، تحقيق د. محمَّد إبراهيم حُوَّر وأحمد محمد عبيد، نشر هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

٢

التوعية والتثقيف للكبار

والوسيلة الثانية، هي: التوعية والتثقيف للكبار وللجماهير بصفة عامة، وذلك عن طريق المؤسسات الثقافية التي تعمل على الرقي بفكر الأمة، وتسمو بأذواقها واتجاهاتها العقلية والنفسية، وتصحح مفاهيمها الخاطئة، وتقوم أفكارها المنحرفة، متعاونة مع أجهزة الإعلام الواعي الهادف، الذي يبني ولا يهدم، ويصلح ولا يفسد، بحيث ينشئ تصوّرًا معرفيًّا بيئيًّا جديدًا منبثقًا من التصوّر الإسلامي العام لله سبحانه وللإنسان وللكون وللحياة، والوجود. فالثقافة هي التي تغير الأفكار والأذواق والميول، وتكون اتجاهات الأفراد، خيرة كانت أم شريرة.

كما لا بد أن يدخل إصلاح البيئة، والحرص على سلامتها ونمائها، وأداؤها لما يطلب منها على الوجه الأمثل، في مناهج الإعلام مقروءًا، أو مسموعًا، أو مرئيًّا. وأن تعد برامج ثقافية ملائمة، على شتى المستويات، بعضها أكاديمي يصلح للخاصة، وبعضها جماهيري ينفع العامة.

بل لا بد أن تدخل هذه المعاني والمفاهيم البيئية ضمن الأعمال الدرامية من التمثيليات والمسلسلات ونحوها، لما فيها من تشويق، وما لها من تأثير بالغ على الناس.

QaradawiBooks.com

ولا بد للإعــلام الديني أن يقــوم بمهمته فــي التوعية والترشــيد والتوجيه، المعتمد على القرآن والسنة وهَدْي السلف الصالح، عن طريق خطبة الجمعة، ودرس المســجد، والمحاضرات الدينيــة، فلا ريب أن للمســجد تأثيره الكبير على عقول المســلمين وضمائرهــم، إذا تهيأ له الخطيب الصالح الذي يفقه دينه ويفقه عصره.

* * *

غير مخصصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣
رقابة الرأي العام

غير مرخصة للطباعة

والوسيلة الثالثة، هي: رقابة الرأي العام، الذي يمثل (الضمير الجماعي) للأمة، بمقتضى فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي ميز الله بها هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهو من الأوصاف الأساسية لمجتمع المؤمنين والمؤمنات، كما وصفه الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].

فقدّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الفرائض المعروفة: الصلاة والزكاة، ليشعر بأهميته في الدين. وبهذا يتكون الضمير الاجتماعي للأمة، وتتقرر رقابة الرأي العام الواعي على أوضاعها، والسهر على استقامتها.

نسخة مجانية

ولا ريب أنّ إصلاح البيئة ورعايتها من المعروف، وأنّ إفسادها وتلويثها والاعتداء عليها من المنكر.

ومعنى هذا: أن كل مسلم مسؤول مسؤولية تضامنية عن سلامة البيئة وصلاحها، وإذا رأى من يجور عليها بتلويث أو إتلاف أو إفساد، وجب

QaradawiBooks.com

عليه أن ينهاه عن ذلك، بل المطلوب أساسًا أن يغير هذا المنكر بقدر استطاعته، بيده إن كان ذا سلطة، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

وبهذا يحاصر المنكر والفساد حصارًا أدبيًّا، ويبقى في أضيق نطاق ممكن.

ويدخل في هذا المجال: إنشاء (الجمعيات الأهلية) للمحافظة على البيئة، وهذا من التعاون على البر والتقوى. وهذه الجمعيات هي البديل الشعبي عن دور (المحتسب) في عصور الحضارة الإسلامية.

وقد كان (المحتسبون) قديمًا يقومون بهذا الواجب الاجتماعي، وكانوا يفرضون رقابة قويةً ـ بسلطان الشرع ـ على أفراد المجتمع وطوائفه المختلفة، ومؤسساته المتنوعة، بما لهم من كفاية وأعوان وسلطة فيها طرف من هيبة القضاء، وطرف من قوة الشرطة، وقدرتهم على التنفيذ.

* * *

QaradawiBooks.com

٤

سلطة التشريع والعقاب

وتبقى **الوسيلة الرابعة**، وهي: التشريع وسلطة القانون، الذي يلزم ويعاقب من لا يلتزم، عن طريق ولي الأمر. وإلى ذلك أشار القرآن بقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥] فمن لم يصلحه الكتاب والميزان أصلحه الحديد ذو البأس الشديد. وفي الحديث الصحيح: «**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته**»(١).

ولقد قال الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»(٢) فإذا كان القرآن ينمّي حوافز الإيمان وينشئ الضمائر الحية، فإن السلطان يقف بالمرصاد لكل من يتجاوز الحدود.

ولهذا كان لا بد من دخول المحافظة على البيئة، ومعاقبة من يجور عليها، في التشريعات الملزمة للأمة.

وعندنا من عمومات النصوص، ومن المصالح المرسلة، وسد الذرائع، ومن القواعد الفقهية ما يعيننا على إنشاء قانون للبيئة، وفق هذه القواعد الشرعية:

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٢.

(٢) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/٤١٦).

QaradawiBooks.com

(لا ضرر ولا ضرار)، (الضرر يزال)، (والضرر يدفع بقدر الإمكان)، (يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى)، (يرتكب أخف الضررين)، (درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة)، (ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب)، (ما أدى إلى الحرام فهو حرام)، (الضرورات تبيح المحظورات)، (ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها)، (الحاجة تنزل منزلة الضرورة)، (ما بني على باطل فهو باطل)، (الأمور بمقاصدها)، (العادة محكمة)، (ما قارب الشيء يأخذ حكمه)، (النادر لا حكم له)، (للأكثر حكم الكل). إلى آخر تلك القواعد المعروفة التي ألفت فيها كتب.

وعلى الدولة أن تتخذ من الإجراءات الإدارية والاقتصادية، ما يحفظ البيئة، ويرمم ما خرب منها، ويصلح ما فسد، إلى جوار الإجراءات الوقائية، التي تمنع الفساد قبل وقوعه.

بالإضافة إلى عقوبة من يعتدي على أي مكون من مكونات البيئة بأي صورة من الصور: بالتلويث أو بالإسراف في الاستهلاك، أو بالإخلال بالتوازن، أو غير ذلك من أشكال الإفساد في الأرض.

ومن المعروف فقهًا: أن العقوبات نوعان: نصية كالحدود، واجتهادية كالتعزير. وهو عقوبة على كل معصية لا حد فيه ولا كفارة. ولا شك أن منها قضايا العدوان على البيئة.

وعلى أولي الأمر الشرعيين واجبات كثيرة نحو حماية البيئة وتنميتها، وإلزام الأفراد والشركات والمؤسسات بواجبهم نحوها. وإلزامهم بإزالة الأضرار الناشئة عن أعمالهم، وإصلاح المواقع التي تسببوا في تدهورها، ودفع تعويضات عن الأضرار التي يحدثونها في الطبيعة، ولا يمكن إزالتها أو معالجتها.

QaradawiBooks.com

وعلى أولي الأمر كذلك إيقاف المشروعات المضرة بالبيئة، وإن كان فيها بعض النفع؛ لأن العبرة بالأغلب. فمـا كان إثمه أكبر من نفعه فهو محرم. وعليهم عقاب كل من يتعدى أو يقصر في تنفيذ العقود المتعلقة بالبيئة، لأن من أمن العقوبة أساء الأدب.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٥
التعاون مع المؤسسات الإقليمية والعالمية

والوسيلة الخامسة هي: التعاون مع الجماعات والمؤسسات الأهلية والرسمية الإقليمية والدولية للحفاظ على البيئة، ومقاومة كل ما يهددها من الاستنزاف والتلوّث والإفساد، والإخلال بالتوازن الطبيعي والكوني، وهو ما دعا أحد الباحثين أن يؤلف كتابًا جعل عنوانه: «يا سكان الأرض اتحدوا» أي ضد الأخطار الكبرى التي تنذر البشرية بشر مستطير إذا لم يتداركهم الله برحمته، ويسارعوا إلى العمل معًا لسد الخلل، وترميم الخراب، وإصلاح الفساد، ويد الله مع الجماعة.

ولقد خاطب الله الناس جميعًا بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] فعندما يكون العدو واحدًا، يجب أن يتحد الموقف ضده، وشيطاننا اليوم يتمثل في الذين يفسدون البيئة، ويخربونها بقصد أم بغير قصد. فهم أعداء الإنسانية جميعًا، وعلينا أن نجند كل القوى لمقاومتهم، وردّهم إلى رشدهم.

هذه هي الوسائل الأساسية التي يتخذها الإسلام للمحافظة على البيئة وصلاحها، وهو يرحب بكل وسيلة يبتكرها البشر في هذا المجال، إذا لم يكن فيها ما يخالف قيم الإسلام وشرائعه، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

(٦)

رعاية البيئة في واقعنا التاريخي

١ ـ رعاية البيئة من خلال مؤسساتنا الحضارية.

٢ ـ رعاية البيئة من خلال التشريع.

٣ ـ رعاية البيئة من خلال نظام الحسبة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

رعاية البيئة في واقعنا التاريخي

لم تكن التعاليم والأحكام الإسلامية في رعاية البيئة وإصلاحها وحمايتها مجرد أفكار طوباوية، أو مفاهيم فلسفية، أو حبر على ورق كما يقال، بل كانت أوامر إلهية، وتوجيهات ربانية، يجب على المسلمين أن ينفذوها بمقتضى إسلامهم، وبحكم إيمانهم. فليس الإيمان بالتمني ولا بالادعاء، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

ولا غرو أن نجد (رعاية البيئة) أمرًا ملموسًا ومشهودًا في الواقع التاريخي لحضارتنا الإسلامية، وخصوصًا في عصور ازدهارها.

طبقت ذلك الشعوب والجماهير الإسلامية بمقتضى وعيها الديني، وحسها الإيماني، والتزامها الأخلاقي، ويقينها الراسخ بأن سعادتها في الدنيا، وفلاحها في الآخرة، مرهون بامتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، وهو سبحانه قد أمرهم بكل خير، ونهاهم عن كل شر. ومن الخير الذي أمرهم به وحضهم عليه: العناية بالبيئة وإصلاحها وحمايتها من كل فساد أو تلوّث أو إضرار. ومما نهاهم عنه الإفساد في الأرض، والخروج عن حد الاعتدال في التعامل مع عناصرها بالطغيان أو الإخسار في الميزان.

نسخة مجانية

١

رعاية البيئة من خلال المؤسسات الحضارية

كما أن (المؤسسات العامة) في الحضارة الإسلامية، كان لها نصيبها في رعاية البيئة والمحافظة عليها.

ومن هذه المؤسسات التي كان لها أثرها ودورها الذي لا يجحد:

١ ـ مؤسسة الخلافة: أو الإمامة العظمى أو رئاسة الدولة، أو السلطة التنفيذية العليا وأعوانها.

فقد رأينا الخلفاء يعنون بأمر البيئة، بأنفسهم وبولاتهم وأعوانهم، كما رأينا عمر بن الخطاب يحثّ أحد الصحابة على غرس الشجر في أرضه، ويشاركه بيده في الغرس.

ورأيناه يوصي بالرفق بالحيوان، وينكر على من قسا عليه. ويرى أنه ـ وهو بالحجاز ـ مسؤول عن هلاك جدي بشط الفرات بالعراق.

ورأيناه يشجع على إحياء الموات، ومن أُقطِع أرضًا، ولم يعمرها ولم يحيها انتزعها منه وأعطاها لغيره.

ورأينا عمر بن عبد العزيز يفعل مثل ذلك، وينهى الحمَّالين الذين يحملون على الإبل ألا يزيدوا في حمولتها عن مقدار معين.

والأمثلة كثيرة على تدخل الخلفاء والأمراء فيما يتعلق بالبيئة إيجابًا أو سلبًا، أمرًا أو نهيًا.

QaradawiBooks.com

٢ ـ وهناك (مؤسسة القضاء)، فيستطيع القاضي أن يحكم بالتعزير على كل من أساء إلى البيئة، إذا اشتكى بعض الناس إليه احتسابًا، أو رأى أحدهم من يؤذي الناس في طريقهم العام، أو يلوث مياههم، أو رأى من يهمل بهائمه وأنعامه، ولا يطعمها أو يسقيها، قسوة عليها، وقد نقلنا كلام أبي علي الرحال المغربي في ذلك، وهو كلام قوي تؤيده الأدلة الشرعية. ومن حق القضاء أن يصدر أحكامه بالتأديب والعقاب.

٣ ـ وهناك (مؤسسة الحسبة)، ولها دور كبير في الإشراف والإرشاد والرقابة والتأديب، وقد كانت تتدخل في كثير من أمور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، وسنتحدث عنها بتفصيل أكثر.

٤ ـ وهناك مؤسسة الوقف الخيري. وهي مؤسسة انتشرت في العالم الإسلامي منذ عهد النبوة والصحابة، وتقوم على أساس الصدقة الجارية (الدائمة)، بأن يحبّس الإنسان (الأصل المالي) ويسبّل ثمرته، وأن يجعلها موقوفة على الخيرات، وسد الثغرات في حياة النَّاس.

ولقد كان للأوقاف ـ أو الحبوس ـ الإسلامية دور غير منكور في الحضارة الإسلامية، وتناولت أدقّ جوانب الحياة، وسدت ثغرات كثيرة، ولبت حاجات شتى في الحياة، مثل بناء (المارستانات) أي المستشفيات التي تعالج المرضى مجانًا، وتطعمهم مجانًا. ومثل الوقف على المدارس، والاستراحات في طرق الأسفار، و(السبل) التي يشرب منها النَّاس.

بل هي لم تقتصر على حاجات البشر وحدهم، بل شملت حاجات بعض الحيوانات، حتى رأينا من خيار المسلمين من ينشئ وقفًا للكلاب الضالة التي ليس لها مالك.

QaradawiBooks.com

٥ ـ وهناك (مؤسسة الزكاة). وهي الشعيرة التعبدية والفريضة المالية، والدعامة الثالثة من دعائم الإسلام بعد الشهادتين وإقام الصلاة. وقد قرنها الله في القرآن بالصلاة في ثمانية وعشرين موضعًا. وجعلها نظامًا تشرف عليه الدولة تحصيلًا وتوزيعًا، بوساطة جهاز (العاملين عليها) الذين يجبونها من أغنياء كل إقليم ليردوها على فقرائه.

ولقد قامت الزكاة بدورها في معالجة مشكلة الفقراء والمساكين والغارمين وأبناء السبيل من أصحاب الحاجات، وكانت أول نظام للمساعدات الحكومية في التاريخ، بل كانت الدولة الإسلامية أول دولة في العالم تحارب وتجيش الجيوش من أجل حقوق الفقراء في أموال الأغنياء.

ومن المعلوم أن مشكلة الأعداء الثلاثة: الفقر والمرض والجهل، تعد من أعوص المشاكل التي تعترض رعاية البيئة والإحسان بها. وللزكاة دور أساسي في معالجتها.

٦ ـ وهناك (مؤسسة الفتوى والإرشاد الديني)، والذي يقوم به علماء الدين في المساجد والزوايا، في خطبهم ودروسهم ومواعظهم، وفتاواهم لمن يسألهم عن أحكام الشرع في القضايا المختلفة، ومنها ما يتصل بالبيئة.

ومن المؤكد أن الأمة الإسلامية أمة دينية، كما يشهد بذلك من يعايشها ويسبر أغوارها، فهو يستيقن بأن الدين هو الموجه الأول لتفكيرها، والمحرك الأول لمشاعرها، والمحدد الأول لسلوكها. ومن أراد أن يخاطب هذه الأمة بغير لغة الدين، أو يحركها بغير بواعث الدين، فستذهب محاولاته صيحة في واد، ونفخة في رماد، كما يقال.

QaradawiBooks.com

وقد كان الفقه الإسلامي هو مصدر الإفتاء لمن يفتون من العلماء، كما كان مصدر القضاء لقضاة الأمة، وإن اختلفت مذاهبهم. وكذلك كان مرجع الأمراء والمنفذين، الذين كانوا يرجعون عادة إلى الفقهاء. وإن لم يقنن الفقه الإسلامي في صورة مواد قانونية إلَّا في العصر الأخير للعثمانيين، الذين كانوا يحكمون جل العالم الإسلامي لعدة قرون.

وسنلقي ضوءًا كاشفًا على ذلك في الصفحات التالية بتوفيق الله تعالى.

* * *

QaradawiBooks.com

٢

رعاية البيئة من خلال نظام الحسبة

قد يقـول قائل: لا ننكر أن التعاليم الإسـلامية والأحكام الشـرعية المتعلقة بالبيئة ذات قيمة كبيرة مـن الناحية الفكرية، والتصور النظري، ولكن النظر شـيء والتطبيق شـيء آخر، فكم من أفكار مثالية، وأحلام طوباوية، يحلـق في أجوائها بعض البشـر الحالميـن، ولكنها لم تجد طريقها إلى الواقع العملي، مثل جمهورية أفلاطـون، والمدينة الفاضلة للفارابي، وأمثالهما.

وأقول لهؤلاء: إن المزية الواضحة لشريعتنا أنها شريعة واقعية، وأنها تتعامل مع الإنسـان، كما هو، بغرائزه الهابطة، وأشواقه الصاعدة، بقوته وضعفه، واستقامته وانحرافه، ورشده وغيه. ولهذا لم يصعب تطبيقها في واقع الحياة، يوم كان أمر المسـلمين بأيديهم، وكانوا سادة في ديارهم، ولم يتخلوا عن هذه الشريعة يومًا، إلَّا تحت وطأة الاستعمار، الذي أحل قوانينه وأنظمته الوضعية محل الشريعة الإسلامية.

هذا من ناحية. ومن ناحية أخـرى إذا نظرنا إلى الواقع التاريخي في حضارتنا الإسلامية، نرى أن العناية بالبيئة ونظافتها وحمايتها، وأنّ الفكر البيئي والحس البيئي، كل ذلك كان قائمًا وبيّنًا في الحياة الإسلامية.

QaradawiBooks.com

ومن أبرز ما يدل على تلك الظاهرة: (نظام الحسبة) الذي اشتهر بين المسلمين، وبدأ منذ عهد النبوة، ثم في عهد الخلفاء الراشدين، ولا سيما عمر، ثم نما واتسع في العهود التالية، وخصوصًا عهد العباسيين، وهو نظام يجمع بين الإرشاد والرقابة والقضاء والتنفيذ. وقد وزعت اختصاصاته في عصرنا على عدة دوائر أو وزارات ومؤسسات. ولكن (المحتسب) كانت له منزلة خاصة، وهيبة خاصة، وسلطة خاصة، حتى إنه كان يحتسب على المعلمين والقضاة والأئمة والوعاظ والأمراء أنفسهم.

ومن قرأ بعض كتب الحسبة يتبين له هذه الحقيقة جلية كالشمس، كما نرى في: (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) للشيزري، ومثله لابن بسام المحتسب، وفي: (معالم القربة في آداب الحسبة) للقرشي، وفي: (نصاب الاحتساب للسنامي).

إن مؤسسة (الحسبة) (نكاد لا نجد لها نظيرًا في الحضارات الأخرى. فهي تختص في شطر كبير منها بالعمل على التطبيق العملي للفتاوى والأحكام المتعلقة بالحفاظ على البيئة من التلوّث، سواء كان تلوّثًا مباشرًا بمختلف الملوّثات الغازية والسائلة واليابسة، أم كان تلوّثًا غير مباشر بالإخلال بالتوازن الكمي، والكيفي للمكونات البيئية.

وقد سجلت لنا المدونات الكثيرة في الحسبة، كيف كانت هذه المؤسسة تسهر عمليًّا بأجهزتها وأعوانها على المراقبة الدورية الدائبة في مختلف المدن والأرياف الإسلامية، لأحوال المصانع والمتاجر والأسواق وحظائر الحيوانات ومزارع الخضر والفواكه، لتمنع كل ما من شأنه أن يلوث البيئة من أدخنة وعفونات وسموم، ومن إتلاف لأشجار وحيوانات، وذلك للحفاظ عليها من الخلل المضر بالحياة في صوره

QaradawiBooks.com

المختلفة. وحينما ينضم هذا الإجراء العملي التطبيقي، الذي دأبت عليه الحضارة الإسلامية للصيانة من التلوّث، إلى تلك الفتاوى والأحكام النظرية المواكبة للتطور الحضاري في هذا الشأن، فإنه يتبين مدى ما كانت عليه الحضارة الإسلامية، من رفق بالبيئة بالحفاظ عليها من التلوّث، ومدى ما أنجزت في ذلك نظريًّا وعمليًّا.

وإذا نظرنا نظرة مقارنة في هذا الشأن بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، فإننا نجد أن الحضارة الغربية لم تكن تصحبها في نشأتها، ولا في لاحق أطوارها ثقافة توجه إلى صيانة البيئة من التلوّث؛ ولذلك فقد كان التلوّث يصاحبها ويتطور بتطورها، حتى وصل إلى ما وصل إليه من وضع خطير، حينما بلغت هي أوجها من التطور، وحينئذ أصبحت مشكلة تؤرق أهل هذه الحضارة الذين غدوا لا يهتدون إلى حل ناجع لها، لما بلغت من مدى بعيد في التراكم والتفاقم)[(١)].

نماذج من عناية المحتسبين بسلامة البيئة ونظافتها:

لقد ركزت كتب الحسبة كلها على سلامة البيئة ونظافتها، وخصوصًا كل ما يتعلق بالإنسان في غذائه وسقائه وطهارته. وذكرت في ذلك أمورًا في غاية الدقة، تدل على مدى اليقظة والاهتمام بشؤون الإنسان وبيئته، وحمايتهما من كل تلوّث يضر ويؤذي.

وأكتفي بأن أنقل هنا فقرات من كتاب الشيزري: (نهاية الرتبة)؛ لأنه أولها وعمدتها، ومرجع كل من كتب بعده. حتى إنهم نقلوا ألفاظه بعينها؛ لنرى مدى عنايتهم بنظافة البيئة وسلامتها من كل ما يضر الإنسان.

---

(١) انظر: قضايا البيئة من منظور إسلامي للدكتور عبد المجيد النجار صـ ٢٧٦، ٢٧٧.

QaradawiBooks.com

في الحسبة على الخبازين:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في (الحسبة على الخبازين):

ينبغي أن ترفع سقائف حوانيتهم، وتفتح أبوابها، ويجعل في سقوف الأفران منافس واسعة يخرج منها الدخان، لئلا يتضرر بذلك الناس. وإذا فرغ الخباز من إحمائه مسح داخل التنور بخرقة نظيفة، ثم شرع في الخبز.

ويكتب المحتسب في دفتره أسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم، فإن الحاجة تدعوه إلى معرفتهم؛ ويأمرهم بنظافة أوعية الماء وتغطيتها، وغسل المعاجن ونظافتها، وما يغطى به الخبز، وما يحمل عليه.

ولا يعجن العجان بقدميه ولا بركبتيه ولا بمرفقيه، لأن في ذلك مهانة للطعام، وربما قطر في العجين شيء من عرق إبطيه وبدنه، فلا يعجن إلَّا وعليه ملعبة ـ ثوب من غير كم ـ أو بشت مقطوع الأكمام؛ ويكون ملثما أيضًا، لأنه ربما عطس أو تكلم، فقطر شيء من بصاقه أو مخاطه في العجين. ويشد على جبينه عصابة بيضاء، لئلا يعرق فيقطر منه شيء في العجين؛ وإذا عجن في النهار، فليكن عنده إنسان في يده مذبة يطرد عنه الذباب(١).

فانظر ـ أخي القارئ ـ إلى هذه التفصيلات العجيبة التي يرشد إليها المحتسب، وينبه عليها الخبازين، ويراقبهم في تنفيذها، ويؤدبهم إذا أخلوا بها، وله السلطة والقدرة على التنفيذ.

---

(١) نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري صـ ٢٢، تحقيق السيد البار العريني، نشر دار الثقافة، بيروت.

QaradawiBooks.com

في الحسبة على الفرانين:

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الحسبة على الفرانين:

يفرقهم المحتسب على الدروب والمحال وأطراف البلد، لما فيهم من المرافق، وعظم حاجة الناس إليهم. ويأمرهم بإصلاح المداخن، وتنظيف بلاط الفرن في كل ساعة، من اللباب المحترق، والشرر المتطاير، والرماد المتناثر، لئلا يلصق في أسفل الخبز منه شيء. ويجعل الفران بين يديه إجانة[١] نظيفة للماء، فإذا فرغ من الخبز أراق ما بقى فيها، لأنه إذا بقى فيها تغيرت رائحته؛ ثم يغسلها من الغد.

وينبغي أن يكون له مخبزان، أحدهما للخبز والآخر للسمك، ويجعل السمك بمعزل عن الخبز، لئلا يسيل شيء من دهنه على الخبز[٢].

الحسبة على الرواسين وقلائي السمك والطباخين:

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الحسبة على الرواسين) أي بائعي رؤوس المواشي:

يأمرهم بنظافة سمط الروس والأكارع[٣] بالماء الشديد الحرارة، وجودة تنقية الشعر والصوف منها، ثم تغسل بعد ذلك بالماء البارد، غير الذي سمطت فيه. ويجب على الرواس أن يضم إصبعه في الخياشيم، ويغسل داخلها، بعد أن يدق مقدمها، وينزل ما فيه من القذا والوسخ والدود المتولد، إن كان هناك منه شيء[٤].

(١) الإجانة في اللغة: الإناء الذي تغسل فيه الثياب. المعجم الوسيط (أ. ج. ن).

(٢) نهاية الرتبة صـ ٢٤.

(٣) الأكارع جمع الجمع لأكرع وكراع، وهو الجزء المستدق العاري من اللحم من ساق البقر والغنم. لسان العرب مادة (ك. ر. ع).

(٤) نهاية الرتبة صـ ٣٢.

QaradawiBooks.com

وقال في الحسبة على قلائي السمك:

يؤمرون كل يوم بغسل قفافهم وأطباقهم التي يحملون فيها السمك، وينثرون فوقها الملح المسحوق، كل ليلة بعد الغسيل؛ وكذلك يفعلون بموازينهم الخوص، لأنهم إذا غفلوا عن غسلها فاح نتنها وكثر وسخها، فإذا وضع فيها السمك الطري تغير ريحه وفسد طعمه. ويبالغون في غسل السمك بعد شقه وتنظيفه وتنقيته من جلده وفلوسه، ثم ينثرون عليه الملح والدقيق[1]... الخ.

وقال في الحسبة على الطباخين:

يؤمرون بتغطية أوانيهم، وحفظها من الذباب وهوام الأرض، بعد غسلها بالماء الحار والأشنان[2].

الحسبة على السمانين:

وقال في الحسبة على السمانين (أي بائعي السمن):

(ويعتبر المحتسب عليهم المخلل على اختلاف أجناسه ـ إذا طرح عليه الكرج[3] ـ وكلما كان مجسه يابسًا قويًّا أعيد إلى الخل الثقيف[4]، وكلما لَان مجسه رُمي به، فإنه قد فسد. ومتى حمضت عندهم الكوامخ يأمر المحتسب بإراقتها خارج البلد، فإنها لا تصلح بعد حمضها. وكلما

(١) نهاية الرتبة صـ ٣٣.
(٢) المصدر السابق صـ ٣٤.
(٣) الكرج في الفارسية القطعة من البطيخ (Steingass: Pers. Eng. Dict.)، وفي العربية توصف الأشياء التي تفسد وتعلوها خضرة بأنها مكرجة. لسان العرب مادة؛ وربما كان المقصود هنا بالكرج ما فسد من قشر البطيخ المخلل.
(٤) المقصود بذلك الخل الشديد الحموضة. أقرب الموارد.

QaradawiBooks.com

تغير عندهم ـ أو فسد ودود ـ شيء من الجبن المكسود في الخواب والشحوم والأدهان، فلا يجوز لهم بيعه لما فيه من الضرر بالناس؛ وكذلك الكبر[١] إذا دود في خوابيه.

وينبغي أن تكون بضائعهم مصونة في البراني والقطارميز[٢]، لئلا يصل إليها شيء من الذباب وهوام الأرض، أو يقع عليها شيء من التراب والغبار ونحو ذلك؛ وإن وضعوها في قفاف الخوص، فلا بأس بها إذا كانت مغطاة بالميازر[٣]؛ وتكون المذبة في يده، يذب عن البضاعة بها الذباب. ويأمرهم المحتسب بنظافة أثوابهم، ويأمرهم بغسل مغارفهم وآنيتهم وأيديهم، ومسح موازينهم ومكاييلهم على ما ذكرناه. ويتفقد المحتسب أصحاب الحوانيت المنفردة في الحارات والدروب الخارجة عن الأسواق، ويعتبر عليهم بضائعهم وموازينهم في كل أسبوع، على حين غفلة منهم، فإن أكثرهم يدلس بما ذكرناه[٤].

الحسبة على الحمامات:

وقال في (الحسبة على الحمامات وفومتها):

(وينبغي أن يأمرهم المحتسب بغسل الحمامات وكنسها وتنظيفها بالماء الطاهر، غير ماء الغسالة، يفعلون ذلك مرارا في اليوم. ويدلكون البلاط بالأشياء الخشنة، لئلا يتعلق به السدر والخطمي والصابون،

(١) الكبر نبات شوكي. نهاية الأرب للنويري (١٢/١٥٧)، ويعمل منه كامخ بالريف بمصر حتى الوقت الحاضر.

(٢) القطارميز ـ ومفردها قطر ميز ـ وعاء من الفخار قصير العنق واسع الفوهة.

(٣) الميازر ـ ومفرها مئزر ـ رداء قصير يستر الجسم من السرة إلى أسفل، والمقصود بالمئزر هنا الغطاء.

(٤) نهاية الرتبة صـ ٥٩، ٦٠.

QaradawiBooks.com

فتنزلق أرجل الناس عليها. ويغسلون الخزانة من الأوساخ المجتمعة في مجاريها، والعكر الراكد في أسفلها في كل شهر مرة؛ لأنها إن تركت أكثر من ذلك تغير الماء فيها في الطعم والرائحة. وإذا أراد القيم الصعود إلى الخزانة لفتح الماء إلى الأحواض، فينبغي أن يغسل رجليه بالماء ثم يصعد، لئلا يكون قد خاض في الغسالات. ولا يسد الأنابيب بشعر المشاطة، بل يسدها بالليف والخرق الطاهرة، ويشعل فيها البخور في كل يوم مرتين، سيما إذا شرع في غسلها وكنسها. ومتى بردت الحمام، فينبغي أن يبخرها القيم بالخُزَامَى[1]، فإن دخانها يحمي هوائها، ويطيب رائحتها. ولا يحبس ماء الغسالات في مسيل الحمام، لئلا تفوح رائحتها؛ ولا يدع الأساكفة وغيرهم يصبغون الجلود في الحمام، فإن النَّاس يتضررون برائحة الدباغة؛ ولا يجوز أن يدخل المجذوم والأبرص إلى الحمام.

ويلزم المحتسب أن يتفقد الحمام في كل يوم مرارًا، ويعتبر ما ذكرناه[2].

هذا غيض من فيض، مما اهتمت به كتب الحسبة، التي صنعها أصحابها لتكون دليلًا ومرشدًا تفصيليًّا للمحتسبين، وبعض مؤلفيها ـ كابن البسام ـ كان محتسبًا.

* * *

(١) الخزامى ـ ومفرده خزاماه ـ عشبة طويلة العيدان، طيبة الرائحة.
(٢) المصدر السابق صـ ٨٧، ٨٨.

QaradawiBooks.com

٣
عناية الجانب التشريعي بالبيئة

وإذا كان فقهنا الإسلامي يمثل التشريع الحي الذي كان يحكم الأمة خلال عصور الحضارة الإسلامية، في شتى أنحاء العالم الإسلامي، إذ كان هو المرجع الفذ للقضاة والحكام، وقد رأينا الخلفاء الراشدين مثل العمرين ـ ابن الخطاب وابن عبد العزيز ـ ينفذون الأحكام الشرعية ويراقبونها في حياة النَّاس، كما رأينا في مواقفهم الحاسمة من الإحسان والرفق بالحيوان، وكما رأينا كتب الفقه توجب على القضاة أن يتدخلوا لرفع الظلم عن المظلوم، وإن لم يستطع رفع مظلمته إليهم، مثل البهائم.

ورأينا مثل الشيخ أبي علي الرحال المالكي المغربي، يدافع عن الطيور التي يحبسها الناس ويتلهون بها، وقد يغفلون عنها، فتهلك وتضيع. إلى آخر ما عرضناه من روائع فقهنا الواقعي المتجاوب مع أحداث الحياة.

على أننا نستطيع أن نجد (تشريعات مقننة)، في المحافظة على البيئة في العصر الأخير للدولة العثمانية، التي حكمت الوطن الإسلامي لعدة قرون. وهذه التشريعات المقننة في مواد، تتمثل في (مجلة الأحكام العدلية) الشهيرة، التي قنّنت القانون المدني على المذهب الحنفي، وفيه كثير من المواد المتعلقة بحماية البيئة، في مجالات عدة.

QaradawiBooks.com

وأكتفي هنا بمادة أو مادتين من مواد (المجلة) المذكورة.

إحداهما: المادة رقم (١٢٠٠) والتي يقول نصها ـ كما في (درر الحكام شرح مجلة الأحكام):

«يدفع الضرر الفاحش بأي وجه كان. مثلًا لو اتخذ في اتصال دار دكان حداد أو طاحونًا، وكان يحصل من طرق الحديد، أو دوران الطاحون، وَهَنٌ لبناء تلك الدار، أو أحدث فرنًا أو معصرة، بحيث لا يستطيع صاحب الدار السكنى فيها، لتأذيه من الدخان أو الرائحة الكريهة، فهذا كله ضرر فاحش، فتدفع هذه الأضرار بأي وجه كان. وكذا لو كان لرجل عرصة متصلة بدار آخر، وشق فيها قناة، وأجرى فيها الماء منها لطاحونه، فحصل وهن لحائط الدار، أو اتخذ أحد في أساس جدار جاره مزبلة، وألقى القمامة عليها فأضر بالجدار فلصاحب الجدار طلب دفع الضرر. وكذلك لو أحدث بيدرًا في قرب دار آخر، وتأذى صاحب الدار من غبار البيدر، بحيث أصبح لا يستطيع السكنى في الدار، فيدفع ضرره. كما أنه لو أحدث أحد بناء مرتفعا في قرب بيدر آخر، وسد مهب الريح، فيزال لأنه ضرر فاحش. كذلك لو أحدث أحد مطبخًا في سوق البزازين، وكان دخان المطبخ يصيب أقمشة جاره ويضرها فيدفع الضرر. وكذلك لو انشق بالوع دار أحد وجرى إلى دار جاره، وكان في ذلك ضرر فاحش، فيجب تعمير البالوع المذكور وإصلاحه بناء على دعوى الجار».

هذه مادة واضحة الدلالة على الاهتمام بالبيئة، وقد ذكر شارحها السيد على حيدر عشرين مسألة مهمة متفرعة عليها، مسندة إلى مصادرها من الفقه الحنفي نختار عددًا منها.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١ ـ مثلا لو اتخذ أحد دكان حداد أو نجار أو طاحونًا في جوار دار آخر، بعد إنشاء تلك الدار فحصل من طرق الحديد، أو من شغل النجارة، أو من دوران الطاحون وهن لبناء تلك الدار، أو أحدث بجوار الدار المذكورة فرنًا دائميًّا كفرن السوق، أو أحدث معصرة أو مصبنة بحيث لا يستطيع صاحب الدار السكنى فيها، لتأذيه من الدخان ومن الرائحة الكريهة، أو اتخذ أحد دكان حلاج متصلة بدار آخر، وكان صاحب الدار لا يستطيع السكنى فيها من صوت الحلج، فكل ذلك ضرر فاحش يدفع ويزال بأي وجه كان؛ لأن بعض هذه الأضرار يوجب وهن البناء، وبعضها يوجب منع الحوائج الأصلية من السكنى في الدار. (الطحطاوي في مسائل شتى من القضاء، والأنقروي في الحيطان).

وقد أشير شرحًا بأن المقصود من الفرن هو الفرن الدائمي أو فرن السوق، أما الفرن الذي يتخذ خصيصًا للدار فهو جائز. (رد المحتار على البزازية).

٢ ـ كذلك لو نصب أحد منوالًا لاستخراج الحرير، وكان في ذلك ضرر للجيران من الدخان، ومن رائحة الديدان، يمنع. (علي أفندي عن القنية).

٣ ـ إذا اتخذ أحد داره حمامًا، وحصل ضرر فاحش للجيران من دخانه، يمنع ما لم يكن دخان الحمام بقدر دخان الجيران. (الهندية).

٤ ـ إذا بنى أحد مطبخًا قرب دار أحد القديمة، وكان دخان المطبخ يدخل إلى دار صاحب الدار، فيدفع إذا كان الضرر فاحشًا. (أبو السعود المصري).

QaradawiBooks.com

٥ ـ إذا أنشأ أحد مسلخًا في قرب أحد المساجد، وتأذى المصلون من رائحة الحيوانات المذبوحة، ومن أرواثها الكريهة فإذا أُعْلِمَ القاضي بذلك يمنعه. (علي أفندي).

٦ ـ إذا استمر أحد في إجراء الدباغة في داره، وتأذى الجيران يمنع. أما إذا أجرى هذه الصنعة نادرًا، فلا يمنع. (الدر المختار).

٧ ـ إذا زرع أحد رزًّا في مزرعته، وتجاوزت المياه إلى مزرعة الجار فأفسدتها، يمنع، وكذلك لو اتخذ أحد داره الواقعة في طريق غير نافذ زريبة للأغنام، وتأذى الجيران من رائحة الروث، ومن عدم الأمان من الرعاة، يمنع. (الخانية).

٨ ـ إذا كان الطابق السفلي من دار مملوكًا لأحد، والعلوي منها مملوكا لآخر، فأسكن صاحب العلوي حيوانات في داره، فسالت أبوالها إلى الطابق السفلي، وكان في ذلك ضرر فاحش على صاحب السفلي يمنع. (على أفندي).

٩ ـ إذا اتخذ أحد في عرصته المملوكة مزبلة في أساس جدار جاره، وألقى القمامة عليها أو كوم التراب فيها، وتضرر الحائط فلصاحب الحائط أن يطلب دفع ضرره. (على أفندي).

١٠ ـ إذا اتخذ أحد أصحاب الطريق الغير النافذ مزبلة في أساس حائط جاره وكان في ذلك ضرر فاحش يمنع. (التنقيح).

١١ ـ وكذلك لو أحدث أحد بيدرًا قرب دار أحد، وكان غبار البيدر يؤذي صاحب الدار مما يجعله بدرجة لا يستطيع السكنى في الدار، فيدفع ضرره. (علي أفندي).

QaradawiBooks.com

١٢ ـ إذا أحدث أحد مطبخًا في سـوق البزازين، وكان دخان المطبخ يصيب أقمشة جاره يدفع الضرر. (علي أفندي).

١٣ ـ وكذلك لو انشق بالوع دار أحد، وسـال في دار الجار، فيجب تعمير وإصلاح البالوع، بناء على دعوى الجار لكونه ضررًا فاحشًا.

١٤ ـ إذا خرب البالوع الذي أحدثه عدة أشخاص تحت الطريق العام، واندفعت منـه الأقذار إلى الطريـق، وتأذى المارة، فللمـارة أن يكلفوا أصحاب البالوع بإصلاحه، أو أن يمتنعوا من إسـالة أوسـاخهم. (علي أفندي)[1].

هذه المسـائل كلها تدلّنا بجلاء على أن القانون ـ المستمد من الفقه الإسـلامي ـ قد عني بمسـألة البيئة، وحمايتها، ومنع كل من يلوثها أو يتعدى عليها. وهي مبنية علـى قاعدة: (لا ضرر ولا ضرار)، وأن الضرر إذا كان فاحشا يزال بكل وجه، وإذا كان يسيرًا يتسامح فيه.

والمادة الثانية التي نذكرها هنا هي المادة (١٢١٢)، وهي تتعلق بالبيئة كذلك. تقول المادة: «إذا أنشـأ أحد كنيفًا أو بالوعًـا قرب بئر ماء أحد، وأفسـد ماء تلك البئر، فيدفع الضرر، فإذا كان غيـر ممكن دفع الضرر بوجه ما، فيردم الكنيف أو البالوعة[2].

* * *

(١) انظر: درر الحكام شرح مجلة الأحكام لعلي حيدر (٢١٤/٣ ـ ٢١٧)، تعريب المحامي فهمي الحسيني، نشر دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٢٨/٣).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

خاتمة

صلاح البيئة بصلاح الإنسان

لقد بينت لنا هذه الدراسة: أن الله جلا وعلا قد خلق البيئة بكل مكوناتها وعناصرها، صالحة طاهرة، متوازنة متكاملة، وإنما دخل عليها النقص والفساد والاختلال بصنع الإنسان، وخصوصًا في عصرنا الحديث، وبالأخص في العقود الأخيرة، الذي تفاقمت فيه مشكلات البيئة، وتعاظمت أخطارها.

فقد جنى الإنسان ـ بغروره وحماقته وظلمه وجهله ـ على البيئة، فلوثها بعد طهارتها، وأفسدها بعد إصلاحها، وأصابها بالاضطراب والخلل في توازنها، فعاقبه القدر الأعلى على إفساده في الأرض، بما أصبح يعاني من آثاره، ويشكو منه مر الشكوى، وما ظلم الله الإنسان، ولكن الإنسان هو الذي ظلم نفسه ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠].

لقد علم الله الإنسان ما لم يكن يعلم، وسخّر له من قوى الطبيعة ما لم يكن يحلم به، وهيأ له من أسباب التفوق التكنولوجي والإلكتروني والبيولوجي ما فاق به كل خيال، ولكن الإنسان لم يقابل هذه النعم

QaradawiBooks.com

بالشكر اللائق بها، ولم يستخدمها فيما يحبه الله ويرضاه، بل فيما يكرهه ويسخطه. فبدل نعمة الله كفرًا، وانقلبت النعم عليه نقمًا، وأمسى العلم وتطبيقاته العملية أداة إهلاك وتدمير، لا أداة عمارة وتثمير.

وسر ذلك: أن العلم في حضارة الغرب التي تسود العالم اليوم، لم ينشأ في حضانة الإيمان، بل نشأ ونما بمعزل عن الإيمان، بل اعتبر نفسه بديلًا للإيمان، وخصمًا للدين. فقد قام صراع طويل مرير في الغرب بين الدين والعلم، انتهى بانتصار العلم ومكتشفاته على الدين ومعتقداته هناك. أعني: دين الكنيسة الغربية، التي تبنت مفاهيم وأفكارًا رجعية خرافية، وأضفت عليها قداسة دينية، وقاتلت دونها ـ وهي ليست من دين الله الحق في شيء ـ فحق لها أن تنهزم، وأن ينتصر العلم عليها.

ولا علاج لمشكلات البيئة وأخطارها على البشرية، إلَّا بعلاج الإنسان نفسه، فهو الذي أفسد البيئة، وعليه أن يصلحها.

والإنسان لا يعالج من خارجه، بل من داخله، من نفسه التي بين جنبيه، فهي أصل الداء، وإصلاحها هو السبيل الفذ للدواء. والقرآن الكريم يقرر هذه القاعدة أو هذه السنة الاجتماعية، فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١].

لا بد من التشريعات والعقوبات الزاجرة لمفسدي البيئة، ولكن هذا وحده لا يحل المشكلة من جذورها ما لم تصلح ما بنفس الإنسان.

وإنما يصلح ما بنفس الإنسان حقًّا بشيء واحد لا شريك له، ولا منافس له، وهو (الإيمان) الحق بالله تعالى وبرسالاته، وبالدار الآخرة. فهذا الإيمان وحده هو القادر على تغيير الإنسان من داخله تغييرًا جذريا، فيعرف نفسه، ويعرف ربه، ويعرف غايته، ويعرف طريقته، ويهتدي للتي هي أقوم ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

QaradawiBooks.com

الإيمان هو الذي يمنح الإنسان الوازع الذاتي، والضمير الحي، الذي يجعل من ذاته رقيبا على ذاته، ويجعله يخشى الله قبل أن يخشى الناس، ويعمل ما يرضي الله تعالى، قبل أن يرضي الناس.

الإيمان هو الذي يصنع (الأخلاق) التي ترقى بالإنسان، وتوجهه إلى الخير، وتبعده عن الشر، وبها تتزكى نفس الإنسان وتتطهر ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

إن مشكلة البيئة في أساسها وجذورها مشكلة أخلاقية، وعلاجها الحقيقي إنما يكمن في الرقي بأخلاق الناس، والعودة إلى إحياء أخلاق العدل والإحسان والرحمة والرفق والاعتدال، وغيرها من الفضائل التي فقدها الإنسان المعاصر الذي غره ما وصل إليه من قوة وتقدم، فقال ما قال قارون ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] ولم يقل ما قاله سليمان حين أحضر له عرش بلقيس: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

والإسلام ـ بنقاء عقيدته، وكمال شريعته، وتوازن أخلاقه ـ هو الجدير أن يقدم للإنسانية في مشكلات البيئة وصفة الدواء، وهداية الشفاء، بما احتوى من توجيهات وتشريعات وأخلاقيات، ربطها كلها بالإيمان بالله تعالى.

فلعلّ البشرية تستفيد في سلوكها البيئي من هذه الهداية الإسلامية، فهي هداية للبشرية جمعاء: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

غير مخصصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

موسوعة الأعمال الكاملة

لسماحة الإمام

يوسف القرضاوي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾	١١، ١٢	٧١
﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾	٢٢	١٩٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾	٢٦	٥٧
﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	٢٩	٣٧، ٢٢٣، ٢٢٦
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	٢٣، ٢٤، ٦٧، ١٤٧، ١٧٨
﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾	٣١ ـ ٣٣	٢٣
﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٤٤	٥٣
﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾	٦٠	٧٠، ٨٨، ١٨٨
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	٢٦٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾	١٦٨	١٧٧، ٢٢٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾	١٧٢	٢٢٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾	١٧٣	١٢٠
﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾	١٧٧	٢٨
﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾	١٧٨	١٣٠
﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	١٨٣	١٣٠
﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾	١٨٥	١١٩
﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	١٩٥	٤٢، ١٤٩، ٢٢٥
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾	٢٠٤ ـ ٢٠٦	٧١، ٨٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	٨٠
﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْ﴾	٢٣١	٤٢
﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾	٢٣٣	٤٢
﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾	٢٥١	١٧١
﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾	٢٨٢	٤٢
سورة آل عمران		
﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٣٢	٥٦
﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾	١١٠	٢٧٤
﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ﴾	١١٧	١٩١، ٢٥٧
﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ﴾	١٥٩	١٣١

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	١٨٢	١٧١، ٢٥١، ٢٦٥
﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ﴾	١٩٠	٣٣
﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٩١	٩٧، ١٦٨
سورة النساء		
﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾	٥	٥٤
﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾	٢٩	٤٢، ٥١
﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾	٣٦	١٣٠، ١٣٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾	٥٨	٢٣٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾	٥٩	٥٦
﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ﴾	١١٩	٢٥٣، ٢٥٤
﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾	١٣٥	٢٦٣
سورة المائدة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾	٦	٧٩
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ﴾	٨	٢٦٣
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾	١٥، ١٦	٣٠٣
﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٣٢	٥١
﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٦٤	٧١، ٨٩
﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾	٩٦	١٥٣

QaradawiBooks.com

الآيــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنعام		
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾	٣٨	٣١، ٩٨
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾	٥٤	١٣٠
﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٩٩	٦١، ٦٣، ١٠٥، ١٥٣
﴿تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾	١٢١	٢٣٧
﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾	١٣٨	٩٤، ٢٥٣
﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	١٣٨ ـ ١٤٠	٢٥٣
﴿قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾	١٤٠	٢٥٤
﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾	١٤١	٦١
﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾	١٤٣	١٠٠
﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾	١٤٤	١٠٠
سورة الأعراف		
﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾	١٠	١٢
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾	٢٣	٢٥٢
﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾	٢٤	١٤
﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾	٣١ ـ ٣٢	٣٧، ١٢٠، ٢٢٦
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾	٣٢	٢٢٦

QaradawiBooks.com

الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾	٥٥ ـ ٥٨	٤
﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾	٥٦	٣٠، ٥٠، ٥٥، ٧١، ٨٨، ٢٣٩
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ﴾	٥٧	١٩٠
﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾	٥٨	١٥١
﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾	٧٣	٦٩
﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٧٤	٦٨، ٨٨
﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾	٨١	٢٢٧
﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٨٥	٨٨
﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾	٨٦	٦٩
﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ﴾	٩٦	٤، ٢٥، ١٧٨
﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾	١٢٨	٥٠
﴿وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ﴾	١٣٧	٢٥٨
﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾	١٨٣	٦٨
﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾	١٨٥	٣٣
سورة الأنفال		
﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾	١١	٢٢٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾	٢٧	٢٣٦

QaradawiBooks.com

الآيــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾	٣٥	٢١٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾	٥٨	٢٣٦
سورة التوبة		
﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	٧١	٢٣٤، ٢٧٤
﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾	١٠٨	٨٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	١١٩	٤٧
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾	١٢٨	١٣١
سورة يونس		
﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾	٥	١٣
﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾	٢٢	١٩١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾	٢٣	٢٥٧
﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ﴾	٢٤	١٧١، ٢٢٠
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾	٥٩	٩٤
﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾	٨١	٧١
﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾	١٠١	٣٤
سورة هود		
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾	٤٠	١٠٠
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾	٦١	٢٥، ٦٧، ٦٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾	٦٤	٥٠
﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾	٨٣	٧٢
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾	٨٤، ٨٥	٦٩، ٧٠
﴿وَيَـٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾	٨٩	٦٩
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾	١١٧	٢٥٧
سورة يوسف		
﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾	٥٥	١٩٨
سورة الرعد		
﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾	٤	٦١
﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾	٨	١٦٨، ٢٦٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	١١	٢٥٢، ٢٦٩، ٣٠٢
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾	١٥	٢٢
﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾	١٧	٣٨
سورة إبراهيم		
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ﴾	٧	٣٦، ١١٤، ٢٣٤، ٢٦٤
﴿تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾	٢٨	٢٦٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾	٣٢ ـ ٣٤	١٣، ٣٤، ٩٠، ٩٢، ١٠٧، ١٧٥، ٢٢١
﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾	٤٣	١٩٠
﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾	١١٩	٤٣
﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾	١٤٥	٤٣
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾	١٧٣	٢
سورة الحجر		
﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾	١٦	٣٩
﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾	١٩ ـ ٢١	١٢، ١٤، ١٥، ١٦٩، ٢٦٢
﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾	٢٢	١٩١
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾	٢٩	١٧٨
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	٩٢، ٩٣	٢٣٣
سورة النحل		
﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	٣ ـ ٨	٢٢، ٣٥، ٣٨، ٩٠
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾	١٠ ـ ١١	٣٥، ٦٢، ٩١، ٣٥
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ﴾	١٢	٩٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾	١٤	٣٥، ٣٨، ٩١، ١٥٣
﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	١٨	٣٥، ١٧٥
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾	٤٨، ٤٩	٢٢
﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾	٦١	٢٥١
﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ﴾	٦٦	٩٠
﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۗ﴾	٦٧	٩١
﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾	٦٨ ـ ٦٩	٩١
﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾	٨٠	٩٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾	٩٠	٤٧، ٤٨، ٤٩، ٢٢٥، ٢٥٦
﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾	٩٧	٢٥
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾	١١٢	٢٦٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾	١٢٨	٢٧، ١٤٩
سورة الإسراء		
﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾	١١	١٧٥
﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾	٢٦، ٢٧	٢٢٧
﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾	٢٩	٢٢٨
﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾	٤٤	٢٣، ٣١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾	٧٠	٢٣
﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾	١١٠	٢١٢
سورة الكهف		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	٣٠	٢٨٣
﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾	٤٢، ٤٣	٢٣٤
﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾	٥٩	٢٥٧
﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ﴾	٩٦ ـ ٩٧	٩٢
سورة طه		
﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	٥٠ ـ ٥٥	١٠٥، ١٥٠
﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾	١١٧ ـ ١١٩	١٢
سورة الأنبياء		
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾	٣٠، ٣١	١٤
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾	٣٠	١٣، ١٠٧، ١٥١، ٢٢٣
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ﴾	١٠٥	١٦٦
سورة الحج		
﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾	٥	٣٩، ٦٣، ٧٤
﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	١٠	٣٠١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١٨	٣١، ٣٧
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ﴾	٤٠	١٧١
سورة المؤمنون		
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾	٨	٢٣٦
﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١٨	١٠٨، ١٦٩، ٢٦٢
﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾	٢٧	١٠٠
﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾	٧١	٢٦١
سورة النور		
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾	٤٥	١٥١
﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	٥٨	١٤٠
سورة الفرقان		
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾	٢	١٦٨
﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾	٤٣، ٤٤	٢٦٠
﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾	٤٨	١٧٧
﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۞ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾	٤٨، ٤٩	١٣، ٢٢٣
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾	٥٣	١٦
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾	٦٧	٢٧٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة الكترونية

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشعراء		
﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾	١٥٠ ـ ١٥٢	٦٩
سورة النمل		
﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾	٤٠	٢٧٠، ٣٠٣
﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾	٥٢	٢٥٧
﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾	٦٠	٣٩، ٦٢
﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾	٨٨	٣٩، ١٧٧
سورة القصص		
﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾	٤	٢٥٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾	٣٨	٢٥٨
﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾	٥٠	٢٦١
﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾	٧٦، ٧٧	٧١، ٢٣٥
﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾	٧٨	٣٠٣
﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٨١	٢٣٥
﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٨٣	٥٠
سورة العنكبوت		
﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾	٣٠	٧٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الروم		
﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	٤١	٤، ٢٣٢، ٢٤٩، ٢٥١
سورة لقمان		
﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	٢٥٧
﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾	١٩	٢١٣
﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٢٠	٣٤، ٩٠، ٢٢٦
سورة السجدة		
﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾	٧	٣٩، ١٦٨، ١٧٧
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾	٢٧	٦٢
سورة الأحزاب		
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾	٣٦	٥٧
﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾	٧٢	٢٣، ١٦٢، ١٧٥، ١٧٨، ٢٣٥
سورة سبأ		
﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾	١٢	٩٢
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾	١٤	١٩٨
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾	١٥ - ١٧	١٠٦، ٢٣٥، ٢٦٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾	١٩	١٠٦
﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٢٠	٢٥٤
﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾	٤٦	١٢٧
سورة فاطر		
﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾	٦	٢٧٩
﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾	٤٥	٢٥١
سورة يس		
﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا﴾	٣٣ ـ ٣٥	٣٦، ٧٣، ٩١، ١٠٥
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾	٣٦	٣٦، ٩١، ١٠٥
﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾	٣٨	١٦٩
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾	٧١ ـ ٧٣	٣٦، ١٣٣
سورة الصافات		
﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾	٦	٣٩
سورة ص		
﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾	٢٦	٢٤، ٢٦١
﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾	٧١، ٧٢	٢٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزمر		
﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾	١٠	٥٠
﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ ﴾	٧٤	١٩٨
سورة غافر		
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾	٧٩ ـ ٨١	١٣٣
سورة فصلت		
﴿ وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾	١٠	١٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	٣٩	٧٣
سورة الشورى		
﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾	٣٠	٢٥١
سورة الزخرف		
﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	٢٨	٢٥١
سورة الدخان		
﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾	١٠ ـ ١٦	١٩٥
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾	٣١	٢٢٧، ٢٥٨
سورة الجاثية		
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾	١٢، ١٣	١٦
﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾	١٣	٣٧، ٩٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة محمد		
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾	١٢	٢٦٠
سورة الحجرات		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾	٢ ـ ٤	٢١٢
سورة ق		
﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾	٧ ـ ١١	١٥، ٣٩، ٦٣
﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾	١١	٧٣
سورة الذاريات		
﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۝ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾	٤١، ٤٢	١٩١
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢٤، ٦٧
سورة النجم		
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	٤	٩٨
﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾	٤٥	١٠٠
سورة القمر		
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	١٦٨
سورة الرحمن		
﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾	٥ ـ ٩	٤، ١٦٨، ٢٣٩، ٢٦٢
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾	٦٠	١٥١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحديد		
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٤	٢٣٣
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾	٢٥	٧٥، ٩٢، ٢٦٣، ٢٧٦
سورة الحشر		
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	١	٢٣
﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾	٥	١٦٥
﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ﴾	١٠	٢٠٢
سورة الممتحنة		
﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ ﴾	٨	١٣١
سورة التغابن		
﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾	١	٢٣، ٣٧
﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾	٣	١٧٨
﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾	١١	٣٠٢
سورة الملك		
﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾	٣	١٦٨، ١٧٧
﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾	٥	٣٩
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾	١٥	١٩٨

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة نوح		
﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾	١٥ ـ ٢٠	١٤
سورة الجن		
﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾	١٦	١٧٨
سورة المدثر		
﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾	٤	٨٠
سورة النبأ		
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾	٦	١٩٨
سورة النازعات		
﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	٢٣، ٢٤	٢٥٨
﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾	٣٠ ـ ٣٣	١٤، ١٠٧، ١٩٨
﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾	٣٣	١٦
سورة عبس		
﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾	٢٤ ـ ٣٢	١٦، ٦٢، ٧٣، ١٠٤
سورة الانفطار		
﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾	٧، ٨	١٧٨
سورة الأعلى		
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾	١ ـ ٣	٣٣، ٢١١

QaradawiBooks.com

الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفجر		
﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝﴾	١١ ـ ١٤	٢٢٠
سورة الشمس		
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝﴾	٩، ١٠	٣٠٣
سورة الضحى		
﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝﴾	٩	١٢٩
سورة التين		
﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝﴾	٤ ـ ٦	١٧٧، ٢٥٠
سورة الزلزلة		
﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝﴾	٧ ـ ٨	٤٧
سورة التكاثر		
﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝﴾	٨	١١٥، ٢٣٣
سورة الماعون		
﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝﴾	١ ـ ٧	٢٨، ١٢٩

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

❃ ❃ ❃

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها؟!	١٣٤
أمرنا رسول الله ﷺ: أن نتخذ المساجد في ديارنا، وأمرنا أن ننظفها	٨٦
اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة	١٣٨
اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد ـ موارد الماء ـ	١٠٩
الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك	٢٧، ١٣٠
إذا اؤتمن خان	٢٣٦
إذا ذبح أحدكم فليجهز	١٣٦
إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه	١٢١
إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة	٢٣٦
إذا قتلتم فأحسنوا القتلة	١٠٣
ارجع فقد بايعناك	١٢١
أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له	١٥٥
افعل كذا، افعل كذا، وأَمِرَّ الأذى عن الطريق	٨٢

نسخة مجانية

الحديث	رقم الصفحة
اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع	١١٨
اللهمَّ بارك لأمتي في بكورها	١١٦
إن الله ﷻ قِبَل وجه أحدكم إذا صلّى فلا يبصق بين يديه	٨٦
إن الله تعالى ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها	١٥٥
إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، طيّب يحب الطِّيب، نظيفٌ يحب النظافة	٨١
إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله	١٣١
إن الله كتب الإحسان على كل شيء	٢٧، ١٠٣، ١٣٠، ١٤٩، ٢٢٥
إن الله لم ينزل داء إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله	١٢٤
إن الله يبغض كل جَعْظَري جَوَّاظ، صخاب في الأسواق	٢١٤
إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه	٢٢٤
إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته	١١٩
إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن	٢٢٤
إن رحمتها رحمك الله	١٣٤
إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا	١٣٥، ١٦٠
أن رسول الله ﷺ لعن من يسم في الوجه	١٤٠
إن الرفق لا يكون في شيء إلَّا زانه، ولا ينزع من شيء إلَّا شانه	١٣١
إن عمارا مُلِئَ إيمانًا من قرنه إلى قدمه	١٢٥
إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة	٦٦
إن لبدنك عليك حقًّا	١١٧
إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المؤمن	١٤٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أن النبي ﷺ كان يصغي للهرة الإناء، فتشرب، ثم يتوضأ بفضلها	١٣٩
أن النبي ﷺ نهى أن تصبر البهائم	١٣٦
أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له، ولكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر	١١٨
أنه ﷺ كان يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع	١٥٦
إنك إن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس	٥٣
إنك رجل مفؤود (أي مصاب في فؤادك، يعني صدرك)	١٢٢
إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق أو مكارم الأخلاق	٢٦
إنما ظننت ظنًّا، فلا تؤاخذوني بالظن، أنتم أعلم بأمر دنياكم	١٤٩
إنما يرحم الله من عباده الرحماء	١٤٥
إنه سيكون قوم من أمتي يعتدون في الطهور والدعاء	١١١
إنها ليست بنجس؛ إنها من الطوافين عليكم والطوافات	١٣٩، ١٤٠
أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم	١١٥
إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله إنما سخرها لكم	١٤١
إياك والحلوب	٩٦
أيحب أحدكم أن يستقبله رجل فيبصق في وجهه؟	٨٦
أيكما أطب؟ (أي: أحذق وأمهر؟)	١٢٣
الإيمان بضع وستون ـ أو سبعون ـ شعبة	٨١
ب	
بينا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرًا فشرب منها	١٣٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
بينما رجل يسوق بقرة، إذ ركبها فضربها	١٤١
بينما رجل يمشي بطريق وجد غُصْنَ شوك فأخَّره، فشكر الله له فغفر له	٨٥
بينما كلب يطيف بركية ـ بئر فيها ماء ـ كاد يقتله العطش	١٣٨
ت	
تبسمك في وجه أخيك صدقة	٨٣
ث	
ثلاث لا يمنعن: الماء والكلأ والنار	١٥٤
ح	
حق على كل مسلم في كل سبعة أيام يغسل فيه رأسه وجسده	٨٠
خ	
خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة	١٠٢
خُلِقَ كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مَفْصل، فمن كَبَّر الله	٨٤
د	
دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها	١٣٧، ١٥٨
دنت مني النار حتى قلت: أي رب وأنا معهم	١٣٨
ر	
الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء	١٣٢
رب صائم ليس له من صيامه إلَّا الجوع	٢٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
س	
الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله	١٣٢
سلوا الله العفو والعافية والمعافاة، فما أوتي أحد بعد يقين خيرًا من معافاة	١١٦
سلوا الله اليقين والمعافاة، فما أوتي أحد بعد اليقين خيرا من العافية	١١٥
السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب	٨٠
ط	
الطهور شطر الإيمان	٨٠
ع	
عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعًا	١٠٢، ١٣٧، ١٥٨
عرضت عليَّ أعمال أمتي حسنُها وسيئُها	٨٢
على كل مِيسَم من الإنسان صلاة كل يوم	٨٢
غ	
غسل الجمعة واجب على كل محتلم	٨٠
ف	
فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة، فعليكم بالسكينة	٢١٣
في الإنسان ستون وثلاثمائة مَفْصِل	٨٣
في كل ذي كبد رطبة أجر	١٤٦
ق	
قرصت نملة نبيًا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل، فأحرقت	١٥٩

غير مرخص للطباعة

نسخة مجانية

الحديث	رقم الصفحة
ك	
كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته	٥٢، ١٤٢، ٢٣٣، ٢٧٦
كلوا واشربوا، وتصدقوا، والبسوا، في غير إسراف ولا مخيلة	٢٢٧
ل	
لا إيمان لمن لا أمانة له	٢٣٦
لا تديموا النظر إلى المجذومين	١٢١
لا تسبّوا الريح	١٩٢
لا تسرف. فقال: أو في الماء إسراف؟! قال: نعم، وإن كنت على نهر جار	١١٠، ٢٢٨
لا تصحبنا ناقة عليها لعنة الله	١٠٢
لا تغضب	١٥٩
لا تنزع الرحمة إلَّا من شقي	١٣٢
لا عدوى	١٢١
لا يبولن أحدكم في الماء الدائم، الذي لا يجري، ثم يغتسل منه	١٠٩
لا يبولن أحدكم في مستحمه	١٠٩
لا يقبل الله صلاة بغير طهور	٧٩
لا يكون اللعانون شفعاء يوم القيامة	١٠٢
لا يوردن مُمْرض على مُصِح	٩٥، ١٢١
لعن الله الذي وسمه	١٤٠

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لعن الله من فعل هذا	١٤٠
لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق	٨٥
لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء برئ بإذن الله تعالى	١٢٤
لن تؤمنوا حتى تراحموا	١٣٣
لولا أن الكلاب أمة من الأمم، لأمرت بقتلها، فاقتلوا منها الأسود البهيم	٩٧
ليس من البر الصيام في السفر	١١٩
ليس من نَفْس ابن آدم إلَّا عليها صدقة	٨٢
ليليني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم	٢١٤
م	
ما أنزل الله داء إلَّا أنزل له شفاء	١٢٤
ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي (أي إلى الحج)	١١٨
ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه	١٢٠
ما من مسلم يغرس غرسًا، إلَّا كان ما أكل منه له صدقة	٦٤
ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا	٥، ٦٤
ما من مسلم يقتل عصفورًا فما فوقها، بغير حقها	٩٤، ١٣٤، ١٦١
ما هذا السرف؟ فقال: أو في الوضوء سرف؟	١٥٦
مانع الزكاة يوم القيامة في النار	١٧
مثل القائم على حدود الله والواقع فيها	٤٥
المسلمون شركاء في ثلاثة: في الكلأ والماء والنار	١٥٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من أحيا أرضًا ميتة فهي له	٥، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٨
من أصبح معافى في جسده، آمنا في سربه، عنده قوت يومه	١١٥
من أماط الأذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة	٨٤
من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم	٨١
من تطبب ولم يُعْلَم منه طب فهو ضامن	١٢٣
من حرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلَّا رب النار	١٣٥
من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟	١٣٧
من رفع حجرًا من الطريق كتبت له حسنة، ومن كانت له حسنة دخل الجنة	٨٤
من فجَّع هذه بولديها؟ ردوا ولديها إليها	١٣٥
من قتل عصفورا عبثًا عج إلى الله يوم القيامة	٩٤، ١٦١، ٢٣١
من قطع سِدْرة صوب الله رأسه في النار	٥، ١٠٦، ١٦١، ٢٣١
من كان له شعر فليكرمه	٨١
من لا يرحم الناس لا يرحمه الله	١٣٢
من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه	٢٩
من نصب شجرة، فصبر على حفظها، والقيام عليها حتى تثمر	٦٤
ن	
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ	١١٥
نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوَسْم في الوجه	١٤٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
هـ	
هذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم	١٥٦
هذه طابة، وهذا أحد، جبل يحبنا ونحبه	٣١
هلا استمتعتم بإهابها؟ (جلدها)، قالوا: إنها ميتة!، قال: إنما حرم أكلها	٩٦، ١٦٤، ٢٣٠
هو الطهور ماؤه الحل ميتته	١١١
و	
والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا...	١٣٣
والفرع حق وأن تتركوه حتى يكون بكرًا شغزبًا ابن مخاض	١٣٦
وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني	١٢٥
وفي بضع أحدكم... كان له أجر	٣٠
ي	
يا أبا عمير ما فعل النغير	١٤٤
يا أيها النَّاس، أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا	٢١٣
يا عمار، ألا تحمل ما يحمل أصحابك؟	١٢٥
يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام	١١٧

❋ ❋ ❋

غير مرخص للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• **مقدمة** ٧

• **تمهيد: البيئة ومكوناتها** ١١

ما المراد بالبيئة؟ ١١

(١) التأصيل الشرعي لرعاية البيئة ١٩

❖ **التأصيل الشرعي لرعاية البيئة** ٢١

❖ **١ ـ علم أصول الدين ورعاية البيئة** ٢٢

دور الإنسان في البيئة ٢٤

❖ **٢ ـ علم السلوك ورعاية البيئة** ٢٦

الدين المعاملة ٢٧

الود والحب للبيئة ٣١

علاقة المسلم بالكون من حوله ٣٢

نسخة مجانية

الكون آية ٣٢
الكون نعمة ٣٣
الاستمتاع بالجمال في الكون ٣٧
❖ **٣ ـ علم الفقه ورعاية البيئة** ٤٠
❖ **٤ ـ أصول الفقه ورعاية البيئة** ٤٦
حفظ البيئة من (المحافظة على الدين) ٤٩
حفظ البيئة من المحافظة على النفس ٥٠
حفظ البيئة من المحافظة على النسل ٥٢
حفظ البيئة من المحافظة على العقل ٥٣
حفظ البيئة من المحافظة على المال ٥٤
إفساد البيئة إضاعة لمقاصد الشريعة ٥٥
❖ **٥ ـ علوم القرآن والسنة ورعاية البيئة** ٥٦
من دلائل العناية بالبيئة ٥٧

(٢) الركائز الإسلامية لرعاية البيئة ٥٩

❖ **١ ـ التشجير والتخضير** ٦١
السنة تأمر بالغرس والزرع ٦٣
❖ **٢ ـ العمارة والتثمير** ٦٧
إحياء الموات ٧٢
❖ **٣ ـ النظافة والتطهير** ٧٩

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **٤ ـ المحافظة على الموارد** ٨٨
الثروة الحيوانية ٩٠
الثروة النباتية ٩١
الثروة البحرية ٩١
الثروة المعدنية ٩٢
الشمس والقمر ٩٢
المحافظة على الثروة الحيوانية ٩٣
تعطيل الثروة الزراعية والحيوانية من عمل الشرك ٩٣
الوعيد على قتل عصفور عبثا ٩٤
الحفاظ على الحيوانات من العدوى ٩٥
إياك والحلوب ٩٦
الانتفاع بجلد الميتة ٩٦
المحافظة على الأجناس الحية من الانقراض ٩٧
نموذج من عناية الفقه الإسلامي بالحيوان ١٠١
المحافظة على الثروة النباتية ١٠٤
قاطع السدر في النار ١٠٦
المحافظة على الثروة المائية ١٠٧
النهي عن تلويث الماء ١٠٨
خطر الإسراف في الماء ١١٠
❖ **٥ ـ الحفاظ على صحة الإنسان** ١١٣
الصحة نعمة ١١٤

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ١١٦
تقرير حق الجسد على الإنسان ١١٧
تشريع الرخص والتخفيفات ١١٩
العناية بالطب والتداوي ١٢٠
إقرار سنة الله في العدوى ١٢٠
احترام الطب القائم على العلم والتجربة ١٢١
فتح باب الأمل أمام الأطباء والمرضى ١٢٤
الاهتمام بالصحة النفسية ١٢٥
الحفاظ على عقل الإنسان وتنميته ١٢٦
العناية بالطفولة ١٢٨

❖ **٦ ـ الإحسان بالبيئة ١٣٠**

الإحسان بالإنسان ١٣١
الإحسان بالحيوان ١٣٣
الإحسان بالنبات ١٤٧
الإحسان والرفق بالجمادات ١٤٩
الإحسان بالأرض وتربتها ١٥٠
الإحسان بالماء ١٥١

❖ **٧ ـ المحافظة على البيئة من الإتلاف ١٥٨**

١ ـ الإتلاف بدافع القسوة ١٥٨
٢ ـ الإتلاف بدافع الغضب ١٥٩
٣ ـ الإتلاف بدافع العبث ١٦٠

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤ ـ الإتلاف بلا ضرورة ولا حاجة ١٦١
٥ ـ الإتلاف بسبب الإهمال والإضاعة ١٦٣
٦ ـ تحريم الإتلاف في الحرب ١٦٤
❖ ٨ ـ حفظ التوازن البيئي ١٦٨
(٣) الأخطار على البيئة ١٧٣
❖ الأخطار على البيئة ١٧٥
❖ ١ ـ خطر التلوّث ١٧٧
تلوّث الماء ١٧٩
بماذا يتلوّث الماء؟ ١٧٩
أهم ملوثات الماء ١٨١
١ ـ المخلفات الصناعية ١٨١
٢ ـ مياه المجاري ١٨١
٣ ـ النفط ١٨٢
٤ ـ المبيدات الحشرية ١٨٢
٥ ـ المفاعلات النووية ١٨٣
٦ ـ المواد البلاستيكية ١٨٣
٧ ـ الرصاص ١٨٣
٨ ـ الزئبق ١٨٤
٩ ـ الكادميوم ١٨٥
تلوّث مياه الأمطار ١٨٦
تلوّث المياه الجوفية ١٨٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

امتداد هذا التلوّث ١٨٧
كيف نحمي الماء من التلوّث؟ ١٨٧
تلوّث الهواء ١٨٨
كيف يتلوّث الهواء؟ ١٩٣
(١) تلوّث الهواء من مصادر طبيعية ١٩٣
(٢) مصادر من صنع الإنسان ١٩٤
التلوّث بالأدخنة الضارة ١٩٥
أثر تلوّث الهواء ١٩٦
تلوّث تربة الأرض ١٩٧
التلوّث بالفضلات الصلبة ١٩٩
تلوّث التربة بالكيماويات ١٩٩
تلوّث التربة بالمخلفات السائلة ٢٠٠
الوسائل المكافحة لتلوّث التربة ٢٠١
التلوّث بالمبيدات الحشرية ٢٠٢
التلوّث بالنفايات ٢٠٣
التلوّث النفطي ٢٠٣
التلوّث بالقمامة المنزلية ٢٠٤
التلوّث البيئي في المجالات الصناعية ٢٠٥
التلوّث الإشعاعي ٢٠٦
التلوّث الإشعاعي تلوّث خفي ٢٠٧
خطر في الحرب وخطر في السلم ٢٠٧

QaradawiBooks.com

أخطار الإشعاع المتنامي ٢٠٨
أخطار الإشعاع من الحوادث ٢٠٩
التلوّث الضوضائي ٢١١
الإسلام والتلوّث السمعي ٢١٢
هداية القرآن ٢١٢
توجيه السُّنَّة النبويَّة ٢١٣
توجيه الفقه الإسلامي ٢١٥
وسائل تقليل ومكافحة الضوضاء ٢١٧
قلق العلماء والمفكرين على مصير الحضارة ٢١٧

❖ **٢ ـ خطر استنزاف الموارد ٢٢١**

كيف يتحقق الاستنزاف للموارد؟ ٢٢٢
١ ـ استخدام الموارد في غير ما خلقت له ٢٢٢
٢ ـ الإساءة في استخدام الموارد ٢٢٤
٣ ـ الإسراف في استهلاك الموارد ٢٢٥
٤ ـ إهمال موارد البيئة وإضاعتها ٢٣٠
٥ ـ الإفساد في الأرض ٢٣١
ضرورة ترشيد استهلاك الموارد ٢٣٢
الإنسان مستخلف في الأرض وليس إلها ٢٣٣
الموارد نعمة يجب أن تشكر ٢٣٤
الموارد أمانة يجب أن ترعى ٢٣٥
الموارد من حقوق الله ٢٣٧

QaradawiBooks.com

❖ ٣ ـ خطر اختلال التوازن ٢٣٩

١ ـ التغيرات الجوهرية في المناخ العام ٢٤٠

٢ ـ التصحر ٢٤١

معنى التصحر وأسبابه ٢٤١

أسباب طبيعية ٢٤١

أسباب آدمية ٢٤٢

أخطار التصحر ٢٤٢

٣ ـ الأضرار المناخية (ارتفاع حرارة الأرض) ٢٤٣

٤ ـ ارتفاع مستوى سطح مياه البحر ٢٤٤

٥ ـ هطول الأمطار الحمضية ٢٤٤

٦ ـ تآكل الأوزون ٢٤٥

(٤) بماذا تفسد البيئة؟ ٢٤٧

❖ بماذا تفسد البيئة وتتلوّث؟ ٢٤٩

❖ ١ ـ تغيير خلق الله ٢٥٣

❖ ٢ ـ الظلم ٢٥٦

❖ ٣ ـ العلو في الأرض ٢٥٨

❖ ٤ ـ اتباع الهوى ٢٦٠

❖ ٥ ـ الانحراف عن الميزان الكوني ٢٦٢

❖ ٦ ـ الكفر بأنعم الله ٢٦٤

QaradawiBooks.com

(٥) وسائل إسلامية معاصرة: لرعاية البيئة ٢٦٧

❖ وسائل إسلامية معاصرة لرعاية البيئة ٢٦٩

❖ ١ ـ تربية الناشئة ٢٧٠

❖ ٢ ـ التوعية والتثقيف للكبار ٢٧٢

❖ ٣ ـ رقابة الرأي العام ٢٧٤

❖ ٤ ـ سلطة التشريع والعقاب ٢٧٦

❖ ٥ ـ التعاون مع المؤسسات الإقليمية والعالمية ٢٧٩

(٦) رعاية البيئة في واقعنا التاريخي ٢٨١

❖ رعاية البيئة في واقعنا التاريخي ٢٨٣

❖ ١ ـ رعاية البيئة من خلال المؤسسات الحضارية ٢٨٤

❖ ٢ ـ رعاية البيئة من خلال نظام الحسبة ٢٨٨

نماذج من عناية المحتسبين بسلامة البيئة ونظافتها ٢٩٠

في الحسبة على الخبازين ٢٩١

في الحسبة على الفرانين ٢٩٢

الحسبة على الرواسين وقلائي السمك والطباخين ٢٩٢

وقال في الحسبة على قلائي السمك ٢٩٣

وقال في الحسبة على الطباخين ٢٩٣

الحسبة على السمانين ٢٩٣

QaradawiBooks.com

وقال في الحسبة على السمانين (أي بائعي السمن) ٢٩٣

الحسبة على الحمامات........ ٢٩٤

وقال في (الحسبة على الحمامات وفومتها) ٢٩٤

❖ **٣ ـ عناية الجانب التشريعي بالبيئة........ ٢٩٦**

- **خاتمة: صلاح البيئة بصلاح الإنسان........ ٣٠١**

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة........ ٣٠٧**

- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة........ ٣٢٧**

- **فهرس الموضوعات........ ٣٣٧**

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية